

The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Ossoul El-Deen
PhD of Interpretation & Sciences of Quran



الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
دكتوراه التفسير وعلوم القرآن

معالم الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم

(دراسة موضوعية مقارنة بين التفاسير بالمأثور والتفاسير بالرأي المحمود)

**The Figures of Right and Wrong in the Light of
the Holy Quran**

**(A comparative Study Between Interpretations of
the Saying and Interpretation of Aright Opinion)**

إِعْدَادُ الْبَاحِثَةِ

سناء عبد الوهاب أبو الجديان

إِشْرَافُ

الأستاذ الدكتور

محمود هاشم عنبر

قُدِّمَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ إِسْتِكْمَالًا لِمُنْتَظِمَاتِ الْخُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ الدُّكْتُورَاهِ
فِي التَّفْسِيرِ وَعِلْمِ الْقُرْآنِ بِكُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِغَزَّةِ

شعبان/1441هـ - أبريل/2020م

إقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

معالم الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم

(دراسة موضوعية مقارنة بين التفاسير بالمأثور والتفاسير بالرأي المحمود)

The Figures of Right and Wrong in the Light of the Holy Quran (A comparative Study Between Interpretations of the Saying and Interpretation of Aright Opinion)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name	سناء عبد الوهاب أبو الجديان	اسم الطالبة:
Signature	سناء عبد الوهاب أبو الجديان	التوقيع:
Date	2020/04/15م	التاريخ:

نتيجة الحكم على أطروحة دكتوراة

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ سناء عبدالوهاب محمود أبو الجديان لنيل درجة الدكتوراة في كلية أصول الدين/ برنامج أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

معالم الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم
(دراسة موضوعية مقارنة بين التفاسير بالمأثور والتفاسير بالرأي المحمود)
**The Figures of Right and Wrong in the Light of the Holy Quran
(A Comparative Study between Interpretations of the Saying and Interpretation of Aright Opinion)**

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الاحد 17 رمضان 1441 هـ الموافق 2020/05/10م الساعة العاشرة صباحاً، في قاعة اجتماعات كلية أصول الدين اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

.....	مشرفاً ورئيساً	أ. د. محمود هاشم عنبر
.....	مناقشاً داخلياً	أ. د. زكريا ابراهيم الزميلي
.....	مناقشاً داخلياً	د. زهدي محمد أبو نعمة
.....	مناقشاً خارجياً	د. عبد السميع خميس العرابيد

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الدكتوراة في كلية أصول الدين/برنامج أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا



أ. د. بسام هاشم السقا

التاريخ: 8/ 6/ 2020م الرقم العام للنسخة 237006 اللغة ع ماجستير دكتوراه



الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام النسخة الإلكترونية من رسالة

المطالبة/ سناء عبد الوهاب محمود أبو الجبران

رقم جامعي: 2016 0103 قسم: التفكير وعلم القرآن كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF + WORD).
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.
- ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله والتوفيق،

إدارة المكتبة المركزية



توقيع الطالب

[Handwritten signature]

ملخص الدراسة باللغة العربية

تبحث هذه الدراسة في موضوع قرآني بعنوان: معالم الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم _ دراسة مقارنة بين التفاسير بالمأثور والتفاسير بالرأي المحمود، وتتكون هذه الدراسة من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، حيث تتحدث الدراسة في التمهيد، حول مفهوم الحق والباطل لغة واصطلاحاً وورودها في السياق القرآني.

وتحدثت في الفصل الأول حول صور من الحق والباطل في القرآن الكريم، وفي الفصل الثاني تحدثت حول مظاهر العناية الإلهية بالحق وإزهاق الباطل، وتحدثت الدراسة في الفصل الثالث حول مواطن الصراع بين الحق والباطل سواء بين الأنبياء وأقوامهم، أو بين الأفراد أنفسهم، كما تحدثت في الفصل الرابع عن نماذج من أهل الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم، وكل ذلك في إطار دراسة موضوعية مقارنة.

وقد ختمت الباحثة بحثها بعدد من النتائج والتوصيات.

أما أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة فكانت:

1. أن الباطل مهما طال أمده فهو زاهق، ولا يضر الحق قلة أهله، ولا ينفع الباطل كثرة أهله.
2. أن الصراع بين الحق والباطل صراع دائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي سنة من سنن الله لا تتبدل ولا تتغير.

أما أهم التوصيات:

توصي الباحثة طلاب الدراسات القرآنية بمواصلة الاهتمام بموضوعات القرآن الكريم، وتناولها في إطار دراسة موضوعية مقارنة، حيث إنه طرح جديد يضيف إلى علم التفسير إضافة نوعية متميزة.

Abstract

This study examines a Quranic topic entitled, ‘Features of Truth and Falsehood in the Light of the Holy Quran: A Comparative Study between Interpretations of Sayings by Tradition and Interpretations by Commendable Opinion.’ The study includes an introduction, a preface, and four chapters. The preface to the study talks about the concept of truth and falsehood lexically and conventionally and its mention in the Quranic context.

In the first chapter, I talked about images of truth and falsehood in the Holy Quran, and in the second chapter I addressed the manifestations of divine providence in truth and falsehood. The third chapter looked into the areas of conflict between truth and falsehood, whether between the prophets and their people, or between individuals themselves, while in the fourth chapter I examined examples of the people of truth and falsehood in the light of the Noble Quran. All of this was carried out in the context of a comparative objective study.

The researcher concluded her research with a number of results and recommendations. The most important study results are the following:

1. Falsehood, no matter how long it takes, will dissipate, and truth is not harmed by the few number of its followers, and falsehood does not benefit from the large number of its supporters.
2. The struggle between truth and falsehood is a permanent struggle until God inherits the earth and those on it, which is one of Allah’s laws that does not change or waver.

The most important recommendations of the study are as follows: the researcher recommends students of Quranic studies to continue to pay attention to the topics of the Holy Quran, and to address them in the context of comparative objective studies, as this is a new approach that is considered a distinctive addition to the science of interpretation.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ذَلِكِ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾

[محمد: 3]

الإهداء

- ❖ إلى من أرجو من الله أن يسعدني بصحبته في الآخرة، ألا وهو رسول الله ﷺ.
- ❖ إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، ومن علمني العطاء بدون انتظار، ومن أحمل اسمه بكل افتخار، والذي العزيز.
- ❖ إلى نبع المحبة، وملاكي في الحياة، ومن كان دعاؤها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي، أمي الحبيبة، أهديك رسالتي لتُهديني الرضا والدعاء.
- ❖ إلى من شجعني وكان عوناً وسنداً لي حتى النهاية، إنه رفيق دربي الذي دعمني في مشواري، وما بخل عليّ بوقتٍ أو جهدٍ لأنجزَ هذا العمل، زوجي الحبيب (أنور).
- ❖ إلى جمال الدنيا وزينتها ومن استوطنوا قلبي أبنائي (عاصم، وفتحي، ومحمد، ونبيل) أسأل الله أن يحفظهم وينفعني بهم.
- ❖ إلى الجوهرة المضيئة، والدرة المصونة ابنتي الغالية سندس.
- ❖ إلى عائلة زوجي عمي العزيز (أبو أنور) وعمتي الغالية (أم أنور)، وإخوان زوجي وأخواته الحبيبات.
- ❖ إلى من يرتبط قلبي بهم برباطٍ متينٍ ويَنمّي لهم الخير إخواني الأعزاء.
- ❖ إلى القلوب الجميلة التي تشبهني، والورود التي تمنحني السعادة والتفاؤل، ومن يفرهنَّ عشتُ أجمل لحظات العمر أخواتي العزيزات.
- ❖ إلى من سرنا سويّاً، ونحن نشق الطريق معاً نحو النجاح والإبداع، وتكاتفنا يداً بيد ونحن نقطف ثمرة تعلمنا، دفعة أولى دكتوراه، (زميلاتي بالدراسة).
- ❖ إلى فلسطين والأقصى والأسرى .
- ❖ إلى جميع الأقارب والصدقات.

إليهم جميعاً .. أهدى هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: 40]، وقول النبي ﷺ "من لا يشكر الناس لا يشكر الله" (1)، فالشكر لله أولاً وأخيراً عرفاناً بفضله وتوفيقه، أن وفقني وأعانني على إتمام هذا البحث، ومنحني شرفَ العِلْمِ والتَّعَلُّمِ، وإنَّه لَمِنْ دواعي امتناني أن أتقدّم بأسمى آيات الشُّكر والعرفان بالفضلِ والجميل، إلى أستاذي ومُشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور/ محمود هاشم عنبر، حفظه الله، الذي تَفَضَّلَ بِقَبُولِ الإشرافِ على رسالتي "الدكتوراه"، وإنَّه لمن الواجب عليّ أن أُرَدِّ الفَصلَ لِصاحبِ الفضل، فقد أسبغ عليّ فضله وعطاءه بأن قوّم هذا البحث وأثراه بأرائه السديدة ونظرته الثاقبة المتعمّقة، أتشرفُ به مُشرفاً، بعد أن كُنت إحدى طالباته في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، فجزاه الله عنّي خير الجزاء.

كما أتقدّم بالشُّكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقبول مناقشة رسالتي، وتقويمها وتنقيحها بأرائهم النيرة.

فضيلة الأستاذ الدكتور: زكريا إبراهيم الزميلي _حفظه الله_ مناقشاً داخلياً.

فضيلة الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة _حفظه الله_ مناقشاً داخلياً.

فضيلة الأستاذ الدكتور: عبد السميع خميس العرابيد _حفظه الله_ مناقشاً خارجياً.

كما لا أنسى أن أتوجه بخالص شكري وعرفاني إلى أساتذتي في كلية أصول الدين، وأخص بالذكر، أساتذتي، في قسم التفسير وعلوم القرآن، على ما قدموه وبذلوه من جهد مشكور في الارتقاء بطلاب وطالبات العلم، وخاصة قسم الدراسات العليا فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

كما وأتقدّم بأجمل عبارات الشُّكر والتقدير إلى الصَّرح الشَّامخ الذي لطالما أفتخرُ بانتمائي إليه، إلى منارة العِلْمِ ومَهْدِ العُلَمَاءِ (الجامعة الإسلامية) التي زَرَعَتْ فينا أسمى المبادئ وأرقى القيم.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير، إلى زوجي ورفيق دربي أنور الذي وقف إلى جانبي، واحتمل أياماً صعبة في سبيل إتمام هذه الرسالة، فله مني خالص الشكر والتقدير.

كما أتوجه بالشكر لكل من قدم لي نصيحة أو عوناً أو دعا لي في ظهر الغيب، فلهم جميعاً شكري وتقديري.

(1) انظر: سنن الترمذي، الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، 4/ 339 رقم

الحديث: 1954، قال الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، الألباني، 4/ 454

قائمة المحتويات

أ.....	إقرار
ب.....	نتيجة الحكم
ت.....	ملخص الدراسة باللغة العربية
ث.....	Abstract
ج.....	اقتباس
ح.....	الإهداء
خ.....	شكر وتقدير
د.....	قائمة المحتويات
1.....	المقدمة
1.....	أولاً: أهمية الموضوع
2.....	ثانياً: أسباب اختيار الموضوع
2.....	ثالثاً: أهداف البحث وغاياته
3.....	رابعاً: الدراسات السابقة
3.....	خامساً: منهج البحث
4.....	سادساً: خطة الدراسة
10.....	التمهيد: لفظتا الحق والباطل في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني
11.....	أولاً: معنى الحق لغة واصطلاحاً
15.....	ثانياً: معنى الباطل لغة واصطلاحاً
17.....	ثالثاً: لفظتا الحق والباطل في السياق القرآني
50.....	الفصل الأول: صور من الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة
52.....	المبحث الأول: صور من الحق في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة
52.....	المطلب الأول: خلق السماوات والأرض بالحق
56.....	المطلب الثاني: مجيء رسل الله تعالى للهداية إلى الحق
59.....	المطلب الثالث: إرسال الرسول ﷺ بالحق

64	المطلب الرابع: إنزال الكتاب بالحق.....
67	المطلب الخامس: نطق الكتاب بالحق.....
70	المطلب السادس: هداية الكتاب إلى الحق.....
73	المطلب السابع: تلاوة القرآن بالحق.....
76	المطلب الثامن: قصص الأنبياء بالحق.....
78	المطلب التاسع: إيمان المؤمنين بالحق.....
82	المطلب العاشر: الشهادة بأن الرسول ﷺ حق.....
86	المطلب الحادي عشر: مجادلة المؤمنين للنبي ﷺ بالحق.....
89	المبحث الثاني: صور من الباطل في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة.....
89	المطلب الأول: أكل الأموال بالباطل.....
94	المطلب الثاني الإيمان بالباطل.....
97	المطلب الثالث اتباع الباطل.....
99	المطلب الرابع دعاء الباطل من دون الله تعالى.....
102	المطلب الخامس إلباس الحق بالباطل وكتمان الحق.....
104	المطلب السادس المجادلة بالباطل لدحض الحق.....
	الفصل الثاني: مظاهر العناية الإلهية بالحق وإزهاق الباطل في ضوء القرآن الكريم مع
107	الدراسة المقارنة.....
109	المبحث الأول: مظاهر العناية الإلهية بالحق مع الدراسة المقارنة.....
109	المطلب الأول: إحقاق الله تعالى الحق بكلماته.....
111	المطلب الثاني: قضاء الله تعالى بالحق.....
113	المطلب الثالث: وعد الله تعالى حق.....
117	المطلب الرابع: عدم استحياء الله تعالى من الحق.....
120	المطلب الخامس: قول الله تعالى الحق وهداية السبيل.....
126	المبحث الثاني: مظاهر العناية الإلهية في إزهاق الباطل مع الدراسة المقارنة.....
126	المطلب الأول: محو الله تعالى للباطل وإحقاقه للحق.....

المطلب الثاني: قذف الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.....	129
المطلب الثالث: صرف أهل الباطل عن الآيات.....	131
المطلب الرابع: توعّد أهل الباطل بعذاب الهون.....	135
الفصل الثالث: مواطن الصراع بين الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة.....	139
المبحث الأول: الصراع بين الأنبياء وأقوامهم مع الدراسة المقارنة.....	141
المطلب الأول: الصراع بين نوح عليه السلام وقومه.....	141
أولاً: نسب نوح <small>عليه السلام</small> وبعثته.....	141
ثانياً: دعوة نوح <small>عليه السلام</small> لقومه.....	142
ثالثاً: موقف قوم نوح <small>عليه السلام</small> من دعوته.....	146
رابعاً: موقف نوح <small>عليه السلام</small> من الكافرين المعاندين ودعائه عليهم.....	148
خامساً: نهاية الصراع بين نوح <small>عليه السلام</small> وقومه.....	152
المطلب الثاني: الصراع بين هود عليه السلام وقومه.....	155
أولاً: نسب هود <small>عليه السلام</small>	155
ثانياً: دعوة هود <small>عليه السلام</small>	156
ثالثاً: موقف الكافرين من دعوة هود <small>عليه السلام</small>	160
رابعاً: نهاية الصراع بين هود <small>عليه السلام</small> وقومه قوم عاد.....	163
المطلب الثالث: الصراع بين صالح عليه السلام وقومه.....	166
أولاً: نسب صالح <small>عليه السلام</small>	166
ثانياً: دعوة صالح <small>عليه السلام</small> لقومه ثمود.....	166
ثالثاً: موقف قوم ثمود من دعوة صالح <small>عليه السلام</small>	170
رابعاً: نهاية الصراع بين الحق والباطل في قصة صالح <small>عليه السلام</small>	173
المطلب الرابع: الصراع بين إبراهيم عليه السلام وقومه.....	176
أولاً: نسب إبراهيم <small>عليه السلام</small>	176
ثانياً: دعوة إبراهيم <small>عليه السلام</small>	177

182	ثالثاً: موقف قوم إبراهيم من دعوته ﷺ
188	المطلب الخامس: الصراع بين لوط عليه السلام وقومه
188	أولاً: نسب لوط ﷺ وبعثته
189	ثانياً: دعوة لوط ﷺ
192	ثالثاً: موقف قوم لوط من دعوته
197	المطلب السادس: الصراع بين شعيب عليه السلام وقومه
197	أولاً: نسب شعيب ﷺ
198	ثانياً: دعوة شعيب ﷺ لقومه
203	ثالثاً: موقف قوم شعيب ﷺ من دعوته
206	رابعاً: نهاية الصراع بين شعيب ﷺ وقومه
209	المطلب السابع: الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون وملئه
209	أولاً: نسب موسى ﷺ وبعثته
210	ثانياً: دعوة موسى ﷺ لفرعون وملئه
214	ثالثاً: موقف فرعون وملئه من دعوة موسى ﷺ
216	رابعاً: نهاية الصراع بين موسى ﷺ وفرعون وملئه
219	المطلب الثامن: الصراع بين موسى عليه السلام وبني إسرائيل
219	أولاً: دعوة موسى ﷺ لبني إسرائيل
221	ثانياً: موقف بني إسرائيل من دعوة موسى ﷺ
225	ثالثاً: نهاية الصراع بين موسى ﷺ وبني إسرائيل
230	المطلب التاسع: الصراع بين عيسى عليه السلام وبني إسرائيل
230	أولاً: نسب عيسى ﷺ
231	ثانياً: دعوة عيسى ﷺ
234	ثالثاً: موقف بني إسرائيل من دعوة عيسى ﷺ
236	رابعاً: نهاية الصراع بين عيسى ﷺ وبني إسرائيل
241	المطلب العاشر: الصراع بين النبي محمد ﷺ وقومه

241	أولاً: نسب النبي محمد ﷺ
242	ثانياً: دعوة النبي محمد ﷺ لقومه.....
244	ثالثاً: موقف الكافرين من دعوته ﷺ
248	رابعاً: نهاية الصراع بين نبينا محمد ﷺ وكفار قريش
251	المبحث الثاني: الصراع بين الأفراد كما يصوره القرآن الكريم
251	المطلب الأول: الصراع بين آدم عليه السلام وإبليس
254	المطلب الثاني: الصراع بين ابني آدم عليه السلام.....
257	المطلب الثالث: الصراع بين إبراهيم عليه السلام والذبيح الذي حاجه في ربه.....
261	المطلب الرابع: الصراع بين يوسف عليه السلام وإخوته.....
266	المطلب الخامس: الصراع بين موسى عليه السلام والسحرة.....
270	المطلب السادس: الصراع بين طالوت عليه السلام وجالوت.....
274	المطلب السابع: الصراع بين الصاحبين في قصة أصحاب الجنتين.....
280	الفصل الرابع: نماذج من أهل الحق وأهل الباطل كما يصورها القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة.....
281	المبحث الأول: نماذج من أهل الحق كما يصورها القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة
281	المطلب الأول: نماذج من أهل الحق من النساء.....
281	أولاً: زوجة فرعون.....
284	ثانياً: مريم ابنة عمران.....
286	ثانياً: منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآية.....
286	المطلب الثاني: نماذج من أهل الحق من الرجال
286	أولاً: مؤمن آل فرعون.....
291	ثانياً: الأخ الأوسط في قصة أصحاب الجنة:.....
293	ثالثاً: ذو القرنين.....
297	المطلب الثالث: نماذج من أهل الحق من الجماعات.....
297	أولاً: أهل الكهف.....

299	ثانياً: أصحاب الأخدود
305	المبحث الثاني: نماذج من أهل الباطل كما يصورها القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة
305	المطلب الأول: نماذج من أهل الباطل قبل البعثة النبوية
305	أولاً: زوجتا نوح ولوط عليهما السلام
307	ثانياً: فرعون
311	ثالثاً: قارون
315	رابعاً: هامان
317	خامساً: المنسلخ من آيات الله تعالى من بني إسرائيل
321	المطلب الثاني: نماذج من أهل الباطل زمن البعثة النبوية
321	أولاً: أبو جهل "عمرو بن هشام"
324	ثانياً: الوليد بن المغيرة
328	ثالثاً: أبو لهب عم الرسول ﷺ
331	رابعاً: أم جميل زوجة أبي لهب
334	الخاتمة
334	أولاً: النتائج
336	ثانياً: التوصيات
337	المصادر والمراجع
350	الفهارس العامة
351	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
387	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية
389	ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله الذي يقذف بالحق على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الذي جدّد الله به رسالة السّماء، وأحيا ببعثته سنّة الأنبياء، ونشر بدعوته آيات الهداية، وأتمّ به مكارم الأخلاق، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد.

فإنّ الصراع بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر، بين الفضيلة والرذيلة، بين الخير والشر، صراعٌ دائمٌ مستمر لا تهدأ معاركه، ولا تخبو جذوته، وقد ينزوي الحق في فترة من الفترات كأنه منهزم، ولكن المؤمنين الصادقين لا يخالجهم الشك أبداً في أنه مهما علا الباطل وانتفش، ومهما بدا للعيان أنّ الحق ضعيف، فلا مجال للشك أبداً في أنّ الحق غالب ظاهر ومنتصر، في النهاية وأنّ الباطل زاهق زائل، ويؤكد ذلك قوله ﷺ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81].

وعلى مر العصور والأزمنة واجه الأنبياء والمرسلون والمصلحون كثيراً من الأذى في سبيل نشر دعوتهم، ومع ذلك وجدناهم يضربون أروع الأمثلة في الثبات، والفداء، والإباء بعزيمة لا تلين، وكان النصر مع الصبر، قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: 18].

ونظراً لما يدور في هذا الزمان من صراعات بين الحق والباطل في كثير من الأماكن في العالم، حيث إنّ أهل الباطل ظاهرون على أهل الحق، يتناولون عليهم ويسلبون خيراتهم، ويخططون لحاضرهم ومستقبلهم، في ظل غياب وحدة الأمة وفرقتها وضعفها، لذا فقد رأت الباحثة أن تختار بحثها بعنوان: معالم الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية مقارنة بين التفاسير بالمأثور والتفاسير بالرأي المحمود) وذلك في إطار دراسة تفسيرية موضوعية مقارنة محكمة.

أولاً: أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع من خلال عدة أمور أذكر أهمها:

- 1- تعلق هذا البحث بأشرف الكتب الذي يعدّ الاشتغال به عبادة تقرينا إلى الله تعالى.
- 2- ارتباط موضوع البحث بواقع الأمة الإسلامية وبما تعانيه من أهل الباطل من تغول وظلم واستبداد.

3- حداثة الموضوع حيث يعدُّ هذا الموضوع من الموضوعات المهمة، والذي لم تتناوله الدراسات السابقة بهذا الطرح الجديد.

4- ورود لفظة الحق والباطل في السياق القرآني مائة وسبعاً وتسعين مرة.

5- هذا الموضوع زاخراً بالعبر والعظات من خلال ما حدث للأمم والأفراد عبر التاريخ من أهل الحق والباطل.

6- موضوع الحق والباطل من الموضوعات التي تلامس الواقع المُعاش حيث يعكس واقع أمة الإسلام اليوم وما يقع عليها من ظلم من قبل أهل الكفر والباطل.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

من أهم الأسباب التي دفعت الباحثة لاختيار هذا الموضوع:

1- خدمة كتاب الله تعالى، وذلك من خلال البحث في موضوع من موضوعاته.

2- افتقار المكتبة الإسلامية إلى دراسة آيات الحق والباطل دراسة تفسيرية واقعية مقارنة.

3- حداثة الموضوع وجدته بين الرسائل العلمية المحكمة لجمعه بين التفسير الموضوعي والتفسير المقارن.

4- الحاجة الملحة إلى بعث الأمل في القلوب في ظل ما تعانيه الأمة الإسلامية من استعلاء أهل الباطل على أهل الحق.

5- تشجيع مشرفي الأستاذ الدكتور: محمود هاشم عنبر_ حفظه الله_ على دراسة هذا الموضوع وطرقه بهذه الحلة الجديدة.

ثالثاً: أهداف البحث وغاياته:

لهذا البحث أهداف وغايات عديدة أذكر أهمها:

1- إبراز معالم الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم في دراسة جديدة، تجمع بين التفسير الموضوعي والتفسير المقارن.

2- النهوض بمعنويات أبناء الأمة الإسلامية من خلال هذا الموضوع، وذلك ببيان أن الحق سينتصر، وأن الباطل لا محالة زائل، ولو بعد حين.

3- إبراز مظاهر العناية الإلهية بالحق وأهله، وإزهاق الباطل وأهله، وهي سنة من سنن الله ماضية في الآخرين كما مضت في الأولين.

- 4- إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع جديد، نسلط الضوء من خلاله على معالم الحق والباطل في القرآن الكريم، مع ذكر نماذج من أهل الحق والباطل من الأقسام والأفراد.
- 5- بيان أن القرآن الكريم هو حبل الله المتين، ودستوره الخالد، ولا سبيل للنهوض إلا به.
- 6- إبراز دور القرآن الكريم في علاج القضايا المعاصرة والمستجدة، وإيجاد الحلول المناسبة لها.

رابعاً: الدراسات السابقة:

يعدُّ موضوع الدراسة من الموضوعات المهمة لحدائته وجدته، وبالرجوع إلى المكتبات والمراكز البحثية تبين للباحثة أن الدراسات السابقة تنحصر فيما يلي:

- 1- (الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، د. عادل أبو العلا، رسالة دكتوراه، السعودية، 1995م).
- 2- (الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف، أ. فهد السويديان، رسالة ماجستير، السعودية، 1403هـ-1404هـ).
- 3- (الصراع بين الحق والباطل من خلال سورة القصص، أ. محمد بابكر إيدام، رسالة ماجستير، جامعة الرياض، 1438هـ-2016م).

فمن خلال هذه الدراسات السابقة يتبين للباحثة أنها قد تناولت زاوية واحدة من زوايا هذا البحث حيث عكفت جميع الدراسات على الحديث عن الصراع بين الحق والباطل في إطار سورة واحدة إما (الأعراف أو الكهف أو القصص) وأما موضوع البحث فقد تناول معالم الحق والباطل بصوره ونماذجه وميادينه في القرآن كله، كما تناولت هذه الدراسة موضوع البحث في إطار دراسة جديدة، تجمع بين التفسير الموضوعي والتفسير المقارن.

خامساً: منهج البحث:

اعتمدت الباحثة بعون الله تعالى وتوفيقه على المنهج الاستقرائي، حسب طبيعة التفسير الموضوعي، وفي إطار دراسة مقارنة بين التفاسير بالمأثور والتفاسير بالرأي المحمود، وذلك وفق الخطوات الآتية:

- 1- جمع الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظتا الحق والباطل في القرآن الكريم.
- 2- عزو الآيات إلى سورها وفق الضوابط المعروفة بذكر اسم السورة ورقمها في المتن تجنباً لإتقال الحواشي وكتابتها بالرسم العثماني.

- 3- دراسة الآيات القرآنية دراسة موضوعية حسب نظرية التفسير الموضوعي، مستعينة بكتب التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود.
- 4- المقارنة بين منهج التفاسير بالمأثور، والتفاسير بالرأي المحمود، من حيث تناولها لمعاني الآيات القرآنية، وذلك من خلال خطوتين: الأولى: تفسير الآيات القرآنية أو الآيات من كتب التفسير بالرأي المحمود، الثانية: المقارنة بين منهج أصحاب التفاسير بالمأثور، والتفاسير بالرأي المحمود، من حيث اتباعهم للمنهج الصحيح، لكل نوع من أنواع التفسير المذكورة، وذكر لكل ما له وما عليه.
- 5- الاستدلال بالأحاديث النبوية التي تخدم الموضوع، وتخريجها تخريجاً علمياً، وذكر حكم العلماء عليها إن لم تكن في الصحيحين.
- 6- الرجوع إلى المصادر الأصلية في علم التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود.
- 7- ذكر معاني المفردات الغريبة من كتب غريب القرآن والمعاجم اللغوية.
- 8- عمل تراجم للأعلام المغمورين من مظانها .
- 9- مراعاة الدقة والأمانة العلمية في التوثيق في المتن والحواشي، وإسناد الأقوال لأصحابها بكل أمانة ونزاهة علمية.
- 10- عمل مجموعة من الفهارس التي تخدم البحث، وتسهل الوصول إلى المعلومات.

سادساً: خطة الدراسة:

وقد اشتملت خطة الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس كما يأتي:
المقدمة وتشتمل على أهمية الموضوع، أسباب اختيار الموضوع، أهداف البحث وغاياته، الدراسات السابقة، منهج البحث، خطة الدراسة.

التمهيد

لفظتا الحق والباطل في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني

أولاً: معنى الحق لغة واصطلاحاً

1. معنى الحق لغةً
2. معنى الحق اصطلاحاً
3. العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية

ثانياً: معنى الباطل لغةً واصطلاحاً

1. معنى الباطل لغة.
2. معنى الباطل اصطلاحاً.
3. العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية.

ثالثاً: لفظتا الحق والباطل في السياق القرآني.

1- لفظة الحق في السياق القرآني.

- أ. لفظة الحق في الآيات المكية.
- ب. لفظة الحق في الآيات المدنية.
- ج. موضوعات الآيات المكية والمدنية التي وردت لفظة الحق في سياقها.

2- لفظة الباطل في السياق القرآني.

- أ. لفظة الباطل في الآيات المكية.
- ب. لفظة الباطل في الآيات المدنية.
- ج. موضوعات الآيات المكية والمدنية التي وردت لفظة الباطل في سياقها.

الفصل الأول:

صور من الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: صور من الحق في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة

وفيه أحد عشر مطلباً :

المطلب الأول: خلق السماوات والأرض بالحق.

المطلب الثاني: مجيء رسل الله تعالى للهداية إلى الحق.

المطلب الثالث: إرسال الرسول ﷺ بالحق.

المطلب الرابع: إنزال الكتاب بالحق.

- المطلب الخامس: نطق الكتاب بالحق.
- المطلب السادس: هداية الكتاب إلى الحق.
- المطلب السابع: تلاوة القرآن بالحق.
- المطلب الثامن: قصص الأنبياء في القرآن بالحق.
- المطلب التاسع: إيمان المؤمنين بالحق.
- المطلب العاشر: الشهادة بأن الرسول ﷺ حق.
- المطلب الحادي عشر: مجادلة المؤمنين للنبي ﷺ بالحق.
- المبحث الثاني: صور من الباطل في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة.
- وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: أكل الأموال بالباطل.

المطلب الثاني: الإيمان بالباطل.

المطلب الثالث: اتباع الباطل.

المطلب الرابع: دعاء الباطل من دون الله تعالى.

المطلب الخامس: إلباس الحق بالباطل وكتمان الحق.

المطلب السادس: المجادلة بالباطل لدحض الحق.

الفصل الثاني:

مظاهر العناية الإلهية بالحق وإزهاق الباطل مع الدراسة المقارنة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مظاهر العناية الإلهية بالحق مع الدراسة المقارنة.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: إحقاق الله تعالى الحق بكلماته.

المطلب الثاني: قضاء الله تعالى بالحق.

المطلب الثالث: وعد الله تعالى حق.

المطلب الرابع: عدم استحياء الله تعالى من الحق.

المطلب الخامس: قول الله تعالى الحق وهداية السبيل.

المبحث الثاني: مظاهر العناية الإلهية في إزهاق الباطل مع الدراسة المقارنة.
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: محو الله تعالى للباطل وإحقاقه الحق.

المطلب الثاني: قذف الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق.

المطلب الثالث: صرف أهل الباطل عن الآيات.

المطلب الرابع: توعدهم أهل الباطل بعذاب الهون.

الفصل الثالث:

مواطن الصراع بين الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الصراع بين الأنبياء وأقوامهم مع الدراسة المقارنة.

وفيه عشرة مطالب:

المطلب الأول: الصراع بين نوح عليه السلام وقومه.

المطلب الثاني: الصراع بين هود عليه السلام وقومه.

المطلب الثالث: الصراع بين صالح عليه السلام وقومه.

المطلب الرابع: الصراع بين إبراهيم عليه السلام وقومه.

المطلب الخامس: الصراع بين لوط عليه السلام وقومه.

المطلب السادس: الصراع بين شعيب عليه السلام وقومه.

المطلب السابع: الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون وملئه.

المطلب الثامن: الصراع بين موسى عليه السلام وبني إسرائيل.

المطلب التاسع: الصراع بين عيسى عليه السلام وبني إسرائيل.

المطلب العاشر: الصراع بين النبي محمد ﷺ وقومه.

المبحث الثاني: نماذج من الصراع بين الأفراد كما يصوره القرآن الكريم.
وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: الصراع بين آدم عليه السلام وإبليس.

المطلب الثاني: الصراع بين ابني آدم عليه السلام.

المطلب الثالث: الصراع بين إبراهيم عليه السلام والذي حاجّه في ربه.

المطلب الرابع: الصراع بين يوسف عليه السلام وإخوته.

المطلب الخامس: الصراع بين موسى عليه السلام والسحرة.

المطلب السادس: الصراع بين طالوت عليه السلام وجالوت.

المطلب السابع: الصراع بين الصالحين في قصة أصحاب الجنتين.

الفصل الرابع:

نماذج من أهل الحق وأهل الباطل كما يصورها القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: نماذج من أهل الحق كما يصورها القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نماذج من أهل الحق من النساء، وفيه:

أولاً: زوجة فرعون.

ثانياً: مريم ابنة عمران.

المطلب الثاني: نماذج من أهل الحق من الرجال، وفيه:

أولاً: مؤمن آل فرعون.

ثانياً: الأخ الأوسط في قصة أصحاب الجنة.

ثالثاً: ذو القرنين.

المطلب الثالث: نماذج من أهل الحق من الجماعات، وفيه:

أولاً: أهل الكهف.

ثانياً: أصحاب الأخدود.

المبحث الثاني: نماذج من أهل الباطل كما يصورها القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نماذج من أهل الباطل قبل البعثة النبوية، وفيه:

أولاً: زوجتا نوح ولوط عليهما السلام.

ثانياً: فرعون.

ثالثاً: قارون.

رابعاً: هامان.

خامساً: المنسلخ من آيات الله تعالى من بني إسرائيل.

المطلب الثاني: نماذج من أهل الباطل زمن البعثة النبوية، وفيه:

أولاً: أبو جهل "عمرو بن هشام"

ثانياً: الوليد بن المغيرة.

ثالثاً: أبو لهب عم الرسول ﷺ.

رابعاً: أم جميل زوجة أبي لهب.

الخاتمة: وقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

وقد اشتملت على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام المغمورين.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات، وموضعه في بداية الرسالة حسب توجيهات البحث العلمي.

التمهيد:

**لفظتا الحق والباطل في اللغة والاصطلاح
والسياق القرآني**

التمهيد

لفظتا الحق والباطل في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني

أولاً: معنى الحق لغة واصطلاحاً:

1. الحق لغة:

قال ابن فارس ⁽¹⁾: الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته. فالحق نقيض الباطل، ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلفيق ويقال: حَقَّ الشيءُ: وجب ⁽²⁾

والحق مصدر حَقَّ الشيء، يُحَقُّه حقاً، والجمع حقوق وحقاق ⁽³⁾، والحققة: مثله، هذه حققتي: أي حقي. وحق الشيء: وجب، يحق ويحق، وهو حقيق ومحقوق. وبلغت حقيقة الأمر: أي يقين شأنه. والحققة: الرأية. وأحق الرجل: قال حقاً؛ أو ادعى حقاً فوجب له ⁽⁴⁾

فلفظ الحق من حيث الموضوع، ذات دلالة واضحة مفهومة عرفياً، فمجرد إطلاق اللفظ من المتكلم، يتبادر المعنى إلى ذهن المتلقي بأن الحق ما هو خلاف الباطل، ومع هذا فللفظة الحق عند العرب استعمالات:

وهو في اللغة يطلق على عدة معانٍ:

1- اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى، وقيل صفة من صفاته، قال ابن الأثير: ⁽⁵⁾ "هو الموجود حقيقة والمتحقق وجوده والهيته" ⁽⁶⁾، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ

(1) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، له تصانيف عديدة منها: مقاييس اللغة وجامع التأويل في تفسير القرآن، توفي سنة 395 هـ، انظر: الأعلام،

الزركلي، ج1/193

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2/15

(3) انظر: المصباح المنير، الفيومي، ج1/198

(4) انظر: المحيط في اللغة، ابن عباد، ج1/151

(5) ابن الأثير: هو أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، الملقب مجد الدين، له مصنفات عديدة، منها: جامع الأصول في أحاديث الرسول، والنهاية في غريب الحديث، ولد في جزيرة ابني عمر سنة 544 هـ، ونشأ ثم انتقل إلى الموصل، وله شعرٌ يسير، توفي بالموصل سنة 606 هـ، انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج4/141.

(6) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج1/413

الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام : 62]، فالحق هنا هو الله سبحانه وتعالى، أي أن العباد يُردون إلى الله تبارك وتعالى⁽¹⁾.

وقيل هو العدل الذي لا يحكم إلا بالحق، فتكون صفة الله تعالى⁽²⁾، وقال تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون : 116]

2- يطلق على ما هو نقيض الباطل وخلافه⁽³⁾، كما في قوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : 18]، أي نبين الحق فيدحض الباطل ولهذا قال : ﴿ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ أي ذاهب مضمحل، ومعناه: نبين الحق من الباطل⁽⁴⁾.

3- ويأتي الحق بمعنى الوجوب والثبوت، وقيل هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره⁽⁵⁾، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس : 7]، لقد سبق في علم الله تعالى أن أكثرهم لا يختارون الإيمان، فوجب العقاب على أكثرهم؛ لأن الله قد حكم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون رسوله⁽⁶⁾.

4- ويأتي بمعنى المطابقة والموافقة، وعدَّ الراغب الأصفهاني⁽⁷⁾ هذا المعنى هو الأصل لكلمة الحق عند إطلاقها، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق⁽⁸⁾.

(1) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزري، ج 1 / 1015، القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ج3/214

(2) انظر: تفسير النسفي، النسفي، ج 2 / 17

(3) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج 10 / 49

(4) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج2/ 422

(5) انظر: المصباح المنير، الفيومي، ج 1 / 198، التعريفات، الجرجاني، ج 1 / 120

(6) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج20/ 492

(7) الأصفهاني: هو الحسين بن محمد بن محمد بن الفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان، سكن ببغداد، واشتهر، حتى كان يُقرن بالإمام الغزالي، من كتبه محاضرات الأدباء والمفردات في غريب القرآن، توفي سنة 502 هـ، انظر: الأعلام، الزركلي، ج2/255

(8) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ج 1 / 125

يأتي الحق بمعنى اليقين " حق الأمر يحقه حقاً وأحقه: كان منه على يقين، تقول حققت الأمر، وتحقق عنده الخبر، أي صح فهو متيقن منه" (1)

5- ويطلق الحق كذلك على عدة معانٍ أخرى، كالعدل، والإسلام، والمال، والملك، والموجود، والصدق، والموت، والحزم، والأمر المقضي، وفي الصدق، والصواب (2).

قال الفيروز آبادي: (3) "إن أصل الحق المطابقة والموافقة، ثم قال: والحق يقال على أربعة أوجه:

الأول: يقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولذلك قيل في الله تعالى هو الحق .

الثاني: يقال للموجد (الموجود) بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولذلك يقال: فَعَلَ اللهُ تَعَالَى كَلَهُ حق، نحو قولنا : الموت حق، والبعث حق .

الثالث: الاعتقاد في الشيء المطابق لما هو عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا : اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق .

الرابع: للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب، ويقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب كقولنا : فَعَلَكَ حق، وقولك حق" (4).

يتضح من جملة المعاني اللغوية السابقة أن الأصل عند اطلاق الحق كما ذكر الراغب هو المطابقة والموافقة، ولكن هذا لا يخرج اللفظ عن كونه يستعمل في غيرها من المعاني كالوجوب، والثبوت، وما هو نقيض الباطل وغيرها .

2. الحق اصطلاحاً:

تباينت تعريفات العلماء للحق اصطلاحاً وذلك كما يلي:

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج5/798

(2) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ج 1 / 125

(3) الفيروز آبادي: أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، من أئمة اللغة والأدب، وكان قوي

الحافظة، يحفظ كل يوم مائة سطر قبل أن ينام، من مؤلفاته: القاموس المحيط، بصائر ذوي التمييز في

لطائف الكتاب العزيز في التفسير، ت 817 هـ، انظر: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء

والنحو واللغة، الزبيري،، إياذ القيسي، الحبيب، بشير القيسي، البغدادي، ج3/ 2491

(4) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي، ج 3 / 484

- 1- "هو الالتزام أي ما يلتزم به الإنسان تجاه الله أو تجاه غيره من الناس"⁽¹⁾
- 2- "هو الحكم المطابق للواقع، ويطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتغالها على ذلك، ويقابله الباطل"⁽²⁾
- 3- ما وجب عليك لغيرك فهو يتقاضاه منك، أو ما وجب على غيرك لك فأنت تتقاضاه منه⁽³⁾.
- 4- " هو الموافق لما في الوجود والواقع"⁽⁴⁾ وهو ضد الباطل، وهو الأمر الذي حق، أي ثبت أنه غير باطل في حكم الشريعة، وعند أهل العقول السليمة البريئة من الهوى أو الشهوات⁽⁵⁾.
- 5- هو الأمر الذي ثبتت صحته ثبوتاً قاطعاً، فيشمل عمل الطاعات، وترك المعاصي⁽⁶⁾.
- 6- الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك، أي ثبتت ووجبت، وثوب محقق محكم النسخ⁽⁷⁾

3. العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية:

إنَّ الناظر في المعاني اللغوية والاصطلاحية للحق لا يجد فارقاً كبيراً، بل كلا المعنيين متقاربان، بيد أنَّ الباحثة تلاحظ أنَّ المعاني اللغوية أشمل من المعاني الاصطلاحية وأنَّ المعاني الاصطلاحية جزءٌ منها.

فالذي يظهر للباحثة أن العلماء لم يخرجوا عن المدلول اللغوي، إلا أنهم قيده بقيود، وعليه، فإن الحق في الإسلام يستعمل للدلالة على معان عدة منها لفظية ومنها اصطلاحية، فهو أحياناً لبيان ما للشخص من التزام على آخر. ويطلق أحياناً على الحقوق الشخصية في العلاقات الأسرية، وقد يستعمل بمعنى الأمر الثابت المحقق حدوثه، أو المطابقة والموافقة والصواب، وغيرها من المعاني.

(1) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، عبد المنعم، 579/1

(2) التعريفات، الجرجاني، 120/1.

(3) انظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، عبد المنعم، 579/1

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 23 / 402

(5) انظر: المرجع السابق، ج 7 / 120

(6) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، ص 4562

(7) مفاتيح الغيب، الرازي، ج 2 / 364

ثانياً: معنى الباطل لغةً واصطلاحاً

1- معنى الباطل لغة:

قال ابن فارس: "(بَطَل) الباء والطاء واللام أصل واحد، وهو ذهاب الشيء مُكْنَهً ولُبْنَهً. يقال: بَطَلَ الشَّيْءُ يَبْطُلُ بَطْلاً وبُطُولاً، وسمي الشيطان الباطل لأنه لا حقيقة لأفعاله"⁽¹⁾.

والباطل هو نقيض الحق، وهو الذي لا يقره الشرع وقد جاءت مادة الباطل في لغة العرب على معان مختلفة يدور أغلبها على ما يلي:

أ- الضياع والخسران: يقال: بَطَلَ الشَّيْءُ يَبْطُلُ بَطْلاً وبُطُولاً: أي ذهب ضياعاً وخسراً⁽²⁾ فكل ما لا يقره الشارع مما هو فاسد شرعاً وعقلاً و عرفاً ضائع ذاهب، لا يُعَوَّلُ عليه، ولا يبني عليه حكم شرعي.

ب- الباطل نقيض الحق: أي الذي جاء على خلافة، وجمع الباطل: أباطيل وبواطل.

ت- المجيء بالباطل: أبطل أي جاء بالباطل واجتهد فيه.

ث- الشيء الذي لا حق فيه: باطل، أي بين البطول والبطلان، أي لا حق فيه البتة.

ج- تداول الباطل: وتبطلوا بينهم، أي: تداولوا الباطل، واجتهدوا في نشره.

ح- اللهو والجهالة: التبطل فعل الباطلة - بفتح الباء- وهو اللهو والجهالة.

خ- الذهاب: أبطلت الشيء جعلته باطلاً، أي: ذاهباً.

د- المجيء بالكذب: وأبطل فلان، أي: جاء بكذب، وادعى باطلاً⁽³⁾.

2- معنى الباطل اصطلاحاً:

تباينت تعريفات العلماء للباطل اصطلاحاً وذلك كما يلي:

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج 1/ 258

(2) لسان العرب، ابن منظور، ج 56/11

(3) المرجع السابق، ج 56/11 بتصرف.

- عرفه الجرجاني بقوله: "ما خالف الشرع، ولم يتعلق به النفوذ والإعتداد بالوصول إلى المقصود، ولم يحصل به المقصود، مما لا يعتد به في الأمور الفاسدة، ويكون في العبادات، وفي المعاملات، والعقود، وما يتعلق بذلك" (1).
 - وأما الشعراوي فقد عرفه بقوله: "الزائل الذاهب المضمحل الذي لا بقاء له ولا دوام" (2).
 - وعرفه الماتريدي (3) فقال: "هو الفعل الذي يذم عليه فاعله" (4).
 - الباطل عند الفقهاء: "هو الذي لا يكون صحيحاً بأصله وما لا يعتد به ولا يفيد شيئاً وما كان فائت المعنى من كل وجه مع وجوه الصورة إما لانعدام الأهلية أو المحلية كبيع الحر وبيع الصبي" (5).
 - قال المناوي: "الباطل والفاسد ضد الصحيح، وضد الحق، وهو ما لا ثبات له، من المقال، والفعال، عند الفحص عنه" (6).
 - وعرفه الكفوي بقوله: "هو ما أبطله الشرع حسنه كتزويج الأخوات" (7).
- كما استقرت تعابير الفقهاء على ذلك في العبادات والمعاملات، كقولهم: الصلاة باطلة، والبيع باطل؛ بمعنى عدم حصول الامتثال وسقوط الأمر في العبادات وعدم ترتب الأثر المطلوب من المعاملات، وهو حصول النقل والانتقال في البيع مثلاً.
- وقد يستعمل الباطل ويراد به خلاف الحق، وهو في القول والعقيدة والحكم، فيقال: عقيدة باطلة أو مذهب باطل أو برهان باطل، أي خلاف الحق.

وبالنظر في التعريفات السابقة ترى الباحثة أنها تعريفات ليست ضابطة ولا حاصرة للباطل، وقد اجتهدت في وضع تعريف تراه جامعاً ومانعاً للباطل وهو: كل ما أبطله الشرع ولا

(1) التعريفات، الجرجاني، ص 61

(2) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج 2/ 798

(3) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى ما تريد محلة بسمرقند، من مؤلفاته: التوحيد، أوهام المعتزلة، تأويلات أهل السنة، توفي بسمرقند، عام ثلاث وثلاثين وثلاثمائة هجري. انظر: الأعلام، للزركلي، ج 7/ 19

(4) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، ج 8/ 621

(5) التعريفات - الجرجاني - ص 61.

(6) التوقيف على مهمات التعريف، ص 69

(7) الكليات، الكفوي، ص 244

دليل عليه من الكتاب أو السنة ويطلق على كل عمل فاسد أو اعتقاد باطل ينشأ عند الإنسان بتزيين من شياطين الإنس أو الجن.

3- العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية:

إنَّ الناظر في المعاني اللغوية والاصطلاحية للباطل لا يجد فارقاً كبيراً، بل إنَّ كلا المعنيين متقاربان، بيد أنَّ الباحثة تلاحظ أنَّ المعاني اللغوية أعمُّ وأشمل من المعاني الاصطلاحية وأنَّ المعاني الاصطلاحية جزءٌ منها، وما يجمع بين المعنى اللغوي والاصطلاحى هو الزوال والذهاب، فما كان غير صحيح فهو إلى ذهاب، فالارتباط بين اللغوي والاصطلاحى يقوم على أنَّ الباطل، لا قيمة له، فسرعان ما يتلاشى بلا أثر يذكر.

ثالثاً: لفظتا الحق والباطل في السياق القرآني.

1. ورود لفظة الحق ومعانيها في السياق القرآني.

لقد وردت لفظة الحق ومشتقاتها في القرآن الكريم مائتين وثمان وثمانين مرة، وبعد استقراء جميع سور القرآن الكريم التي جاءت فيها لفظة الحق، فقد وجدت الباحثة أنها وردت في القرآن الكريم على معانٍ عديدة وهذه أهمها:

- **البيان الواضح**، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا سِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: 71] (قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ) أي: بالبيان الواضح⁽¹⁾ أو بالوصف البين التام الذي دل على تمييزها من بين أجناسها⁽²⁾.

والدليل على أن معنى الحق هو (البيان) هو استفهامهم عن أوصاف البقرة في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 71] فعندما عرفوا الأوصاف (قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ) أي: بالبيان الواضح، وهذا من جهلهم، وإلا فقد جاءهم بالحق أول مرة، فلو أنهم ذبحوا أي: بقرة لحصل المقصود،

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 1/ 353، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي،

ج 1/ 84، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج 1/ 55

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 1/ 353، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي،

ج 1/ 84

ولكنهم شددوا بكثرة الأسئلة فشدد الله عليهم، ولو لم يقولوا "إن شاء الله" لم يهتدوا أيضا إليها (1).

- تلاوته كما ينبغي، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة:121] قال ابن مسعود رضي الله عنه: والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقراه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله، وقال الحسن البصري: يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه. وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن مسعود: في قوله ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ يتبعونه حق اتباعه، وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها (2).

- الصدق، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ لِعَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة:144]، والسياق في هذه الآية يشير إلى معنى الصدق، لأن سبب نزول هذه الآية في تحويل القبلة وقوله: ﴿ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾، يعني هؤلاء الأحناف والعلماء من أهل الكتاب يعلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم مع شرعه ونبوته حق، أو إلى تحويل القبلة. وهذا أقرب، لأنه أنسب للسياق (3).

- العدل وهو الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [سورة النور:25]، أي في ذلك اليوم يوفيهم الله تعالى جزاءهم على أعمالهم بالتمام والكمال، وحينئذ ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ أي: وعده ووعيده وحسابه وهو العدل، الذي لا جور فيه (4).

- الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون:71]. قال

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1/55.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/403

(3) محاسن التأويل، القاسمي، ج1/425

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6/34

مجاهد وغيره: الحق هو الله عز وجل⁽¹⁾، والمعنى: لو جعل الله تعالى مع نفسه كما يحبون شريكاً لفسدت السموات والأرض⁽²⁾

- القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأنعام:5]، فقد كذبوا بالقرآن حين جاءهم، وهو حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فسوف يحل بهم ما أخبر به القرآن من عقاب الدنيا وعذاب الآخرة، ويتبين لهم صدق وعيده الذي كانوا يسخرون منه⁽³⁾.

- الإسلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:81]، الحق الإسلام، والباطل الشرك⁽⁴⁾، والمعنى: قل يا محمد منذراً قومك المشركين: جاء الحق وهو التوحيد ودين الإسلام الصحيح، وكل ما أمرني به ربي وأنزله إليّ، وزهق واضمحل وبطل وهلك الباطل وهو كل ما خالف الإسلام ثم علل زهوق الباطل بقوله: ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ في نفسه بجبلته وطبعه، قضاء قضاءه الله تعالى من الأزل⁽⁵⁾

- التوحيد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [القصص:75]، "أي لا إله غيره وحينئذ يعلمون أنه لا إله إلا الله الملك الحق، ولا حق غيره، فلا ينطقون، ولا يجيبون عن أي سؤال، ويتلاشى باطلهم، وما كانوا يدعون من دون الله"⁽⁶⁾.

- وجوب العذاب: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة:13]، أي حق القول مني لأعذب من عصاني بنار جهنم، ووجب العذاب من الله على أهل المعاصي والكفر⁽⁷⁾.

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 57/19، الدر المنثور، السيوطي، ج 110/6

(2) التفسير البسيط، الواحدي، ج 34/16

(3) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، ج 202/1

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص 645

(5) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج 496/11

(6) أيسر التفاسير، أسعد حومد، ص 3209

(7) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 176/20

- الحق الذي يصاد الباطل: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج:6]، "أي: أي ذو الحق، وأن من سواه باطل وأن جميع ما يأمر الله به ويفعله هو الحق لا الباطل كما يأمر به الشيطان من الباطل"⁽¹⁾.
- الدين الذي في الذمة: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلِيَمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [البقرة:282]. أي وليملل المدين على الكاتب ما في ذمته من الدين وليتق الله في ذلك، ولا يكتم منه شيئاً⁽²⁾.
- الأولوية والأحقية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ [البقرة:247]، وقال لهم نبيهم: إن الله استجاب لكم فاختر طالوت ملكاً عليكم فاعترض كبارؤهم على اختيار الله قائلين: كيف يكون طالوت ملكاً علينا ونحن أولى بالملك منه لأنه ليس بذي نسب، ولا من سلالة الأنبياء أو الملوك، وليس له مال، وهذا هو مقياس الأولوية عندهم⁽³⁾.
- الحظ والنصيب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:19]. أي: نصيب مقسوم أي للذي يسأل، والمحروم الذي لا يسأل؛ لتعففه وهذا الحق أوجبوه على أنفسهم، زيادة على الزكاة الواجبة⁽⁴⁾.
- الحاجة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [سورة هود:79]. قال قوم لوط لسيدنا لوط عليه السلام: لقد علمت من قبل أنه ليس لنا في النساء أي حق في نكاحهن، أو رغبة فيهن أو حاجة، وإنك لتعلم ما نريد، أي لا نريد إلا الرجال⁽⁵⁾.
- الإنجاز والتأكيد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

(1) التفسير البسيط، الواحدي، ج 15/276-277

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 1/724

(3) تيسير التفسير، إبراهيم القطان، ج 1/145

(4) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، ج 5/157

(5) التفسير الميسر، نخبة من أسانذة التفسير، ج 1/230

وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿التوبة:111﴾ والمعنى: أن الله تعالى جعل هذه الجنة التي هي جزاء المجاهدين تفضلاً منه وكرماً، حقاً لهم عليه وتأكيد للثمن الذي وعدهم الله به، أثبت لهم ذلك في الكتب السماوية التي أنزلها على رسله⁽¹⁾.

وهذه هي أهم المعاني التي اشتمل عليها لفظ الحق ومشتقاته في القرآن الكريم، وبالوقوف على مدلولات هذا اللفظ يتبين لنا سعة دلالاته.

وقد تتبعت الباحثة ورود لفظة الحق ومشتقاتها في الآيات المكية والمدنية، وذلك كما يلي:

أ. لفظة الحق ومشتقاتها في الآيات المكية:

وردت لفظة الحق ومشتقاتها في الآيات المكية في مائة وتسع وثمانين موضعاً موزعة على مائة وأربع وسبعين آية، في ثلاث وأربعين سورة، وذلك على النحو التالي:

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
1.	﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾	الأنعام	5
2.	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾	الأنعام	30
3.	﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾	الأنعام	57
4.	﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾	الأنعام	62
5.	﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾	الأنعام	66
6.	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾	الأنعام	73
7.	﴿فَأَيُّ الْقَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	الأنعام	81

(1) التفسير الوسيط ، طنطاوي، ص2049.

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
8.	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾	الأنعام	91
9.	﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾	الأنعام	93
10.	﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾	الأنعام	114
11.	﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾	الأنعام	141
12.	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾	الأنعام	151
13.	﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾	الأعراف	8
14.	﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾	الأعراف	30
15.	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِنَّمِ وَالْبُغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾	الأعراف	33
16.	﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾	الأعراف	43
17.	﴿ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴾	الأعراف	44
18.	﴿ يَقُولُ الَّذِينَ ذُصِّفُوا مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾	الأعراف	53
19.	﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾	الأعراف	89
20.	﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾	الأعراف	105
21.	﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	الأعراف	118
22.	﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾	الأعراف	146

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
23.	(وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)	الأعراف	159
24.	(أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ)	الأعراف	169
25.	(وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ)	الأعراف	181
26.	(إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ)	يونس	4
27.	(مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)	يونس	5
28.	(فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْبُغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)	يونس	23
29.	(وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)	يونس	30
30.	(فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)	يونس	32
31.	(كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا...)	يونس	33
32.	(قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)	يونس	35
33.	(إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ)	يونس	36
34.	(وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ)	يونس	53
35.	(أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)	يونس	55
36.	(فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ)	يونس	76
37.	(قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا)	يونس	77

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
38.	﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾	يونس	82
39.	﴿ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾	يونس	94
40.	﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	يونس	96
41.	﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	يونس	103
42.	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾	يونس	108
43.	﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾	هود	17
44.	﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴾	هود	45
45.	﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ ﴾	هود	79
46.	﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	هود	120
47.	﴿ قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾	يوسف	51
48.	﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾	يوسف	100
49.	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾	ابراهيم	19
50.	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ ﴾	ابراهيم	22
51.	﴿ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾	الحجر	8
52.	﴿ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَاظِمِينَ ﴾	الحجر	55
53.	﴿ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾	الحجر	64
54.	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾	الحجر	85

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
55.	﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	النحل	3
56.	﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾	النحل	36
57.	﴿ بَلَى وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	النحل	38
58.	﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾	النحل	102
59.	﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾	الإسراء	16
60.	﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾	الإسراء	26
61.	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾	الإسراء	33
62.	﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	الإسراء	81
63.	﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾	الإسراء	105
64.	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾	الكهف	13
65.	﴿ وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ﴾	الكهف	21
66.	﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾	الكهف	29
67.	﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾	الكهف	44
68.	﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾	الكهف	56
69.	﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾	الكهف	98
70.	﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾	مريم	34
71.	﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾	طه	114

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
72.	﴿ بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾	الأنبياء	18
73.	﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾	الأنبياء	24
74.	﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾	الأنبياء	55
75.	﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	الأنبياء	96
76.	﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾	الأنبياء	112
77.	﴿ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾	النور	25
78.	﴿ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾	النور	49
79.	﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾	الفرقان	33
80.	﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾	الفرقان	26
81.	﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾	الفرقان	68
82.	﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾	النمل	79
83.	﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	القصص	3
84.	﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	القصص	13
85.	﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾	القصص	39
86.	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ﴾	القصص	48
87.	﴿ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ﴾	القصص	53
88.	﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ﴾	القصص	63

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
89.	﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ﴾	القصص	75
90.	﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	العنكبوت	44
91.	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ﴾	العنكبوت	68
92.	﴿ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾	الروم	8
93.	﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾	الروم	38
94.	﴿فَانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾	الروم	47
95.	﴿ فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون ﴾	الروم	60
96.	﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	لقمان	9
97.	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾	لقمان	30
98.	﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾	لقمان	33
99.	﴿ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾	السجدة	3
100.	﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾	السجدة	13
101.	﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ ﴾	سبأ	6
102.	﴿ حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ ﴾	سبأ	23
103.	﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾	سبأ	26
104.	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾	سبأ	43

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
105.	﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَفْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾	سبأ	48
106.	﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾	سبأ	49
107.	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾	فاطر	5
108.	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	فاطر	24
109.	﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾	فاطر	31
110.	﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	يس	7
111.	﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	يس	70
112.	﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾	الصافات	31
113.	﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾	الصافات	37
114.	﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾	ص	14
115.	﴿حَصَمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾	ص	22
116.	﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾	ص	26
117.	﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾	ص	64
118.	﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾	ص	84
119.	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾	الزمر	2
120.	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾	الزمر	5
121.	﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْفَذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾	الزمر	19

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
122.	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾	الزمر	41
123.	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	الزمر	67
124.	﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾	الزمر	69
125.	﴿ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾	الزمر	71
126.	﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	الزمر	75
127.	﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ﴾	غافر	5
128.	﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	غافر	6
129.	﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ﴾	غافر	20
130.	﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾	غافر	25
131.	﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾	غافر	55
132.	﴿ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾	غافر	75
133.	﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّتْكَ بِبَعْضِ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْتْكَ فَالْيَتِيمَ الْيَرْجَعُونَ ﴾	غافر	77
134.	﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾	غافر	78
135.	﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾	فصلت	15
136.	﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾	فصلت	25
137.	﴿ سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾	فصلت	53

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
138.	﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾	الشورى	17
139.	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾	الشورى	18
140.	﴿ وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾	الشورى	24
141.	﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾	الشورى	42
142.	﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾	الزخرف	29
143.	﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾	الزخرف	30
144.	﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾	الزخرف	78
145.	﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	الزخرف	86
146.	﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الدخان	39
147.	﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾	الجاثية	6
148.	﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾	الجاثية	22
149.	﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾	الجاثية	29
150.	﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ ﴾	الجاثية	32
151.	﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾	الأحقاف	3
152.	﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾	الأحقاف	7
153.	﴿ وَهُمَا يَسْتَعْثِمَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾	الأحقاف	17

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
154.	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾	الأحقاف	18
155.	﴿فَالْيَوْمَ نَجْزِيهِمْ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾	الأحقاف	20
156.	﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾	الأحقاف	30
157.	﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾	الأحقاف	34
158.	﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ﴾	ق	5
159.	﴿كُلُّ كَذِّبٍ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾	ق	14
160.	﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾	ق	19
161.	﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾	ق	42
162.	﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾	الذاريات	19
163.	﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِفُونَ﴾	الذاريات	23
164.	﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾	النجم	28
165.	﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاتًا﴾	النبأ	39
166.	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾	الواقعة	95
167.	﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾	الحاقة	3-1
168.	﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾	الحاقة	51

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
169.	﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾	المعارج	24
170.	﴿وَأَذِنتُ لِرَبِّيهَا وَحَقَّتْ﴾	الانشقاق	2
171.	﴿وَأَذِنتُ لِرَبِّيهَا وَحَقَّتْ﴾	الانشقاق	5
172.	﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾	العصر	3

ب. لفظة الحق ومشتقاتها في الآيات المدنية:

وردت لفظة الحق ومشتقاتها في الآيات المدنية في تسع وتسعين موضعاً وهي موزعة على تسعين آية، في ست عشرة سورة، وذلك على النحو التالي:

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
1.	﴿قَالَمَا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾	البقرة	26
2.	﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	البقرة	42
3.	﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾	البقرة	61
4.	﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾	البقرة	71
5.	﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾	البقرة	91
6.	﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾	البقرة	109
7.	﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾	البقرة	104
8.	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	البقرة	119

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
9.	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾	البقرة	121
10.	﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	البقرة	146
11.	﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾	البقرة	147
12.	﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	البقرة	149
13.	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾	البقرة	176
14.	﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَوْلَادِ لِلَّذِينَ وَالِ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	البقرة	180
15.	﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾	البقرة	213
16.	﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾	البقرة	213
17.	﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرِدْهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾	البقرة	228
18.	﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾	البقرة	236
19.	﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	البقرة	241
20.	﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾	البقرة	247
21.	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾	البقرة	252
22.	﴿فَلْيَكْتُمُوا وَليُؤْمِنُوا الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلَيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾	البقرة	282
23.	﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾	البقرة	282

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
24.	﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾	البقرة	213
25.	﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	آل عمران	3
26.	﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	آل عمران	21
27.	﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْتَرِينَ ﴾	آل عمران	60
28.	﴿ إِنَّ هَذَا لَهَوَ الْقَصَصِ الْحَقِّ ﴾	آل عمران	62
29.	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	آل عمران	71
30.	﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ﴾	آل عمران	86
31.	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾	آل عمران	102
32.	﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾	آل عمران	108
33.	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾	آل عمران	112
34.	﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾	آل عمران	154
35.	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾	آل عمران	171
36.	﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾	آل عمران	181
37.	﴿ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾	النساء	122

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
38.	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾	النساء	105
39.	﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾	النساء	151
40.	﴿ قَبِمَا نَقُضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ ﴾	النساء	155
41.	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾	النساء	170
42.	﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾	المائدة	27
43.	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ... وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾	المائدة	48
44.	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾	المائدة	77
45.	﴿ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾	المائدة	83
46.	﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ ﴾	المائدة	84
47.	﴿ فَإِنْ عُدِرَ عَلَىٰ أُنْفُسِهِمْ اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَجْنَا يَسْفُوتًا مَقَامَهُمَا... فَيُفْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا ﴾	المائدة	107
48.	﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ ﴾	المائدة	116
49.	﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾	الأنفال	4
50.	﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾	الأنفال	5
51.	﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ ﴾	الأنفال	6

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
52.	﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾	الأنفال	7
53.	﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾	الأنفال	8
54.	﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾	الأنفال	32
55.	﴿ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾	الأنفال	74
56.	﴿ أَنْتَخَشُونَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾	التوبة	13
57.	﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾	التوبة	29
58.	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾	التوبة	33
59.	﴿ لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ ﴾	التوبة	48
60.	﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾	التوبة	62
61.	﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾	التوبة	108
62.	﴿ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾	التوبة	111
63.	﴿ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ ﴾	الرعد	1
64.	﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾	الرعد	14
65.	﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾	الرعد	17
66.	﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾	الرعد	19
67.	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّبُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	الحج	6

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
68.	﴿ وَكَبِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾	الحج	18
69.	﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾	الحج	40
70.	﴿ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنََّّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ﴾	الحج	54
71.	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾	الحج	62
72.	﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	الحج	74
73.	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾	الحج	78
74.	﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُنُاقًا ﴾	المؤمنون	41
75.	﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ﴾	المؤمنون	62
76.	﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾	المؤمنون	70
77.	﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾	المؤمنون	71
78.	﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُمُ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾	المؤمنون	90
79.	﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾	المؤمنون	116
80.	﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾	الأحزاب	4
81.	﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾	الأحزاب	37
82.	﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾	الأحزاب	53
83.	﴿ وَأَمَّنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ ... ﴾	محمد	2

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
84.	﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾	محمد	3
85.	﴿ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾	الفتح	26
86.	﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﴾	الفتح	27
87.	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾	الفتح	28
88.	﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾	الحديد	16
89.	﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾	الحديد	16
90.	﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾	المتحنة	1
91.	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾	الصف	9
92.	﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴾	التغابن	3

ج. موضوعات الآيات المكية والمدنية التي وردت لفظه الحق ومشتقاتها في سياقها:

1 - موضوعات الآيات المكية:

تتبعت الباحثة لفظه الحق ومشتقاتها في الآيات المكية فلاحظت أنها وردت في سياق الموضوعات الآتية:

- تحدثت الآيات المكية التي وردت لفظه الحق ومشتقاتها في سياقها عن موعظة المعرضين عن آيات القرآن والمكذِّبين بالدِّينِ الحق، وتهديدهم بأن يحل بهم ما حل بالمكذِّبين من قبلهم، والكافرين بنعم الله تعالى، وأنهم ما يضررون بالإنكار إلا أنفسهم، ووعيدهم بما سيُلْقون عند نزع أرواحهم.

- كما بينت أن الذين يَسْتَجِيبُونَ لدعوة الحق، هم الذين يَسْمَعُونَ ويتعظون ممَّن قلوبهم حيَّة، أما من ماتت قلوبهم فهم لا يَنْتَفِعُونَ بموعظة، ولا يَقْبَلُونَ هداية، ومصيرهم إلى الله وسيُجازيهم على جُحودهم وأعمالهم المنكرة.
- وتحدثت عن وَزْنِ الأَعْمَالِ يوم القيامة، وتذكير النَّاسِ بِنِعْمَةِ خَلْقِ الأَرْضِ، وتمكين النَّوعِ الإنساني من خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وبنعمة الله على هذا النَّوعِ بِخَلْقِ أصله وتفضيله.
- كما تحدثت عن أحوال الرُّسُلِ - عليهم السلام - مع أقوامهم المُشْرِكِينَ، وما لاقوه من عناد وأذى.
- وتحدثت أيضاً عن إثبات الحشر والجزاء، والتَّذْكِيرِ بِمَصِيرِ الخلائق، وانقسام البشر إلى مؤمنين وكفار، وجزاء كل منهم.
- كما وردت في معرض الحديث عن تثبيت الله لنبيه ﷺ، وأمره بالمداومة على الصلاة، وعلى قراءة القرآن، وأن يدعو الله بأن يُحسِنَ مدخله ومُخْرَجَه، ويُعلنَ مَجِيءَ الحق وزهوق الباطل.
- وتحدثت عن إثبات وحدانية الله تعالى، وبيان قدرته في خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، وخَلْقِ الإنسان والحيوان، وإنزال الماء من السماء، وتسخير الشمس والقمر، والليل والنهار إلى غير ذلك. كما وجهت الرسول ﷺ إلى الصبر على دعوته، وما يلقاه من الناس فيها، والاطمئنان إلى أن وعد الله حق، فلا يقلقه، ولا يستخفه الذين لا يوقنون. وهذا توجيه غير مباشر لحملة الدين في كل زمان ومكان.
- وتحدثت عن سنة الله سبحانه في القرون الماضية الذين أهلكهم، وأن عاقبة الترف والفسق الدمار والهلاك.
- كما صورت بعضاً من مشاهد يوم القيامة بما فيه من إنابة وخشوع.
- وتحدثت عن الثناء على القرآن وبيان إعجازه، وذكر مطالب المشركين من الرسول ﷺ، وردده ﷺ على هذا بأنه خارج عن وظيفة الرسول ﷺ وطبيعة الرِّسَالَةِ.
- كما تحدثت عن أن هذا القرآن أنزله الله تعالى بالحق، وبالحق نزل، وأنه فصله وبينه وأحكمه ليقرأه النبي ﷺ على الناس على تَوَدُّةٍ وترتيل.
- كما تحدثت عن سنة من سنن الله ﷻ التي لا تتخلف، وهي أن العاقبة للمؤمنين، وتحدثت أيضاً عن رسالة نبيه ﷺ، وعن موقفه من أعدائه.
- كما أثبتت الآيات المكية أن الذين يجادلون في آيات الله بغير حجة ولا برهان، إنما يدفعهم إلى هذا كِبْرٌ في نفوسهم عن الحق، وهم أصغر وأضأل من هذا الكبير.

فبالنظر إلى موضوعات الآيات المكية تلاحظ الباحثة أنها تتناسب مع طور الدعوة الإسلامية في المرحلة المكية، حيث جاءت الآيات تتحدث عن الدعوة إلى سبيل الله تعالى وعن إثبات وحدانية الله تعالى، وبيان قدرته في الخلق، كما تحدثت عن الأمور العقديّة والبعث والجزاء ووزن الأعمال يوم القيامة، وتذكير الناس بنعم الله تعالى، وذكرت أحوال الرسل عليهم السلام مع أقوامهم المشركين، وما آل إليه مالهم في الدنيا بالإضافة إلى ما ينتظرهم من عذاب في الآخرة، وفي ذلك رسالة واضحة إلى مشركي مكة وكفارها، وكل ذلك كله يتناسب مع المرحلة المكية وما كان يشوبها من الشرك والكفر .

2 - موضوعات الآيات المدنية:

تتبعت الباحثة لفظة الحق ومشتقاتها في الآيات المدنية فلاحظت أنها وردت في سياق الموضوعات الآتية:

- دعت الآيات المدنية أهل الكتاب إلى الدين الحق، ونهتهم عن الغلو في الدين، ومن ذلك غلوهم في المسيح عيسى ابن مريم، وقولهم بالتثليث.
- أقرت الآيات المدنية أن الحكم لله تعالى وحده، وأنه لا حكم أحسن من حكم الله تعالى، ودعت إلى الحكم بما أنزل الله تعالى، وإلغاء حكم الجاهلية وتقبيحه.
- تحدثت أيضاً عن المؤمنين الصادقين، وبشّرتهم بالدرجات الرفيعة والمنازل العالية.
- كما تحدثت عن الخروج إلى غزوة بدر، وكراهة فريق من المؤمنين لذلك، وما لقيه المؤمنون في هذه الغزوة من نصر وتأييد من الله تعالى، ولطفه بهم، وامتنانه عليهم، والأمر بالاستعداد لحرب الأعداء، والأمر باجتماع الكلمة، والنهي عن التنازع.
- كما وجهت الآيات المدنية عدة نداءات للمؤمنين، وإرشادهم في كل واحد منها إلى ما فيه خيرهم وفلاحهم.
- وذكرت أيضاً ما عليه المشركون من جهل وعناد، وحرصت على قتال المشركين الناكثين أيمانهم وعهودهم.
- كما بينت أن مقامه ﷺ بمكة كان أماناً لأهلها، فلما فارقهم حَقّ عليهم عذاب الدنيا؛ بما اقترفوا من الصد عن المسجد الحرام.
- وتحدثت عن الرسالة المحمدية وما امتازت به من كثرة الدلائل والمعجزات على صحتها وأنها دين الحق المشتمل على الصواب والصالح، وأن الإسلام يعلو على كل الأديان.

- كما ذكرت أوصاف المنافقين، ودسائسهم الماكرة، وأذاهم للرَّسولِ ﷺ بالقول والفعل، وأيمانهم الكاذبة، وأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف، وكذبهم في عهودهم وسخريتهم بضعفاء المؤمنين، والأمر بجهادهم، والنهي عن الاستعانة بهم، والاستغفار لأحيائهم، والصلاة على أمواتهم.
- كما جاءت لفظة الحق في سياق ضرب مثلين للحق والباطل، وعقد مقارنة بين مصير أتباع الحق، ومصير أتباع الباطل، مع بيان أوصافهما .
- بينت بطلان أعمال الكافرين؛ بسبب إعراضهم عن الحق واتباع الباطل، والوقوف في وجه الدعوة؛ ليصدوا الناس عن دين الله، وأنه سبحانه كَفَّرَ عن المؤمنين سيئاتهم؛ لأنهم نصروا الحق، وسلكوا طريقه، واتبعوا ما أنزل على محمد ﷺ، فكان ذلك كفالة للمؤمنين بالنصر على أعدائهم.
- كما دعت الآيات المدنية إلى الدفاع عن الحق، وما يتطلبه ذلك عند لقاء الكفار في بدء المعركة ونهايتها، وذكر جزاء من قتل في سبيل الله تعالى.
- وتحدثت أيضاً عن جزاء الذين صدُّوا عن سبيل الله تعالى، وشاقُّوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى أنهم لن يضرروا الله شيئاً، وسيحبط أعمالهم.
- كما تحدثت عن وحدة الشرائع في أصولها وصلة الإسلام بما قبله.
- وحذرت من موالاة أعداء الله الذين آذوا المسلمين واضطروهم للهجرة عن ديارهم .
- كما بينت مشروعية الجهاد بأنواعه: جهاد الهوى، والنفس، والشيطان، ومطاردة وساوسه، وجهاد أهل الظلم والبدع.

فمن خلال النظر إلى موضوعات الآيات المدنية يلاحظ أنها تتناسب مع طور الدعوة الإسلامية في المرحلة المدنية، حيث جاءت الآيات تتحدث عن الجهاد في سبيل الله تعالى وتفصيل أحوال أهل الكتاب، وقضح ضلالاتهم، وما وقعوا فيه من اختلاف في أمر دينهم، وما ارتكبوه من جرائم وموبقات بتكذيبهم بآيات الله، وقتلهم أنبياءه والدعاة إليه، وامتناعهم عن التحاكم إلى كتابه، وذكر مجموعة من صفاتهم التي اتَّصفوا بها ومنها كُفْرهم بآيات الله تعالى ولبسهم الحق بالباطل، وليهم ألسنتهم بالكتاب بما ليس منه إيهاما للمؤمنين.

وبعد هذه الدراسة تخرج الباحثة بنتيجة هامة وهي أن لفظة الحق قد وردت في العهدين المكي والمدني في سياق آيات تشتمل على موضوعات تتناسب كل مرحلة من مراحل الدعوة وتتناغم مع مصالح وأحوال المدعوين، وهذا يدل أن أهل مكة استحوذ عليهم الباطل وأن أهل المدينة ارتفع فيهم سهم الإيمان، وانتشرت بينهم تعاليم الإسلام.

2. ورود لفظة الباطل ومعانيها في السياق القرآني:

وردت لفظة الباطل في السياق القرآني في اثنين وثلاثين مرة وبعد استقراء جميع سور القرآن الكريم التي وردت فيها لفظة الباطل فقد وجدت الباحثة أنها وردت في القرآن الكريم على معان عديدة وهذه أهمها:

- **الخط والكذب**، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 42]، والمعنى لا تخلطوا الحق بالباطل، والصدق بالكذب، قال أبو العالية: (ولا تخلطوا الحق بالباطل)، وقال قتادة (1). في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ {لا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام وأنتم تعلمون أن دين الله الإسلام، وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله(2)، ولا شك في أن الكذب باطل؛ فضرره ظاهر، وسرعان ما يظهر ويعرفه الناس.

- **أكل المال ظلماً**، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188]، أي يأكل بعضكم مال بعض بغير وجه مشروع، والمراد بالأكل: الأخذ والاستيلاء، وعبر به، لأن المقصود الأعم من المال هو الأكل، وأكل المال بالباطل له وجهان: الأول - أخذه على وجه الظلم والسرقة والغصب، أو عن طريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور، والثاني - أخذه من جهة محظورة كالقمار، وأجرة الغناء، ونحو ذلك من سائر الوجوه التي حرمها الشرع (3)

- **إبليس أو الشيطان**، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: 3]، فكل جريمة ترتكب في

(1) قتادة: هو قتادة بن دُعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطَّاب البصري الضرير، ثقة ثبت، كان رأساً في العربية والغريب، وأيام العرب وأنسابها، حتى قال فيه أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة من أنسب الناس، يُقال ولد أمه، مات سنة 117 هـ، انظر: تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ص 453، وطبقات النسابين، ليكر أبو زيد، ج 33/1

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 1/ 245

(3) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج 2/ 163

- الحيلة سببها تزيين الشيطان، والمعنى: أي اتبعوا وسوسته في كل ما يمليه عليهم ويزينه لهم من الكفر والشرك والمعاصي⁽¹⁾، قال ابن أبي زمنين "اتبعوا الباطل، يعني: إبليس"⁽²⁾
- الأَصْنَام، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: 81]، قال قتادة: الحق: القرآن، والباطل: الشيطان. وقيل: الحق: عبادة الله، والباطل: عبادة الأصنام⁽³⁾. ويؤيد هذا القول ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وحول البيت ستون وثلاثة مائة نُصْبًا، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: 81]⁽⁴⁾
- الشرك والكفر، قال تعالى: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [الأنفال: 8]، أي: "ليظهر دينه الإسلام بمكة ويذهب بالشرك أو الكفر ويمحقه وإن كره المشركون أن يكون ذلك"⁽⁵⁾.
- الفاسد المضمحل، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّوْنَ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 139]، "أي الذين عكفوا على أصنامهم مهلك ومدمر ما هم فيه وعملهم للشيطان ليس لله تعالى فيه نصيب"⁽⁶⁾، فمآل ما هم فيه إلى ضلال، فلا قيمة لسعيهم.
- الحبوط وذهاب الأجر، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: 264]، يخاطب الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين وينهاهم نهياً صارماً عن

(1) انظر: تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، ج 4/ 234، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج 457/7

(2) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، ج 4/ 23

(3) تفسير القرآن، السمعاني، ج 3/ 271

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [سورة الإسراء: 81]، ج 6/ 86: رقم الحديث 4720، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير/ باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ج 3/ 1408: رقم الحديث 1781

(5) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ابن عباس، جمعه: مجد الدين الفيروز آبادي، ص 145

(6) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص 411

إبطال صدقاتهم وإحباط أجرها بالمن والأذى، فتكونوا إن فعلتم ذلك كمثل المنافقين الذي ينفقون أموالهم رياءً أمام الناس، بدافع الشهرة وحب الثناء (1).

- ما لا ثبات له عند الفحص، قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: 81]، والمعنى: قل يا محمد منذراً قومك - المشركين - : جاء الحق من التوحيد والدين الصحيح وكل ما أمرني به ربي وأنزله إليّ، وزهق واضمحل وبطل وهلك الباطل وهو كل ما خالفه؛ ثم علل زهوقه بقوله: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ﴾ في نفسه بجبلته وطبعه زهوقاً؛ قضاء قضاء الله تعالى من الأزل (2)

قال ابن عاشور: "وجملة إن الباطل كان زهوقاً تنبيل للجملة التي قبله لما فيه من عموم يشمل كل باطل في كل زمان، وإذا كان هذا شأن الباطل كان الثبات والانتصار شأن الحق لأنه ضد الباطل فإذا انتفى الباطل ثبت الحق" (3).

-الزيادة والنقصان، قال تعالى: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت: 42]، قال الزجاج: (4) "فيه وجهان: أحدهما أن الكتب التي تقدمت لا تبطله ولا يأتي بعده كتاب يبطله، والوجه الثاني أنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزداد فيه فيأتيه الباطل من خلفه (5)، من خلال ما سبق يتضح أن معنى الباطل في هذه الآية هو: الزيادة والنقصان (6)

وقد تتبعت الباحثة ورود لفظة الباطل ومشتقاتها في الآيات المكية والمدنية، وذلك كما يلي:

(1) انظر: تيسير التفسير، القطان، ج1/ 156

(2) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج11/ 496

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج15/ 188

(4) الرَّجَّاحُ: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السُّرِّي بن سهل الزجاج، النحوي، كان من أهل العلم بالأدب والدين، صنف العديد من الكتب، أشهرها كتاب معاني القرآن في التفسير، كان يعمل في صناعة الزجاج، فتركها واشتغل بالأدب، توفي في سنة 310 ببغداد، وقد قارب الثمانين حين وفاته. انظر: معجم المؤلفين،

كحالة، ج1/ 33، طبقات المفسرين، للداودي ج1/ 9

(5) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج4/ 388

(6) الباطل في القرآن، قاسم، سميح، ص8-11

أ. لفظة الباطل ومشتقاتها في الآيات المكية:

وردت لفظة الباطل ومشتقاتها في الآيات المكية عشرين مرة، موزعة على عشرين آية،

وفي ست عشرة سورة، وذلك على النحو التالي:

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
1.	﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	الأعراف	118
2.	﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّوْنَ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	الأعراف	139
3.	﴿ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾	الأعراف	173
4.	﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾	يونس	81
5.	﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	هود	16
6.	﴿ أَقْبَالَ بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾	النحل	72
7.	﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾	الكهف	56
8.	﴿ بَلْ تَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾	الأنبياء	18
9.	﴿ وَلَا تَخْطُئْهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾	العنكبوت	48
10.	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	العنكبوت	52
11.	﴿ أَقْبَالَ بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾	العنكبوت	67
12.	﴿ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾	الروم	58
13.	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴾	ص	27

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
14.	﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾	غافر	5
15.	﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾	غافر	78
16.	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾	الجاثية	27
17.	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾	لقمان	30
18.	﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾	سبأ	49
19.	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾	فصلت	42
20.	﴿وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾	الشورى	24

ب- لفظه الباطل ومشتقاتها في الآيات المدنية:

وردت لفظه الباطل ومشتقاتها في الآيات المدنية في اثني عشرة موضعاً وهي موزعة على اثنتي عشرة آية، وفي ثماني سور وذلك على النحو التالي:

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
1.	﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	البقرة	42
2.	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾	البقرة	188
3.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾	البقرة	264
4.	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾	آل عمران	71
5.	﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	آل عمران	191
6.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾	النساء	29

الرقم	الآية القرآنية	السورة	رقم الآية
7.	﴿ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾	النساء	161
8.	﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾	التوبة	34
9.	﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾	الرعد	17
10.	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾	الحج	62
11.	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ﴾	محمد	3
12.	﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾	محمد	33

ج. موضوعات الآيات المكية والمدنية، التي وردت لفظة الباطل ومشتقاتها في سياقها.

1- موضوعات الآيات المكية :

تتبعت الباحثة لفظة الباطل ومشتقاتها في الآيات المكية فلاحظت أنها وردت في سياق الموضوعات الآتية:

- وردت لفظة الباطل في الآيات المكية في سياق الحديث عن بيان سنته تعالى في أن الحق والباطل إذا التقيا في أي ميدان فالغلبة للحق دائماً.
- كما وردت في سياق الحديث عن بني إسرائيل وجحودهم لنعم الله عليهم، وأن عملهم إلى زوال، وأن عهد الوثنية من الأرض سينتهي؛ لمناقضته العقل والفطرة.
- كما ذكرت بطلان حجج المشركين يوم القيامة، بأنه لم يأتهم رسول ينبههم إلى التوحيد، وتقليدهم للآباء والأجداد في أصول العقيدة والدين.
- بينت الآيات المكية حقيقة السحر، وأنه تمويه وزيف باطل، والله تعالى يحق الحق، ويبطل الباطل، ولو كره المجرمون.

- وأثبتت حجج القرآن التي هي الحق، ومتى رمى بها على الباطل دمغته، فذهب واضحمل.
- كما أثبتت وجود الله تعالى، وسعة علمه وشمول قدرته كل شيء، وأنه تعالى حق، وهو مصدر الوحي والقرآن .
- كما بينت بطلان الجدل بالباطل لدحض الحق وإبطال الإيمان، بالاعتماد على الشبهات.
- وقررت البعث والجزاء، وأبطلت ظن من يظن أن الحياة الدنيا خلقت عبثاً وباطلاً.
- وتوعدت الكافرين والمكذابين بالرسالة المحمدية بالعذاب الشديد .

يتضح أن الموضوع الذي تعالجه الآيات المكية هو العقيدة بموضوعاتها الرئيسية: الوحي والوحدانية والآخرة خاصة إذا عرفنا أن هذه الآيات تتجه إلي بيان صدق الوحي بهذه العقيدة، ووهن عقيدة الشرك، كما أن هذا الدفاع القرآني عن النبي ﷺ ليس غريباً على الآيات المكية التي أثبتت رسالة النبي ﷺ ونفت عنه كل تهمة حاول الأعداء إلصاقها به وهذا هو منهج القرآن الكريم في الدفاع عن أنبياء الله ورسوله.

ب- موضوعات الآيات المدنية:

تتبعت الباحثة لفظة الباطل ومشتقاتها في الآيات المدنية فلاحظت أنها وردت في سياق الموضوعات الآتية:

- حرمت الآيات المدنية أكل أموال الناس بالباطل، وحذرت من فعل ذلك، وحثت على الإنفاق في سبيل الله، وتوعدت الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل.
- كما حرمت خلط الحق بالباطل؛ تضليلاً للناس، وصرفهم عن الحق.
- كما أوضحت عدم قبول الصدقة التي يعلم الله من صاحبها المن أو الأذى، وعبر الله تعالى عن عدم القبول وحرمان الثواب بالإبطال.
- وشبهت الآيات المدنية الباطل والكفر بالزبد الذي يعلو الماء، فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الأودية، وتنسفه الرياح، فكذلك الكفر وشبهاته وخيالاته تذهب وتضمحل، ويبقى الجوهر الصافي من الماء، والمعدن النقي.
- كما بينت جزاء أهل مكة الذين كفروا بتوحيد الله، وصدوا أنفسهم والمؤمنين عن دين الله تعالى، بإبطال ثمرة أعمالهم في كفرهم، بما كانوا يسمونه مكارم الأخلاق.

فمن خلال ما سبق يتضح للباحثة:

أن الخطاب القرآني الهادئ في أسلوبه الواضح في دلالاته يتناسب مع أجواء الدعوة الإسلامية على أرض المدينة المنورة ويتناغم مع الأجواء الإيمانية السائدة فهو يظهر وضوح الرؤية للجميع، فالحق واضح والباطل واضح ولا إكراه في الدين بعد سيادة الدين وظهور الحق من الباطل.

وبهذا يتبين للباحثة بعد هذه الدراسة أن لفظة الباطل قد وردت في سياقها المناسب وبما تقتضيه مصلحة الدعوة وحاجة المدعوين، وبعد هذا العرض السريع، والاستقصاء الدقيق من الباحثة للفظتي الحق والباطل، في السياق القرآني؛ يظهر بجلاء دقة أسلوب القرآن، في اختيار الألفاظ المناسبة، في السياقات القرآنية المناسبة، وضمن الموضوعات المناسبة، سواء في العهد المكي أو المدني، وليس هذا غريباً ولا عجيباً فهو كلام من لدن حكيم خبير الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا يدل على أن أهل مكة استحوذ عليهم الباطل، وأن أهل المدينة قد ارتفع عندهم منسوب الإيمان فقل وجود الباطل.

الفصل الأول:

صور من الحق والباطل في ضوء القرآن
الكريم مع الدراسة المقارنة

الفصل الأول:

صور من الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة

تتبعت الباحثة خلال هذا الفصل آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن صور من الحق والباطل، وقامت بدراستها دراسة تفسيرية موضوعية مقارنة، وذلك من خلال كتب التفسير الأصيلة والحديثة، وقد تناولت الباحثة دراسة هذه الآيات من كتب التفسير بالمأثور، وكتب التفسير بالرأي المحمود، وقامت بإجراء مقارنة بين مناهج المفسرين المختلفة في تفسير الآية الواحدة.

وقد قسمت الباحثة الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول:

صور من الحق في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة

تعددت صور الحق في القرآن الكريم وبعد تتبع الباحثة لهذه الصور تبين لها أنها تشمل خلق السموات والأرض بالحق، ومجيء الرسل وإرسالهم، وإنزال الكتب، والنطق بها بالحق، وتلاوة القرآن بالحق، وقصص الأنبياء في القرآن، وإيمان المؤمنين، والشهادة بأن الرسول ﷺ حق. وهذا ما ستبينه الباحثة بالتفصيل من خلال المطالب الآتية .

المطلب الأول:

خلق السماوات والأرض بالحق

من صور الحق في القرآن الكريم خلق السموات والأرض بالحق، وقد أفاض القرآن الكريم في حديثه عن خلق السموات والأرض، وقد ورد ذلك في آيات عديدة.

- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: 73]
- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ [إبراهيم: 19]
- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الحجر: 85]
- ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: 3]
- ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت: 44]
- ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [الروم: 8]
- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: 27]
- ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ ﴾ [الزمر: 5]
- ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [التغابن: 3]
- ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الأحقاف: 3]

وسأقتصر تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:73] وذلك على سبيل المثال:

وتتوه الباحثة إلى أنها ستذكر الآيات المتعلقة بموضوع المطلب وتناولت واحدة منها بالتفسير والمقارنة وذلك في البحث كله.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام الطبري في تفسير هذه الآية أن الله ﷻ أمر نبيه محمداً ﷺ: أن يقول للكافرين: أمرنا لنسلم لرب العالمين، الذي خلق السماوات والأرض بالحق، لا من لا ينفع ولا يضر، ولا يسمع ولا يبصر.

وأضاف الإمام الطبري قائلاً: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: "بالحق" فقال بعضهم: معنى ذلك، وهو الذي خلق السماوات والأرض حقاً وصواباً، لا باطلاً وخطأً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴾ [سورة ص: 27]، قالوا: وأدخلت فيه "الباء" و"الألف واللام"، كما تفعل العرب في نظائر ذلك فنقول: فلان يقول بالحق، بمعنى: أنه يقول الحق.

وقال آخرون: معنى ذلك: خلق السماوات والأرض بكلامه وقوله لهما: ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت: 11]، قالوا: فالحق، في هذا الموضع معني به: كلامه. واستشهدوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ [الأنعام: 73]، ولهذا، وجب أن يكون كلام الله غير مخلوق⁽¹⁾.

وذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ "أي خلقهما بالعدل، فهو خالفهما ومالكهما، والمدبر لهما ولمن فيهما"⁽²⁾. وفسرها السمرقندي بقوله: "أي للحق والعبرة"⁽³⁾.

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج9/ 335-336

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 3/ 281

(3) بحر العلوم، السمرقندي، ج1/ 459

وذكر الماوردي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ "في الحق الذي خلق به السموات والأرض أربعة أقاويل: أحدها: أنه الحكمة، والثاني: الإحسان إلى العباد، والثالث: نفس خلقها فإنه حق، والرابع: يعني بكلمة الحق" (1).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الخازن في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ "أي إظهاراً للحق فعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام لأنه جعل صنعه دليلاً على وحدانيته. وقيل: خلقهما بكمال قدرته وشمول علمه وإتقان صنعه وكل ذلك حق. وقيل خلقهما بكلامه الحق وهو قول كن وفيه دليل على أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق لأنه لا يخلق مخلوق بمخلوق" (2).

وفسرها أبو السعود فقال: "أريد بخلق السموات والأرض خلق ما فيهما أيضاً وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات" (3).

وأما الإمام الألويسي فيقول في معنى الآية: "أي خلق الله ﷻ السموات والأرض، ولعله أريد بخلقهما خلق ما فيهما، وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات. وقوله سبحانه: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل خُلِقَ أي قائماً بالحق، كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص: 27] وجوز أن يكون حالاً من المفعول أي متلبسة بالحق، وأن يكون صفة لمصدر الفعل المؤكد أي خلقاً متلبساً بالحق" (4).

وفسرها الماتريدي فيرى أن معنى: "(بِالْحَقِّ)"، أي: خلق السموات والأرض بالحق ولم يخلقهما باطلاً؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [ص: 27].

وهو يحتمل وجوهاً: قيل: خلقهما للعاقبة؛ لأن كل أمر لا عاقبة له فهو باطل ليس بحق، فإنما خلق السموات والأرض وما بينهما للعاقبة وذلك لأمر عظيم؛ كقوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: 5-6] وقيل: قوله: (بِالْحَقِّ)، أي: خلقهما ليمتحن فيهما ولمحنة سكانهما، لم يخلقهما لغير شيء.

(1) النكت والعيون، الماوردي، ج2/ 132

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج2/ 124

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج3/ 150

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألويسي، ج5/ 382

وقيل: (بالحق)، أي: خلقهما بالحكمة من نظر فيهما وتدبر؛ للدلالة على أن لهما خالقاً ومدبراً، والدلالة على أن مدبرهما ومنشئهما واحد، فإذا كان كذلك كان خلقهما بالحق بالحكمة والعلم⁽¹⁾

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

أولاً: منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

- من خلال النظر في التفاسير السابقة تلاحظ الباحثة ما يلي: أن الإمام الطبري والذي يسير على منهج التفسير بالمأثور قد فسر القرآن بالقرآن، كما فسر الآية بمفهوم المخالفة، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ﴾ [ص: 27] لما نفى الله عَنَّا خلق السموات والأرض وما بينهما بالباطل دل على أنه خلقهما بالحق، كما اعتنى الإمام الطبري بذكر آراء أهل التأويل .
- أما ابن كثير والسمرقندي وهما من أصحاب منهج التفسير بالمأثور فقد فسرا الآية بإيجاز شديد مع أن الآية لها شواهد من القرآن الكريم، فهم في هذه الآية لم يسلكا منهجها بالتفسير بالمأثور، مع إمكانية الالتزام به.

ثانياً: منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من الإمامين الألويسي والماتريدي، قد فسرا القرآن بالقرآن، بالإضافة إلى إثراء المعنى بالتطرق إلى الجوانب النحوية، وذكر بعض الوجوه المعنوية للفظة الحق، وبهذا يتبين للباحثة أن صاحبي منهج التفسير بالرأي قد سارا على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليهما من آرائهما المحمودة.
- ومن خلال المقارنة بين أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود ترى الباحثة بأن كلا الفريقين قد تطرق لمفهوم المخالفة للآية وذلك ببيان أن الحق عكسه الباطل ليتسنى لهم الاستشهاد بالآيات القرآنية التي تتحدث عن الباطل والذي هو ضد الحق.

(1) تفسير الماتريدي، الماتريدي، ج4/ 126

المطلب الثاني:

مجيء رسل الله تعالى للهداية إلى الحق

من صور الحق في القرآن الكريم مجيء رسل الله تعالى لهداية الناس إلى الحق، وقد تحدث القرآن الكريم عن صورة الحق هذه في موضعين من القرآن الكريم وهما:

1. قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُّمُ الْجَنَّةَ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:43].
2. وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف:53].

حيث سنتناول الباحثة الآية الثانية بالتفسير والمقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام الطبري في تفسيره للآية: أي ما ينتظر أهل مكة إلا عاقبة ما وعدوا به من العذاب والنكال يوم القيامة وحينئذ يقول الذين ضيّعوا وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل إليه أمرهم يومئذ من العذاب، فيقسم المساكين حين يعاينوا البلاء ويحلّ بهم العقاب: أنّ رسل الله التي أتتهم بالندارة وبلغتهم عن الله الرسالة، قد كانت نصحت لهم وصدّقتهم عن الله، وذلك حين لا ينفعهم التصديق. ولا ينجيهم من سخط الله وأليم عقابه كثرة القول والقيام.

وعن مجاهد: ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ ﴾، قال: أعرضوا عنه⁽¹⁾.

ويقول السمرقندي في تفسير الآية: أي ما ينتظرون إلا عاقبة ما وعدهم الله به وهو يوم القيامة فيقول: "الذين تركوا العمل والإيمان في الدنيا وذلك أنهم حين عاينوا العذاب، وذكروا قول الرسل، وندموا على تكذيبهم إياهم فيقولون: ﴿ قَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾؛ أي بأمر البعث فكذبناهم ويسألون عن الشفعاء، لأنهم يرون الشفعاء يشفعون للمؤمنين، فيقال لهم: ليس لكم شفيع، فيقولون: هل نرد إلى الدنيا فنصدق الرسل ونعمل غير الشرك، فلا يجابون.

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج12/ 480

وقوله: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: قد غبنوا حظ أنفسهم، وغاب عنهم ما كانوا يكذبون بأن الآلهة شفعاؤهم عند الله" (1).

ويقول ابن كثير في تفسير الآية: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ أي: ما وعد من العذاب والنكال والجنة والنار. قاله مجاهد وغير واحد. وقال مالك: ثوابه. وقال الربيع: لا يزال يجيء تأويله أمر، حتى يتم يوم الحساب، حتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيتم تأويله يومئذ.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ أي: يوم القيامة، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - فيقول الذين تركوا العمل به، وتناسوه في الدنيا: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ أي: في خلاصنا مما نحن فيه، أو نرد إلى الدار الدنيا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَأ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: 27، 28] قد خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها، وذهب عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله فلا يشفعون فيهم ولا ينصروهم ولا ينقذونهم مما هم فيه (2).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

ذكر الإمام البيضاوي في تفسيره للآية الكريمة: هل ينظرون إلا عاقبة أمره من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد. يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي. قد جاءت الرسل من عند خالقنا، داعين إلى الحق الذي أرسلوا به، فكفرنا به. ويسألون هل لهم شفعاؤ يشفعون لهم؟ فلا يجدون، وقرئ بالنصب عطفاً على "فَيَشْفَعُوا"، أو لأن "أو" بمعنى "إلى أن"، فعلى الأول: المسؤول أحد الأمرين الشفاعة أو ردهم إلى الدنيا، وعلى الثاني: أن يكون لهم شفعاؤ إما لأحد الأمرين أو لأمر واحد وهو الرد، فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع أي فنحن نعمل. ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بصرف أعمارهم في الكفر. ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ بطل عنهم فلم ينفعهم (3).

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج2/ 115

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3/ 425-426

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج3/ 15 بتصرف

وأما أبو السعود فقد فسر الآية بقوله: "أي ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعدم إيمانهم به إلا ما يؤول إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما أخبر به من الوعد والوعيد ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ وهو يومُ القيامة. أما هؤلاء الكفار الذين نسوه وتركوه تركَ المنسيِّ ولم يهتدوا بهديه، فيقولون يوم القيامة عند ما يظهر صدقه وصدق كل ما جاء به: نعم قد جاءت رسل ربنا بالحق وصدقوا في كل ما قالوا وهم يتمنون أحد أمرين: إما شفاعة الشافعين، وإما أن يردوا إلى الدنيا فيعملوا غير ما كانوا يعملون. وقوله ﴿فَتَعْمَلْ﴾ بالنصب على أنه جواب الاستفهام الثاني وقرىء بالرفع أي فنحن نعمل ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أي في الدنيا ﴿قَدْ حَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بصرف أعمارهم التي هي رأس مالهم إلى الكفر والمعاصي ﴿وَوَضَّلَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من أن الأصنام شركاء لله تعالى وشفعاؤهم يوم القيامة"⁽¹⁾.

وقال الإمام الألوسي في تفسيره للآية: "أي ما ينتظر هؤلاء الكفرة بعدم إيمانهم إلا عاقبته وما يؤول إليه أمره من تبين صدقه بظهور ما أخبر به من الوعد والوعيد، والمراد أنهم بمنزلة المنتظرين وفي حكمهم من حيث إن ما ذكر يأتيهم لا محالة، وحينئذٍ فلا يقال: كيف ينتظرونه وهم جاحدون غير متوقعين له؟ . وقيل: إن فيهم أقواماً يشكون ويتوقعون فالكلام من قبيل بني فلان قتلوا زيداً ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ وهو يوم القيامة، وقيل: هو يوم بدر ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ أي تركوه ترك المنسي فأعرضوا عنه ولم يعملوا به من قبل إتيان تأويله ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي قد تبين أنهم قد جاؤوا بالحق، وإنما فسر بذلك لأنه الواقع هناك ولأنه الذي يترتب عليه طلب الشفاعة المفهوم من قوله سبحانه: ﴿فَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ اليوم ويدفعوا عنا ما نحن فيه ﴿أَوْ نُردُّ﴾ عطف على الجملة قبله داخل معه في حكم الاستفهام"⁽²⁾.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآية:

– تلاحظ الباحثة أن الإمام الطبري رحمه الله تعالى أخذ بالتفسير بالمأثور ففسر القرآن بالقرآن، كما اعتنى بذكر آراء أهل التأويل، وكذلك ابن كثير والسمرقندي ففسرا بالمأثور أيضاً؛ وذلك بذكر تفسير بعض الصحابة والتابعين لبعض ألفاظ الآية وما غمض منها، مع ذكر بعض الجوانب اللغوية والنحوية. وبهذا يتبين لنا أن كلاً من الطبري وابن كثير والسمرقندي قد سلكوا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهم العام الذي يقضي

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، ج3/ 232

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ج6/ 185

بتفسير الآية بالآية أو بالسنة أو بأقوال الصحابة أو التابعين.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

تلاحظ الباحثة أن كلاً من البيضاوي وأبي السعود والأوسى تكاد أن تكون تفاسيرهم متقاربة ويظهر اهتمامهم بالجانب اللغوي والقراءات وتوجيهها، بالإضافة إلى التفسير الإجمالي للآية القرآنية.

وبذلك يكون أصحاب التفسير بالرأي المحمود لم يسلكوا منهج التفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور، والتزموا رأيهم معززينه بالتوجيهات النحوية.

المطلب الثالث:

إرسال الرسول ﷺ بالحق

من صور الحق في القرآن الكريم إرسال الرسول ﷺ بالحق، فقد امتنَّ الله تعالى على العرب خاصة، والعالم عامة؛ بأن بعث فيهم رسولاً منهم يعلمون نسبه الشريف، ويدركون خُلُقَه الكريم، حيث جاءهم ليخرجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهداية والتوحيد في ظلّ شريعة كاملة شاملة تحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة، وقد تحدث القرآن الكريم عن إرسال الرسول ﷺ بالحق في آيات عديدة وهي:

قال تعالى:

- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [سورة البقرة: 119]
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 170]
- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33]
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24]
- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: 28]
- ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 9]

اقتصرت الباحثة على تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:33] وذلك على سبيل المثال.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

يقول السمرقندي في تفسير هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾، "أي بالقرآن والتوحيد، والحجج البينات ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ يعني: دين الإسلام ويقال: دين الله، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ حتى: يظهره بالحجة على الدين كله ويقال: بالقهر والغلبة والرعب في قلوب الكفار وقال ابن عباس: ليظهره على الدين كله يعني: بعد نزول عيسى عليه السلام لا يبقى أحد إلا ودخل في دين الإسلام، ولو كره المشركون" (1).

وقال الثعلبي في تفسير الآية: تكفل الله ﷻ بإتمام نوره بإرسال رسوله محمد ﷺ بالحجج البينات، ويكون ذلك ما شاء الله ﷻ، ثم يبعث الله ﷻ ريحاً فيقبض كل من كان في قلبه متقال ذرة من خير، ثم يبقي من لا خير فيه، ويرجع الناس إلى دين آبائهم.

وقال الحسين بن الفضل: (2) "معناه: ليظهره على الأديان كلها بالحجج الواضحة والبراهين اللامعة فيكون حجة هذا الدين أقوى"، وقال بعضهم: قد فعل الله ذلك وانجزت هذه العدة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:3].

وقال بعضهم: هو أن يظهر الإسلام في كل موضع كان يجري على أهلها صغار في أي موضع كانوا، لا يؤخذ منهم جزية كما يؤخذ من أهل الذمة.

وقيل: معناه: ليظهره على الأديان كلها التي في جزيرة العرب فيظهره على دينهم ويغلبهم في ذلك المكان. وقيل: هو جريان حكمته عليهم والله تعالى أعلم (3)

وقال ابن كثير في تفسير الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ فالهدى: هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة، والإيمان الصحيح، والعلم النافع، ودين الحق: هي الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة، ليظهره الله ﷻ على سائر الأديان كما

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج 2 / 54

(2) الحسين بن الفضل ابن عمير: العلامة، المفسر، الإمام، اللغوي، المحدث، أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري، عالم عصره، ولد قبل الثمانين ومئة، توفي في سنة اثنتين وثمانين ومئتين. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 13 / 414

(3) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (5 / 36)

ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها" (1)

وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين يعز عزيزاً ويذل ذليلاً، عزاً يعز الله به الإسلام وذللاً يذل الله به الكفر" (2) (3).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يقول البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:33] "وهذا بيان لقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة:32] غير أنه وضع المشركين موضع الكافرين للدلالة على أنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله، والضمير في ليظهره يعود للدين الحق، أو للرسول عليه الصلاة والسلام، واللام في الدين للجنس أي على سائر الأديان فينسخها، أو على أهلها فيخذلهم" (4) وقال أبو حيان في تفسيره للآية الكريمة: "هو الذي أرسل محمداً ﷺ بالهدى والتوحيد، أو القرآن، أو بيان الفرائض.

ودين الحق: الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:19] والظاهر أن الضمير في ليظهره عائد على الرسول لأنه المحدث عنه، والدين هنا جنس أي: ليعليه على أهل الأديان كلهم، فهو على حذف مضاف. فهو ﷺ غلبت أمته اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب، وغلبوا النصارى على بلاد الشام إلى ناحية الروم والمغرب، وغلبوا المجوس على ملكهم، وغلبوا عباد الأصنام على كثير من بلادهم مما يلي الترك والهند، وكذلك سائر الأديان. وقيل: المعنى يطلعه على شرائع الدين حتى لا يخفى عليه شيء منه، فالدين هنا شرعه الذي جاء به.

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة /باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ج4/ 2215:رقم الحديث2889

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الشيباني، مسند الشاميين/ حديث تميم الداري، حديث رقم:16957، ج28/ 155، حكم الألباني: صحيح، السلسلة الصحيحة، الألباني، ج1/ 32

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج10/ 51-52

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج3/ 79

وقالت فرقة: ليجعله أعلاها وأظهرها، وإن كان معه غيره كان دونه، وهذا القول لا يحتاج معه إلى نزول عيسى، بل كان هذا في صدر الأمة، وهو كذلك باق إن شاء الله تعالى. وقال السدي: ذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام وأدى الخراج.

وقيل: مخصوص بجزيرة العرب، وقد حصل ذلك ما أبقى فيها أحداً من الكفار.

وقيل: مخصوص بقرب الساعة، فإنه إذ ذاك يرجع الناس إلى دين آبائهم. وقيل: ليظهره بالحجة والبيان. وضعف هذا القول لأن ذلك كان حاصلًا أول الأمر.

وقيل: نزلت على سبب وهو أنه كان لقريش رحلتان: رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام والعراق، فلما أسلموا انقطعت الرحلتان لمباينة الدين والدار، فذكروا ذلك للرسول ﷺ فنزلت هذه الآية. فالمعنى: ليظهره على الدين كله في بلاد الرحلتين، وقد حصل هذا فأسلم أهل اليمن وأهل الشام وأهل العراق" (1).

ويقول الإمام ابن عاشور في تفسير الآية: "الآية فيها بيان لجملة ﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة:32] بأنه أرسل رسوله ﷺ بهذا الدين، فلا يريد إزالته، ولا يجعل تقديره باطلاً وعبثاً، وفي هذا البيان تنويه بشأن الرسول ﷺ بعد التنويه بشأن الدين.

وفي قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ صيغة قصر، أي هو لا غيره أرسل رسوله بهذا النور، فكيف يترك معانديه يطفئونه.

وعبر عن الإسلام ﴿بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ تنويهاً بفضله، وتعريضاً بأن ما هم عليه ليس بهدى ولا حق.

وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي لينصره على الأديان كلها، أي ليكون أشرف الأديان وأغلبها، وظهور الإسلام على الدين كله حصل في العالم باتباع أهل الملل إياه في سائر الأقطار، بالرغم من كراهية أقوامهم وعظماء مللهم ذلك، ومقاومتهم إياه بكل حيلة ومع ذلك فقد ظهر وعلا وبان فضله على الأديان التي جاورها وسلامته من الخرافات والأوهام التي تعلقوا بها، وما صلحت بعض أمورهم إلا فيما حاكوه من أحوال المسلمين وأسباب نهوضهم، ولا يلزم من إظهاره على الأديان أن تنقرض تلك الأديان.

وقوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذكر المشركين هنا؛ لأن ظهور دين الإسلام أشد حسرة عليهم من كل أمة، ولأنهم الذين ابتدأوا بمعارضته وعداوته ودعوا الأمم للتألب عليه واستنصروا

(1) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، ج5/406

بهم فلم يغنوا عنهم شيئاً، ولأن أتم مظاهر انتصار الإسلام كان في جزيرة العرب وهي ديار المشركين لأن الإسلام غلب عليها، وزالت منها جميع الأديان الأخرى، وقد قال رسول الله ﷺ "لا يَبْقَى دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ" (1) فلذلك كانت كراهية المشركين ظهوره محل المبالغة في أحوال إظهاره على الدين كله كما يظهر بالتأمل" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي:

– أن الإمام السمرقندي فسر الآية بالمأثور؛ وذلك بذكر قول للصحابي ابن عباس رضي الله عنهما.

– أما الإمامان الثعلبي وابن كثير فقد فسرا الآية بالقرآن والسنة وأقوال بعض الصحابة. وبهذا يتبين لنا أن كلاً من السمرقندي والثعلبي وابن كثير قد سلكوا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهم العام وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

– تلاحظ الباحثة أن كلاً من البيضاوي، وأبي حيان وابن عاشور، قد فسروا القرآن بالقرآن، بالإضافة إلى إثراء المعنى بالتطرق إلى الجوانب النحوية، وذكر بعض الوجوه المعنوية للفظ المراد تفسيرها، وبهذا يتبين للباحثة أن أصحاب التفسير بالرأي قد ساروا على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليهم من آرائهم المحمودة.

(1) موطأ مالك، الأصبحي، كتاب اللفظة/ باب نزول أهل الذمة مكة والمدينة وما يكره من ذلك ج/3/333: رقم

الحديث: 872 ، قال المحقق عبد الفتاح أبو غدة في حاشية الموطأ، صحيح، ورجاله في الصحيحين.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج/10/73-74 بتصرف

المطلب الرابع: إنزال الكتاب بالحق

من صور الحق في القرآن الكريم إنزال الكتاب بالحق، وقد ورد ذلك في آيات عديدة في كتاب الله ﷻ وهي:

- قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة: 176]
- ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ...﴾ [البقرة: 213]
- ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [إل عمران: 3]
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: 105]
- ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: 47]
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: 2]
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: 41]
- ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [سورة الشورى: 17]

وأقتصر على تفسير قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [إل عمران: 3]

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر السمرقندي في تفسيره لهذه الآية: "يعني أنزل عليك جبريل القرآن بالحق، يا محمد بالعدل ويقال: لبيان الحق مصدقا لما بين يديه يعني: موافقاً للكتب المتقدمة في التوحيد، وفي بعض الشرائع وأنزل التوراة والإنجيل من قبل يعني أنزل التوراة على موسى ﷺ، والإنجيل على عيسى ﷺ من قبل هذا الكتاب" (1).

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج 1/ 192-193

ويقول ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة: "نزل عليك القرآن يا محمد بالحق الذي لا شك فيه ولا ريب، بل هو منزل من عند الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:166]

وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله الأنبياء، فهي تصدقه بما أخبرت به وبشرت في قديم الزمان، وهو يصدقها؛ لأنه طابق ما أخبرت به وبشرت، من الوعد من الله بإرسال محمد ﷺ، وإنزال القرآن العظيم عليه، وأنزل التوراة على موسى ﷺ، والإنجيل على عيسى ﷺ" (1).

وذكر السيوطي في تفسير الآية: قوله ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ قال: "القرآن وهو مصدق لما بين يديه من الكتب التي قد خلت قبله وأنزل التوراة والإنجيل.

وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من البينات التي أنزلت على نوح وإبراهيم وهود والأنبياء عليهم السلام" (2).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يقول البيضاوي في تفسير الآية: "نزل عليك الكتاب القرآن منجماً بالحق والعدل، أو بالصدق في أخباره، أو بالحجج المحققة أنه من عند الله وهو في موضع الحال. : ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب. ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ جملة على موسى وعيسى عليهما السلام" (3).

ويقول الخازن في تفسيره للآية: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ يعني القرآن بالحق أي بالصدق والعدل ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والأخبار وبعض الشرائع. وقوله ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من مجاز الكلام لأن ما بين يديه فهو أمامه فقبل لكل شيء تقدم على الشيء هو بين يديه؛ لغاية ظهوره واشتهاره وأنزل التوراة والإنجيل من قبل أي من قبل القرآن. فإن قلت لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل؛ لأن القرآن نزل منجماً مفصلاً في أوقات كثيرة ونزل هو للتكثير وأنزل التوراة والإنجيل جملة واحدة" (4).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 2/5-6

(2) الدر المنثور، السيوطي، ج 2/143

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج 2/5

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج 1/224

أما في تفسير الجلالين فقد ورد في تفسير الآية: "نزل عليك يا محمد الكتاب وهو القرآن ملتبساً بالصدق في أخباره، مصداقاً لما قبله من الكتب، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل تنزيل القرآن، وعبر فيهما بأنزل وفي القرآن بنزل المقتضي للتكرير لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلاف القرآن وأنزل الفرقان بمعنى: الكتب الفارقة بين الحق والباطل، وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها" (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من الإمامين السمرقندي وابن كثير قد أخذ بالتفسير بالمأثور ففسر القرآن بالقرآن، كما فسر الآيات تفسيراً إجمالياً بما يتناسب مع طبيعة التفسير الموضوعي، وبهذا فقد سلكا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام.
- أما السيوطي فقد فسر الآيات تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور، مع أنه منهجه الذي يسير عليه ويدل عليه عنوان تفسيره.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

تلاحظ الباحثة أن كلاً من البيضاوي، والخازن، وصحبي الجلالين، قد فسروا الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور، وبذلك يكون أصحاب التفسير بالرأي المحمود لم يسلكوا منهج التفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور، وقد التزموا رأيهم معززينه بالتوجيهات النحوية والبلاغية.

(1) تفسير الجلالين، المحلي، السيوطي، ص65

المطلب الخامس:

نطق الكتاب بالحق

من صور الحق في القرآن الكريم نطق الكتاب بالحق، وقد ورد ذلك في قوله تعالى:

- ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: 62]
- وقوله تعالى: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: 29]

واقترحت الباحثة على الآية الثانية بالتفسير والمقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

يقول الإمام البغوي في تفسير الآية: "﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ يعني ديوان الحفظة، يشهد عليكم ببيان شاف، كأنه ينطق. وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم، وكتابتها وإثباتها عليكم. وقيل: نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان فيثبت الله ﷻ منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب، وي طرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب.

وقيل: الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم، والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، فينسخ كتاب من كتاب، وقال الضحاك: يستنسخ أي يثبت، وقال السدي: تكتب، وقال الحسن: تحفظ⁽¹⁾

وقال الإمام الثعالبي في تفسيره للآية: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا ﴾ "يحتمل أن تكون الإشارة إلى الكتب المنزلة، أو إلى اللوح المحفوظ أو إلى كتب الحفظة وقال ابن قتيبة: إلى القرآن.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هو كتب الحفظة على بني آدم، وقد أمر الله ﷻ الملائكة الحافظين بنسخ أعمال العباد وإثباتها في صحائفهم⁽²⁾.

أما الإمام ابن عطية فقال في تفسيرها: "﴿ هَذَا كِتَابُنَا ﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى الكتب المنزلة أو إلى اللوح المحفوظ، قال مجاهد ومقاتل: يشهد بما سبق فيه من سعادة أو شقاء، أو إلى كتب الحفظة وقال ابن قتيبة: إشارة إلى القرآن.

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج4 / 188-189

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج5 / 210

وقوله: ﴿نَسْتَنْسِخُ﴾ أي: نكتب والمعنى: إنا كنا نقيد كل ما عملتم، قال الحسن: هو كتب الحفظة على بني آدم، وقال ابن عباس: معنى الآية أن الله تعالى يجعل الحفظة تنسخ من اللوح المحفوظ كل ما يفعله العباد ثم يمسكونه عندهم، فتأتي أفعال العباد على نحو ذلك فتقيد أيضا، فذلك هو الاستنساخ" (1).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

ذكر الإمام البيضاوي في تفسيره للآية: ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ أضاف الله ﷻ صحائف أعمالهم إلى نفسه؛ لأنه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمال العباد. وقوله: ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان. وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم (2).

أما الإمام القرطبي فيقول في تفسير الآية: ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ قيل هذا من قول الله لهم. وقيل من قول الملائكة. ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي يشهد، وهو استعارة يقال: نطق الكتاب بكذا أي بين. وقيل: إنهم يقرؤونه فيذكرهم الكتاب ما عملوا، فكأنه ينطق عليهم، دليله قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49].

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي نأمر بنسخ ما كنتم تعملون، قال علي رضي الله عنه: إن الله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم، وقال ابن عباس: إن الله وكل ملائكة مطهرين فينسخون من أم الكتاب في رمضان كل ما يكون من أعمال بني آدم فيعارضون حفظة الله على العباد كل خميس، فيجدون ما جاء به الحفظة من أعمال العباد موافقا لما في كتابهم الذي استنسخوا من ذلك الكتاب لا زيادة فيه ولا نقصان، قال ابن عباس ﷺ: وهل يكون النسخ إلا من كتاب. وقيل: إن الملائكة إذا رفعت أعمال العباد إلى الله ﷻ أمر بأن يثبت عنده منها ما فيه ثواب وعقاب، ويسقط من جملتها ما لا ثواب فيه ولا عقاب" (3) (4).

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج5/ 89

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج 5/ 109

(3) المعجم الكبير، الطبراني، ج10/247، المستدرک علی الصحیحین، 2/492

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج16/175-176

ويقول الشيخ المراغي "في تفسير الآية: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ أي هذا كتابنا الذي كتبته الحفظة ودونت فيه أعمالكم، يشهد عليكم شهادة حق دون زيادة ولا نقصان، فهو صورة تطابق ما فعلتموه حَذْوَ القُدَّةِ بالقُدَّةِ (1).

ثم علل مطابقة هذه الشهادة لأعمالهم فقال: ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي إنا كنا نأمر الحفظة بنسخ أعمالكم وكتابتها وإثباتها عليكم، فهي وفق ما عملتم بالدقة والضبط. وفي هذا إجابة عما يخطر بالبال من سؤال فيقال: ومن يحفظ أعمالنا على كثرتها مع طول المدة ويُعَدِّ العهد؟ فأجيبوا بهذا الجواب" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

أولاً: منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

تلاحظ الباحثة ما يلي: أن كلاً من الإمامين البغوي والثعالبي قد فسرا الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور مع أن منهجها هو التفسير بالمأثور.

أما الإمام ابن عطية فقد أخذ بالتفسير بالمأثور ففسر القرآن بالقرآن، كما اعتنى بذكر الآراء والأقوال الواردة حول الآية الكريمة.

ثانياً: منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

– تلاحظ الباحثة أن الإمامين البيضاوي والمراغي، قد اهتمتا بالجانب اللغوي، بالإضافة إلى التفسير الإجمالي للآية القرآنية، ولم يتطرق أيٌّ منهما إلى التفسير بالمأثور مع إمكانية ذلك، وبهذا يكون كل منهما لم يسلكا المنهج الرئيس للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور إن وجد.

– أما الإمام القرطبي فأخذ بالمأثور حيث فسر القرآن بالقرآن وبقول الصحابين ابن عباس وعلي رضي الله عنهما ثم ذكر أقوال الصحابة ومن ثم فسّر تفسيراً بالرأي المحمود، وهذا يدل على أن الإمام القرطبي قد سار على المنهج الصحيح في التفسير بالرأي المحمود وذلك من خلال تطرقه أولاً للمأثور، ثم التفسير بالرأي واجتهاده، وهذا هو المنهج القويم في التفسير بالرأي المحمود.

(1) يُضْرَبُ مثلاً للشَّيْئَيْنِ يَسْتَوِيَانِ وَلَا يَتَفَاوِتَانِ، أَي مِثْلًا بِمِثْلٍ، انظر: مجمع الأمثال، النيسابوري، ج1/ 195

(2) تفسير المراغي، المراغي، ج25/ 163

المطلب السادس:

هداية الكتاب إلى الحق

من صور الحق في القرآن الكريم هداية الكتاب إلى الحق، وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك في آيتين وهما: قوله تعالى:

- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس:108]

- ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:30]

اقتصرت الباحثة بالتفسير والمقارنة على الآية الثانية.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

يذكر الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: "يقول الله تعالى مخبراً عن قول الجن الذين صرفوا إلى رسول الله ﷺ ولقومهم عند رجوعهم من عند رسول الله ﷺ: ﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: يصدق ما قبله من كتب الله التي أنزلها على رسله، يهدي إلى الحق ويرشد إلى الصواب، ويدل على رضا الله تعالى وعلى الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه وهو طريق الإسلام" (1).

أما الإمام السمرقندي فقال: "أنذروا قومهم من الجن قالوا يا قومنا: إنا سمعنا من محمد ﷺ كتاباً يعني القرآن، أنزل من بعد موسى، موافقاً لما قبله من الكتب يدعو إلى توحيد الله تعالى، كما هو في سائر الكتب، وإلى الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه، وهو دين الإسلام" (2).

ويقول ابن عطية في تفسير الآية: "قال هؤلاء المنذرون لما بلغوا قومهم يا قومنا إنا سمعنا كتاباً وهو القرآن العظيم، وخصصوا موسى عليه السلام لأحد أمرين: إما لأن هذه الطائفة كانت تدين بدين اليهود، وإما لأنهم كانوا يعرفون أن موسى قد ذكر محمداً وبشر به، فأشاروا إلى موسى من حيث كان هذا الأمر مذكوراً في توراته، ولم يكونوا علموا بأمر عيسى

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج22/ 140

(2) بحر العلوم، السمرقندي، ج4/ 145

عليه السلام، فلذلك قالوا من بعد موسى. وقولهم: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يؤيد هذا، وما بين يديه هي التوراة والإنجيل.

والحق والطريق المستقيم هنا بمعنى متقارب لكن من حيث اختلاف اللفظ، وربما كان الحق أعم، وكأن أحدهما قد يقع في مواضع لا يقع فيها الآخر حسن التكرار" (1).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يقول الإمام القرطبي في تفسير الآية: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾ "أي القرآن، وكانوا مؤمنين بموسى عليه السلام. قال عطاء: كانوا يهودا فأسلموا؛ ولذلك قالوا: ﴿أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام، فلذلك قالت أنزل من بعد موسى عليه السلام.

وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني ما قبله من التوراة. يهدي إلى دين الحق، وإلى طريق مستقيم وهو دين الله القويم" (2).

ويذكر الخازن في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ قال عطاء: كان دينهم اليهودية ولذلك؛ قالوا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه من الكتب الإلهية المنزلة من السماء وذلك أن كتب الأنبياء كانت مشتملة على الدعوة إلى التوحيد وتصديق الأنبياء والإيمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب، ويهدي إلى دين الحق وهو الإسلام وإلى الطريق القويم الذي يوصل إلى رضوان الله وجنته (3).

وأما الإمام الزحيلي فيقول في معنى الآية: قالت الجن: يا قومنا: إنا سمعنا كتاباً أنزله الله من بعد توراة موسى، مصدقاً لما قبله من الكتب المنزلة على الرسل، يرشد إلى الدين الحق، وإلى طريق الله القويم في العقائد والعبادات والأعمال والأخبار.

ولم يذكروا عيسى عليه السلام إما لأنهم كانوا يهودا فأسلموا، وإما لأن عيسى أنزل عليه الإنجيل فيه مواضع ورفائق أدبية إنسانية، وقليل من التحليل والتحريم، وهو في الحقيقة كالمتمم

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج5/ 105-106

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 16/ 217

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج6/ 169

لشريعة التوراة، فالعمدة في التشريع لليهود والنصارى على السواء هو التوراة، فلهذا قالوا: أنزل من بعد موسى.

والخلاصة: أنهم خصوا التوراة، لأنها مصدر الشرائع والأحكام في الماضي، ولأنها متفق عليها عند أهل الكتاب (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

من خلال النظر في التفاسير بالمأثور للآية تلاحظ الباحثة ما يلي:

– أن كلا من الإمام الطبري والسمرقندي وابن عطية لم يأخذوا بالتفسير بالمأثور عند تفسيرهم للآية السابقة وإنما اكتفوا بتفسير الآية تفسيراً إجمالياً مع أن منهجهم هو التفسير بالمأثور، وبهذا لم يسلك أصحاب التفسير بالمأثور، منهجهم في تفسير هذه الآية مع إمكانية الالتزام به.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

– تلاحظ الباحثة أن الإمامين القرطبي والخازن قد أخذوا بالمأثور أولاً حيث فسر الإمام القرطبي القرآن بالقرآن ومن ثم ذكر قول الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، كما فسر الإمامان بقول التابعي عطاء، ومن ثم فسّر الآية تفسيراً بالرأي المحمود، وبهذا يكون الإمامان قد التزما بقواعد التفسير بالرأي المحمود الذي يقتضي تفسير الآية أولاً بالمأثور إن أمكن ذلك ثم التعرّيج على رأي المفسر بعد ذلك.

– أما الإمام الزحيلي، ففسر الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور، وبذلك لم يسلك المنهج العام في التفسير بالرأي المحمود، والذي ينص على التفسير بالمأثور أولاً ثم اتباع ذلك بما فتح الله عليه، من آرائه المحمودة.

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج 26 / 62

المطلب السابع: تلاوة القرآن بالحق

هذه صورة من صور الحق في القرآن الكريم وهي تلاوة القرآن بالحق، وقد وردت هذه الصورة في ثلاث آيات من القرآن الكريم وهي:
قال تعالى:

– ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: 121]

– ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 108]

– ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: 6]

اقتصرت الباحثة على تفسير الآية الثانية لدراستها دراسة موضوعية مقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

يقول الإمام الطبري في تفسير الآية الكريمة قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي هذه الآيات التي ذكر فيها أمور المؤمنين من أنصار رسول الله ﷺ وأمر يهود بني إسرائيل وأهل الكتاب، وما هو فاعل بأهل الوفاء بعهده، وبالمبدلين دينه، والناقضين عهده بعد الإقرار به. ثم أخبر ﷺ نبيه محمداً ﷺ أنه يتلو ذلك عليه بالحق، وأن يبلغها للناس، فمن استجاب لك نجا ومن أعرض هلك" (1).

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي هذه آيات الله وحججه وبياناته نتلوها عليك يا محمد "بالحق" أي تكشف ما الأمر عليه في الدنيا والآخرة "وما الله يريد ظلماً للعالمين" أي ليس بظالم لهم بل هو الحكم، العدل الذي لا يجور، لأنه القادر على كل شيء، العالم بكل شيء، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحداً من خلقه" (2).

وأما الإمام الثعالبي فيقول في معنى الآية: "﴿تِلْكَ﴾ الإشارة بتلك إلى هذه الآيات المتضمنة تعذيب الكفار، وتنعيم المؤمنين، ولما كان في هذا ذكر التعذيب، أخبر سبحانه أنه لا

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 7 / 97

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 2 / 79-80

يريد أن يقع منه ظلم لأحد من العباد، فيعاقبهم بلا جرم، وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ معناه بالإخبار الحق، ويحتمل أن يكون المعنى: نتلوها عليك مضمنة الأفعال التي هي حق في نفسها من كرامة قوم، وتعذيب آخرين" (1)

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يذكر الإمام النسفي في تفسير الآية: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ الواردة في الوعد والوعيد وغير ذلك. وقوله: ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ أي: ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء. وقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ نفى الله ﷻ إرادته ظلم العالمين، أي: لا يشاء أن يظلم هو عباده فيأخذ أحداً بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن (2).

أما الإمام القرطبي فيقول في تفسير الآية: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ "ابتداء وخبر، يعني القرآن، لأن أوامره ونواهيه مشتملة على الحكمة والرحمة. ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ يعني نزل عليك جبريل فيقرؤها عليك بالصدق. وقال الزجاج: تلك آيات الله المذكورة حجج الله ودلائله. وقيل: تلك بمعنى هذه ولكنها لما انقضت صارت كأنها بعدت فقيل "تلك" ويجوز أن تكون آيات الله بدلاً من تلك ولا تكون نعتاً، لأن المبهم لا ينعت بالمضاف. ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ يعني أنه لا يعذبهم بغير ذنب" (3).

وفسرها أبو السعود فقال: "﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى الآيات المشتملة على تنعيم الأبرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للإيذان بعلو شأنها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدأ و﴿آيَاتُ اللَّهِ﴾ خبره.

﴿تَتْلُوهَا﴾ جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الإشارة أو هي الخبر وآيات الله بدل من اسم الإشارة والالتفات إلى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل ﷺ؛ لإبراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى، ﴿عَلَيْكَ﴾ متعلق بنتلوها.

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج2/91

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج1/281-282 بتصريف

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 4/169

﴿بِالْحَقِّ﴾ حال مؤكدة من فاعل نلتوها أو من مفعوله أي ملتبسين أو ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن أو بزيادة عقاب المسيء أو بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم بأعمالهم بموجب الوعد والوعد.

وقوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله على أبلغ وجه، فإن تنكير الظلم وتوجيه النفي إلى إرادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بأحاد الجمع المعرف والالتفات إلى الاسم الجليل إشعار بعلّة الحكم ببيان لكمال نزاهته ﷻ عن الظلم بما لا مزيد عليه أي ما يريد فردا من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين في وقت من الأوقات فضلا عن أن يظلمهم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس:44]⁽¹⁾

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

– تلاحظ الباحثة أن كلاً من الإمام الطبري وابن كثير والشعالبي لم يأخذوا بالتفسير بالمأثور عند تفسيرهم للآية السابقة وإنما اكتفوا بتفسير الآية تفسيراً إجمالياً .

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

– تلاحظ الباحثة أن كلاً من النسفي والقرطبي وأبي السعود قد فسروها بالرأي المحمود دون الرجوع للمأثور، مع ذكر بعض الجوانب اللغوية والنحوية والقراءات وتوجيهها، بالإضافة إلى التفسير الإجمالي للآية القرآنية

– وترى الباحثة أن أصحاب التفاسير لم يتطرقوا إلى التفسير بالمأثور للآية عن تقصير منهم، فقد تكون الآية لم تفسر بقرآن ولا بسنة ولا بقول صحابي أو تابعي مما جعل المفسرين يلجأون إلى آرائهم سواء أصحاب التفسير بالمأثور أو الرأي المحمود وهذا لا يؤخذ عليهم من قريب ولا من بعيد.

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج 2 / 69-70

المطلب الثامن:

قصص الأنبياء بالحق

من صور الحق في القرآن الكريم ذكر قصص الأنبياء بالحق، وذلك لبيان أنّ دعوة الرسل واحدة، وأنها من عند الله ﷻ، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: 62]

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام الطبري في تفسير الآية: تأكيد الله تعالى صدق ما أخبر به فقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ أي: "إن هذا الذي أنبأتك به، يا محمد، من أمر عيسى ﷺ فقصصته عليك من أنبائه، وأنه عبدي ورسولي وكلمتي ألقيتها إلى مريم وروح منّي، لهو القصص والنبأ الحق، فاعلم ذلك، واعلم أنه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه إياهم إلا معبودك الذي تعبّد، وهو الله العزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره، وادعى معه إلهًا غيره، أو عبد ربًّا سواه، والحكيم في تدبيره، لا يدخل ما دبره وهن، ولا يلحقه خلل" (1)

أما الإمام السمرقندي فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ "أي: ما أخبروا به من أمر عيسى ﷺ هو الخبر الحق والمقصود بذلك أنه كان عبداً لله ورسوله. ويقال: هذا القرآن هو الحق وما من إله إلا الله لا شريك له وإن الله لهو العزيز في ملكه، الحكيم في أمره حكم بخلق عيسى في بطن أمه من غير أب" (2)

ويقول ابن كثير في تفسير قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ "أي: هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى ﷺ هو الحق الذي لا مصرف عنه ولا محيد" (3).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

ذكر الإمام البيضاوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ "أي ما قص من نبأ عيسى ومريم، لهو القصص الحق بجملتها" خبر إن، أو هو فصل يفيد أن ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكره، وما بعده خبر واللام دخلت فيه لأنه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، وأصلها أن تدخل على المبتدأ ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ صرح فيه بمنّ الزيادة

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج6/ 476-477

(2) بحر العلوم، السمرقندي، ج 1/ 220

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج2/ 55

للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لا أحد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الألوهية" (1) .

ويذكر الإمام النسفي في تفسير الآية: أي إن الذي قص عليك من نبأ عيسى عليه السلام لهو القصص الحق هو فصلٌ بين اسم إن وخبرها أو مبتدأ والقصص الحق: خبره والجملة وهي: ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ خبر إن.

ومن بمنزلة البناء على الفتح لا إله إلا الله في إفادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العزيز في الانتقام، الحكيم في تدبير الأحكام (2) .

وفسرها أبو السعود فقال: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ "أي ما قص من نبأ عيسى وأمه عليهما السلام.

﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ أي دون ما عداه من أكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه أقرب إلى المبتدأ من الخبر، والقصص خبر إنَّ والحق صفته أو هو مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر إن. ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ صرح فيه بمن الاستغراقية؛ تأكيد للرد على النصارى في تثليثهم، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العزيز أي القادر على جميع المقدرات، الحكيم المحيط بالمعلومات لا أحد يشاركه في القدرة والحكمة" (3) .

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من الطبري والسمرقندي وابن كثير، لم يفسروا الآية بالمأثور، وإنما اكتفوا بالتفسير الإجمالي للآية.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من البيضاوي والنسفي وأبي السعود، فقد فسروا الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور، مع ذكر بعض الجوانب النحوية.

- وبهذا يتضح من خلال المقارنة بين أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود بأن كلا

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج2/21

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج 1/ 262

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج2/47

الفريقين لم يأخذوا بالمأثور، وقد ترجع الباحثة سبب ذلك إلى أن هذه الآية لم تفسر بآية أخرى في القرآن الكريم ولا بحديث نبوي ولا بقول من أقوال الصحابة والتابعين مما جعل أصحاب التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود يكتفون بالتفسير الإجمالي للآية.

المطلب التاسع:

إيمان المؤمنين بالحق

من صور الحق في القرآن الكريم إيمان المؤمنين من أهل الكتاب بالحق، وذلك بعد سماعهم للقرآن، وتأثرهم به، لأنهم عرفوا أن ما بيّنه القرآن هو الحق، ولم يمنعهم الحسد أو الاستكبار من ذلك، ومسارعتهم للإيمان بالله تعالى وبرسوله وهو مطابق لما جاء في الكتب السماوية السابقة، وتضرعهم إلى الله بأن يتقبل منهم إيمانهم وأن يكتبهم مع أمة محمد ﷺ من الشاهدين.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة المائدة: 83-84]

وتناولت الباحثة هذه الآية بالتفسير والمقارنة من كتب التفسير بالمأثور والرأي المحمود.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر السمرقندي في تفسيره: إخبار الله ﷻ عن حال النصارى الذين وصفهم الله تعالى لرسوله محمد ﷺ، أنهم أقرب الناس مودة للذين آمنوا، وتأثرهم عند سماعهم القرآن الذي أنزل على الرسول ﷺ، فتفيض عيونهم بالدمع، لمعرفتهم أن الذي سمعوه حق عن محمد ﷺ ونعته وصفته، يقولون ربنا آمنة بالقرآن وبأنه من عند الله تعالى، فاكتبنا مع المهاجرين والأنصار، قال ابن عباس: مع الشاهدين هم أمة محمد ﷺ، يشهدون له بالبلاغ ويشهدون للرسول أنهم قد بلغوا الرسالة.

ثم قال: وما لنا لا نؤمن بالله وذلك أنهم لما رجعوا إلى قومهم، قال لهم كفار قومهم: تركتم ملة عيسى ويقال: إن كفار مكة عاتبوهم على إيمانهم. وقالوا: لم تركتم دينكم القديم، وأخذتم الدين الحديث؟ فقالوا: وما لنا لا نؤمن بالله ومعناه: وما لنا لا نصدق بالله أن محمداً رسوله، والقرآن من عنده، وما جاءنا من الحق يعني: وبما جاءنا من الحق، ونرجو من الله تعالى، أن يدخلنا مع القوم الصالحين أي: المؤمنين الموحدون في الجنة (1).

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج1/ 412 بتصرف

أما الإمام البغوي فيذكر في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ أي إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول محمد ﷺ، ترى أعينهم تسيل من الدمع مما عرفوا من الحق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد النجاشي وأصحابه قرأ عليهم جعفر بالحبشة ﴿كهيعص﴾ [سورة مريم: 1]، فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة.

وقوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، يعني: من أمة محمد ﷺ، دليله قوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

وقوله: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾، وذلك أن اليهود عبروهم وقالوا لهم: لم آمنتم؟ فأجابوهم بهذا، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين، أي: في أمة محمد ﷺ، بيانه أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (1).

ويقول ابن عطية في تفسير الآية: "﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ جاء الضمير عاماً إذ قد تحمد الجماعة بفعل واحد منها، وفي هذا استدعاء للنصارى ولطف من الله تعالى بهم، ولقد يوجد فيض الدموع غالباً فيهم وإن لم يؤمنوا، وروي أن وفداً من نجران قدم على أبي بكر الصديق في شيء من أمورهم فأمر من يقرأ القرآن بحضرتهم فبكوا بكاء شديداً فقال أبو بكر: هكذا كنا ولكن قست القلوب، وروي أن راهباً من رهبان ديارات الشام نظر إلى أصحاب النبي ﷺ ورأى عبادتهم وجددهم في قتال عدوهم فعجب من حالهم، وبكى، وقال: ما كان الذين نشروا بالمناشير على دين عيسى بأصبر من هؤلاء ولا أجد في دينهم.

وقيل: هم الذين بعثهم النجاشي ليروا النبي ﷺ ويسمعوا ما عنده، فلما رأوه قرأ عليهم القرآن فاضت أعينهم بالدمع من خشية الله ورقت القلوب".

ويواصل ابن عطية تفسير هذه الآية فيقول: "﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ توقيف لأنفسهم أو محاجة لمن عارضهم من الكفار بأن قال لهم آمنتم وعجلتم، فقالوا وأي شيء يصدنا عن الإيمان وقد لاح الصواب وجاء الحق المنير وما لنا ابتداء وخبر، ولا نؤمن في موضع الحال، وفي مصحف ابن مسعود ﷺ: «وما لنا لا نؤمن بالله وما أنزل إلينا ربنا»، ونطمع تقديره: ونحن نطمع، فالواو عاطفة جملة على الجملة لا عاطفة فعل على فعل، ﴿الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ هم محمد ﷺ وأصحابه" (2).

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج2/75-76

(2) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج2/227

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يذكر الإمام النسفي في تفسير الآية: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ يخبر الله ﷻ عن الذين أسلموا من النصارى، بأنهم بعد ما سمعوا القرآن تأثروا به فبكوا من أجل ما عرفوا من الحق وسألوا الله تعالى أن يكتبهم مع الشاهدين ليكونوا معهم في الجنة، كما روي عن النجاشي أنه قال لجعفر بن أبي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يقرءونه عليهم هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر: فيه سورة تنسب إلى مريم فقرأها إلى قوله ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: 34]، وقرأ سورة طه إلى قوله ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه: 9] فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وهم سبعون رجلاً حين قرأ عليهم سورة يس فبكوا (1)

وقوله: ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ و "من" في من الحق لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا أو للتبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم فكيف إذا عرفوه كله وقرءوا القرآن وأحاطوا بالسنة، يقولون حال من ضمير الفاعل في عرفوا، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ربنا آمنة بمحمد ﷺ فاكْتُبْنَا مع أمة محمد عليه السلام الذين هم شهداء على سائر الأمم يوم القيامة ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، وقالوا ذلك؛ لأنهم وجدوا ذكركم في الإنجيل كذلك.

وقوله: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ إنكار واستبعاد لانقضاء الإيمان مع قيام مجبه وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين، وقيل لما رجعوا إلى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك (2).

ويذكر الإمام الخازن في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: إذا سمعوا القرآن الذي أنزل إلى الرسول محمد ﷺ ﴿تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ يقال: فاض الإناء إذا امتلأ حتى يخرج منه ما فيه.

(1) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب المغازي، باب ما جاء في الحبشة وأمر النجاشي وقصة إسلامه، ج 7/

351، رقم الحديث: 36642

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج 1/469 بتصرف

وصفهم الله تعالى بسيل الدمع عند البكاء ورقة القلب عند سماع القرآن. قال ابن عباس: يريد النجاشي وأصحابه لما قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب سورة مريم. قال: فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة.

وقوله: ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ "يعني الذي أنزل على محمد ﷺ وهو الحق يقولون: أي القسيسين والرهبان الذين سمعوا القرآن من جعفر عند النجاشي ربنا آمنا بالقرآن وشهدنا أنه حق وصدق فاكتبنا مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق، ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ قال ابن عباس: لما رجع الوفد من عند رسول الله ﷺ لأمهم قومهم على ترك دينهم. وقيل: إن اليهود عيروهم وقالوا تركتم دينكم فأجابوهم بهذا الجواب. والمعنى: ومالنا لا نؤمن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من عنده على لسان رسول الله ﷺ ونرجو بذلك الإيمان أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين يعني مع أمة محمد ﷺ" (1).

وفسر صاحب الجلالين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ أي: صدقنا بنبيك وكتابك ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المقربين بتصديقهم لمحمد ﷺ، وقالوا في جواب من عيرهم بالإسلام من اليهود ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو القرآن أي لا مانع لنا من الإيمان مع وجوب مقتضيه ﴿وَنَظْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ أي المؤمنين في الجنة ونطمع عطف على نؤمن" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير كل من السمرقندي والبغوي وابن عطية أخذ طابع التفسير بالمأثور حيث أخذ الإمام السمرقندي والبغوي عن الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، كما فسر البغوي وابن عطية القرآن بالقرآن.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

– تلاحظ الباحثة أن الإمامين النسفي والخازن سارا على منهج التفسير بالرأي المحمود حيث فسر النسفي القرآن بالقرآن، وبالسنة ثم أثرى المعنى بما فتح الله عليه من آرائه، أما الخازن

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج71/2

(2) تفسير الجلالين، المحلي، السيوطي، ص 153

فيورد قول الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، وبذلك يكون الإمامان النسفي والخازن قد سارا على قواعد التفسير بالرأي المحمود، والذي يعتمد على التفسير بالمأثور أولاً ثم اتباع ذلك بما فتح الله عليهما من آرائهم المحمودة.

- أما الإمامان صاحبنا الجلالين فقد فسرا الآية تفسيراً إجمالياً مع التطرق لبعض الجوانب النحوية، وبذلك لم يسلكا في هذا الموضوع المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود، والذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً ثم اتباع ذلك بما فتح الله عليهما من آرائهما المحمودة.
- كما تلاحظ الباحثة من خلال المقارنة بين أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود بأن كلا الفريقين باستثناء صاحبي الجلالين قد تطرقوا لمفهوم المخالفة للآية لبيان أن الحق عكسه الباطل ليتسنى لهم الاستشهاد بالآيات القرآنية التي تتحدث عن الباطل والذي هو ضد الحق.

المطلب العاشر:

الشهادة بأن الرسول ﷺ حق.

من صور الحق في القرآن الكريم الشهادة بأن الرسول ﷺ حق، فالرسول ﷺ بعثه الله ﷻ على حين فترة من الرسل، وخفاء من معالم الهدى، وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا يسيرة من أهل الكتاب، فأرسل هذا الرسول العظيم؛ ليبين للناس صراط الله المستقيم، وليعلمهم دين الله القويم، وليوضح لهم الإسلام الذي بعث الله به المرسلين، وجعله رحمة للعالمين، فشهد بذلك مؤمنو أهل الكتاب، لوضوح وصف الرسول ﷺ في كتبهم وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 86]

وتناولت الباحثة تفسير الآية من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر السمرقندي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 86]

كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قوماً كفروا بعد إيمانهم بالله ورسوله محمد ﷺ، فإن قيل في ظاهر الآية أن من كفر بعد إسلامه، لا يهديه الله تعالى، ومن كان ظالماً لا يهديه الله تعالى، وقد رأينا كثيراً من المرتدين، أسلموا وهداهم الله، وكثيراً من الظالمين تابوا عن الظلم. قيل له: لا يهديهم الله ما داموا مقيمين على كفرهم وظلمهم، ولا يقبلون إلى الإسلام، فأما إذا

جاهدوا، وقصدوا الرجوع، وفقهم الله تعالى لذلك لقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69] وتأويل آخر: كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ يَقُولُ: كيف يرشدهم إلى الجنة؟ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ [النساء: 168، 169] ويقال: كيف يرحمهم الله وينجيهم من العقوبة؟ ويقال: كيف يغفر الله لهم؟⁽¹⁾

وأما الإمام الثعالبي فيذكر في معنى الآية: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ قال ابن عباس: نزلت هذه الآيات في الحارث بن سويد الأنصاري⁽²⁾، كان مسلماً، ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم، فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله ﷺ، هل من توبة؟ فنزلت الآيات إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 89]، فأرسل إليه قومه، فأسلم، قال مجاهد: وحسن إسلامه⁽³⁾

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ﴾ سؤال عن حال لكنه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد للأمر، فالمعنى أنهم لشدة هذه الجرائم يبعد أن يهديهم الله جميعاً⁽⁴⁾.

أما الإمام ابن عطية فذكر قول ابن عباس رضي الله عنهما: أنها نزلت هذه الآيات في الحارث بن سويد الأنصاري، كان مسلماً ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟

قال: فنزلت ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ﴾ الآيات، إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ فأرسل إليه قومه فأسلم، وقال مجاهد: حمل الآيات إليه رجل من قومه فقرأها عليه، فقال له الحارث: إنك والله لما علمت لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة، قال: فرجع الحارث فأسلم وحسن إسلامه.

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج1/ 229 بتصرف

(2) الحارث بن سويد ويقال ابن مسلمة المخزومي ارتد على عهد رسول الله ﷺ ولحق بالكفار فنزلت هذه الآية: " ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: 86-89]، فحمل رجل هذه الآيات فقرأهن عليه فقال الحارث والله ما علمتكم إلا صدوقاً وإن الله لأصدق الصادقين فرجع وأسلم وحسن إسلامه، روى عنه مجاهد. انظر:

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ج1/ 89

(3) السنن الكبرى، للنسائي، كتابُ الْمُخَارَبَةِ/ تَوْبَةُ الْمُؤْتَدِّ، ج 3/ 444 رقم الحديث: 3517، تحقيق الألباني: صحيح الإسناد

(4) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج2/ 73

قيل نزلت في اليهود خاصة، وقيل نزلت في جماعة من العرب أسلموا ثم كفروا ولحقوا بقريش ثم ندموا فراسلوا قومهم من المسلمين يسألونهم هل من توبة فنزلت، ومنهم الحارث بن سويد، وأبو عامر الراهب⁽¹⁾، طعيمة بن أبيرق⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ﴾ سؤال عن حال لكنه سؤال توقيف على جهة الاستبعاد للأمر. ﴿وَشَهَدُوا﴾ عطف على كفروا بحكم اللفظ، والمعنى مفهوم أن الشهادة قبل الكفر، والواو لا ترتب، وقال قوم: معنى قوله بعد إيمانهم بعد أن آمنوا، فقوله وشهدوا عطف على هذا التقدير، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ عموم معناه الخصوص فيمن حتم كفره وموافاته عليه، ويحتمل أن يريد الإخبار عن أن الظالم في ظلمه ليس على هدى من الله، فتجيء الآية عامة تامة للعموم⁽³⁾.

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

ذكر الإمام البيضاوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ "استبعاد لأن يهديهم الله ﷻ فإن الزائغ عن الحق بعد ما وضح له مُنْهَك في الضلال بعيد عن الرشاد، وقيل نفي وإنكار له وذلك يقتضي أن لا تقبل توبة المرتد، وشهدوا عطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل ونظيره فأصدق وأكن، أو حال بإضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم فوضعوا الكفر موضع الإيمان فكيف بمن جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه"⁽⁴⁾.

(1) أبو عامر الراهب واسمه عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان الأوسي، وكنيته أبو عامر الراهب. لم يسلم وظل يناصب رسول الله في الإسلام العداء، وسمّاه الرسول أبو عامر الفاسق، قاتل يوم أحد، فلما فتحت مكة هرب إلى قيصر، فمات هناك في هذه السنة، ابنه هو حنظلة بن أبي عامر، من صحابة رسول الله ﷺ، والذي عُرف باسم غَسِيل الملائكة. انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الجوزي، ج4/13

(2) طعيمة بن أبيرق بن أبي ظفر بن الحارث بن بنى ظفر، من المنافقين، سرق درعا من جاره، أنزل الله ﷻ به قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة النساء: 107] ولما سمع طعيمة ما أنزل فيه لحق بمكة مرتداً، فلقى ركباً وقال لهم أنا ابن سبيل منقطع، فحملوه حتى إذا جن الليل سرقهم وهرب، فأدركوه ورموه بالحجارة حتى مات. انظر: بيان المعاني، عبد القادر، ج5/604

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج1/468

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج2/26-27

ويذكر الإمام النسفي في تفسير الآية: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ "الواو" في "وشهدوا" للحال "وقد" مضمرة أي كفروا وقد شهدوا أنّ الرسول محمداً ﷺ حق، أو للعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا، ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي ما داموا مختارين الكفر أو لا يهديهم طريق الجنة إذا ماتوا كفاراً" (1) .

وفسرها أبو السعود فقال: "كيف يهدي الله تعالى إلى الحق ﴿قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعدما آمنوا ولحقوا بمكة، وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي ﷺ بعد أن كانوا مؤمنين به قبل مبعثه، ﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾ استبعاد لأن يهديهم الله تعالى فإن الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد، وقيل نفي وإنكار له وذلك يقتضي أن لا تقبل توبة المرتد ﴿وَشَهِدُوا﴾ عطف على إيمانهم باعتبار انحلاله إلى جملة فعلية فإنه في قوة أن يقال بعد أن آمنوا أو حال من ضمير كفروا بإضمار قد وهو دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم فوضعوا الكفر موضع الإيمان فكيف بمن جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه، والجملة اعتراضية أو حالية" (2) .

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

– تلاحظ الباحثة أن الإمام السمرقندي والذي يسير على منهج التفسير بالمأثور قد فسر القرآن بالقرآن، أما الإمامان الثعالبي وابن عطية، ففسروا الآية تفسيراً إجمالياً مع ذكر أسباب النزول، وكذلك التطرق لبعض المسائل النحوية، وبهذا يتبين لنا أن الإمام السمرقندي قد التزم بمنهجه حيث سار على منهج التفسير بالمأثور في حين أن كلاً من الثعالبي وابن عطية لم يسلكا هذا المنهج مع إمكانية التزامه والسير عليه كونهما من أصحاب منهج التفسير بالمأثور.

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج1/ 271-272

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج 2/ 55-56

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

تلاحظ الباحثة أن أصحاب التفسير بالرأي المحمود وهم كل من البيضاوي والنسفي وأبو السعود قد فسروا الآية بالرأي دون التطرق إلى المأثور مع إمكانية التزامه حيث إن المفسر بالرأي يجب عليه أن يفسر بالمأثور أولاً إن أمكن ذلك وهذا من شروط المفسر بالرأي المحمود.

المطلب الحادي عشر:

مجادلة المؤمنين للنبي ﷺ بالحق.

من صور الحق في القرآن الكريم مجادلة المؤمنين للنبي ﷺ بالحق وهو قتال المشركين من بعد ما تبين لهم أن ذلك واقع، فأصبح حالهم كالذين يساقون إلى الموت، وهم ينظرون إليه عياناً. وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الأنفال: 6]

وتناولت الباحثة تفسير الآية من تفاسير المأثور والرأي المحمود

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الثعلبي في تفسير هذه الآية: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ أي: "أن أهل الإيمان من أصحاب رسول الله ﷺ، الذين كانوا معه حين توجه إلى بدر للقاء المشركين أخذوا يجادلون النبي ﷺ في أمر القتال، وقيل: هؤلاء المشركون يجادلونه في الحق كأنما يساقون إلى الموت يعني: من يدعون للإسلام لكرهتهم إياه. ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إن المؤمنين لما أيقنوا الشوكة والحرب يوم بدر وعرفوا أنه القتال كرهوا ذلك وقالوا: يا رسول الله إنه لم نُعلمنا أننا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وإنما خرجنا للغير فذلك جدالهم من بعد ما تبين لهم أنك لا تصنع إلا ما أمر الله به" (1).

ويقول الإمام البغوي في تفسير الآية: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ أي: في القتال بعدما تبين وذلك أن المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك، وقالوا: لم نُعلمنا أننا نلقى العدو فنستعد لقتالهم، وإنما خرجنا للغير، فذلك جدالهم بعدما تبين لهم أنك لا تصنع إلا ما أمرك الله ﷻ به، وتبين صدقك في الوعد، ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ لشدة كراهيتهم للقتال، ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ فيه تقديم وتأخير، تقديره: وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون يجادلونك في الحق بعدما تبين" (2).

(1) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ج4/ 329-330

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج3 / 328

ويقول الإمام الثعالبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ كلاماً مستأنفاً يرد به الكفار، أي: يجادلونك في شريعة الإسلام من بعد ما تبين الحق فيها، كأنما يساقون إلى الموت في الدعاء إلى الإيمان، وهذا الذي ذكرت من أن يجادلونك في الكفار منصوص.

وقال مجاهد وغيره: كما أخرجك ربك من بيتك على كراهية من فريق منهم، كذلك يجادلونك في قتال كفار مكة، ويودون غير ذات الشوكة من بعد ما تبين لهم أنك إنما تفعل ما أمرت به لا ما يريدون هم، وقائل هذه المقالة يقول: إن المجادلين هم المؤمنون، وقائل المقالة الأولى يقول: إن المجادلين هم المشركون، وهذان القولان يتم بهما المعنى (1).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يقول الإمام النسفي في معنى الآية: "إنَّ الحق الذي جادلوا فيه رسول الله ﷺ تلقى النفير لإيثارهم عليه تلقي العير، وذلك بعد إعلام رسول الله ﷺ بأنهم ينصرون، وجدالهم هو قولهم ما كان خروجنا إلا للعير، وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكرهتهم القتال. ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل إلى القتل ويساق إلى الموت وهو ينظر أسبابه ويعاينها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلّة العدد وأنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان (2).

وأما الشعراوي فيذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ بيان الوعد الحق من الله ﷻ وهو بأن تكون لهم إحدى الطائفتين، وهما طائفة العير أو النفير الضخم الذي جمعته قريش لملاقاتهم، وما دام الحق قد وعدكم إحدى الطائفتين، فلماذا لا تأخذون الوعد في أقوى الطوائف؟ لماذا تريدون الوعد في أضعف الطوائف؟ فكان المنطق والعقل يؤكدان أنه ما دام قد وعدنا الله ﷻ إحدى الطائفتين، فلنقدم إلى الأنفع للإسلام والحق الذي نحارب من أجله، وأن نواجه الطائفة ذات القوة والشوكة والمنعة؛ لأنه قد يكون من الصحيح أن النصر مؤكد على طائفة العير، لكن هذا النصر سيبقى من بعد ذلك مجرد نصر يقال عنه إنه نصر لقطاع طريق، لا أهل قضية إيمان ودين، فالمنطق إذن يفرض أن الله ﷻ ما دام قد وعد رسوله ﷺ بإحدى الطائفتين، طائفة في عير والأخرى في

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج3 / 115

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج1 / 632

نفير، كان المنطق يفرض إقبال المؤمنين على مواجهة الطائفة القوية؛ لأن النصر على النفير هو أشرف من النصر على طائفة العير (1).

ويقول الإمام المقدسي في تفسيره للآية الكريمة: «يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ» وهو قولهم لرسول الله ﷺ: ما خرجنا إلا للعير، هلا قلت لنا فنستعد للقتال، بعدما تبين لهم أنهم ينصرون بإعلام الله تعالى ورسوله ﷺ، «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ» أي: حين يدعون إلى القتال ويشاهدون أسبابه، وقيل: هؤلاء المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الإسلام؛ لكرهتهم إياه (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

– تلاحظ الباحثة أن كلاً من الثعلبي والبغوي والثعالبي، لم يفسروا الآية بالمأثور، وإنما اكتفوا بالتفسير الإجمالي للآية.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآية:

– تلاحظ الباحثة أن كلاً من النسفي والشعراوي والمقدسي، اكتفوا بالتفسير الإجمالي، ولم يتطرق أي منهم للمأثور.

– ومن هنا تؤكد الباحثة من خلال المقارنة بين أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود بأن كلا الفريقين لم يأخذ بالمأثور، وقد لا تنهم الباحثة بذلك أياً من الفريقين بالتقصير وترك التفسير بالمأثور مع إمكانية ذلك، فقد لا يكون للآية تفسير في القرآن ولا في السنة ولا عند الصحابة أو التابعين، وهذا هو الذي دفع الفريقين إلى اجتهاد كل فريق رأيه في تفسير الآية الكريمة، وواضح بأن عدم تطرق الفريقين للتفسير بالمأثور، دليل على عدم توفر إمكانية ذلك لدى الفريقين.

(1) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج 8 / 4582-4583

(2) فتح الرحمن في تفسير القرآن، المقدسي، ج 3/90

المبحث الثاني:

صور من الباطل في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول:

أكل الأموال بالباطل

من صور الباطل التي ذكرها القرآن الكريم أكل الأموال بالباطل، فقد نظم الإسلام طريق التعامل مع الآخرين، للحفاظ على الأموال؛ لأن المال حق لصاحبه، وأكثر الخصومات والمنازعات تقع بسبب الأموال، والإسلام يريد تحقيق الاستقرار والحفاظ على المودة والحقوق بين الناس، لذلك حرم الإسلام أكل أموال الناس بالباطل، وأكل أموال الناس له صور كثيرة: منها السرقة والغش وتطيف الكيل والميزان، ومنها ما يأخذ صورة استغلال حاجة الإنسان كالربا أو استغلال النفوذ كالرشوة، وغير ذلك من المعاملات الباطلة. وقد جاء النهي عاماً لكل ما فيه أكل لأموال الناس بالباطل، وقد ورد ذلك في آيات عديدة، وهي:

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188]
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]
- ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: 161]
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 34]

اقتصرت الباحثة على تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188]

حيث تناولت تفسير هذه الآية من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام السمرقندي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالظلم وشهادة الزور. ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ أي: تلجؤوا بالخصومة إلى الحكام، وقال الزجاج: تعملون بما يوجب ظاهر الحكم، وتتركون ما علمتم أنه الحق ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾ يعني طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ أي باليمين الكاذبة وشهادة الزور، ويقال: بالإثم أي بالجور، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه جور، ويقال: إنكم تعلمون أنكم تأخذون بالباطل.

وهذه الآية نزلت في شأن عيدان بن أشوع الحضرمي (1)، وامرؤ القيس بن عابس الكندي (2) اختصما إلى رسول الله ﷺ فادعى امرؤ القيس على صاحبه شيئاً، فأراد الآخر أن يحلف بالكذب، فقال رسول الله ﷺ: " إِنْكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ وَأَرَى أَنَّهُ مِنْ حَقِّهِ، وَأَنَّهُ لَا يَرَى أَنَّهُ مِنْ حَقِّهِ فَإِنَّمَا أَقْضِي لَهُ بِقِطْعَةٍ مِنَ النَّارِ " (3) فنزلت هذه الآية فيهما، وصارت عامة لجميع الناس (4).

ويفسر الإمام ابن عطية الآية بقوله: الخطاب لأمة محمد ﷺ، والمعنى: لا يأكل بعضكم مال بعض، فأضيفت الأموال إلى ضمير المنهي لما كان كل واحد منهيًا عنه، وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 85]، ويدخل في هذه الآية: القمار، والخداع وجدد الحقائق وغير ذلك.

وقال قوم: المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ أي في الملاهي والقيان والشراب والبطالة، فتجيء على هذا إضافة المال إلى ضمير المالكين.

(1) عيدان بن أشوع هو ربيعة بن عيدان بن ذي العرف بن وائل الكندي، ويقال: الحضرمي، شهد فتح مصر، وله صحبة، وهو الذي تخاصم مع امرئ القيس في أرض إلى النبي ﷺ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج2/392

(2) امرؤ القيس بن عابس بن المنذر، وفد إلى النبي ﷺ فأسلم وثبت على إسلامه، ولم يكن فيمن ارتد من كندة، وكان شاعراً نزل الكوفة، وهو الذي خاصم الحضرمي إلى رسول الله ﷺ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ج1/33، أسد الغابة، ابن الأثير، ج1/72

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الشهادات/باب من أقام البيعة بعد اليمين، ج3/180: رقم الحديث 2680، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الأفضية/باب الحكم بالظاهر، واللحن بالحجة ج3/1337: رقم الحديث 1713 واللفظ لمسلم.

(4) بحر العلوم، السمرقندي، ج1/159

وقوله تعالى: ﴿ وَتُذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ يقال: أدلى الرجل بالحجة أو بالأمر الذي يرجو النجاح به تشبيهاً بالذي يرسل الدلو في البئر يرجو بها الماء.

وقال قوم: معنى الآية: تسارعون في الأموال إلى المخاصمة إذا علمتم أن الحجة تقوم لكم، إما بأن لا تكون على الجاحد بينة، أو يكون مال أمانة كاليتيم ونحوه مما يكون القول فيه قوله، فالباء في بها باء السبب، وقيل: معنى الآية ترشون بها على أكل أكثر منها، فالباء إلزاق مجرد، وهذا القول يترجح لأن الحكام مظنة الرشا إلا من عصم وهو الأقل، وأيضاً فإن اللفظتين متناسبتان، تُدَلُّوا مِنْ إرسال الدلو والرشوة من الرشا، كأنها يُمدُّ بها لِتُقْضَى الحاجة،: ﴿ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ ﴾ والفريق: القطعة والجزء، وبالإثم معناه بالظلم والتعدي، وسمى ذلك إثمًا لما كان الإثم معنى يتعلق بفاعله، ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي إنكم مبطلون آثمون، وهذه مبالغة في المعصية والجرأة (1).

ويذكر ابن كثير في تفسير الآية: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ قول ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الرجل يكون عليه مال، وليس عليه فيه بينة، فيجدد المال ويخاصم إلى الحكام، وهو يعرف أن الحق عليه، وهو يعلم أنه آثم أكل حرام.

وقد ورد في الصحيحين عن أم سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: "ألا إنما أنا بشر، وإنما يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من نار، فليحملها، أو ليذرها" (2). فدللت هذه الآية الكريمة، وهذا الحديث على أن حكم الحاكم لا يغير الشيء في نفس الأمر، فلا يُحل في نفس الأمر حراماً هو حرام، ولا يُحرم حلالاً هو حلال، وإنما هو يلزم في الظاهر، فإن طابق في نفس الأمر فذاك، وإلا فللحاكم أجره وعلى المحتال وزره.

﴿ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا ﴾ أي: طائفة ﴿ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: تعلمون بطلان ما تدعونه وتروجون في كلامكم.

قال قتادة: اعلم يا ابن آدم أن قضاء القاضي لا يحل لك حراماً، ولا يحق لك باطلاً وإنما يقضي القاضي بنحو ما يرى ويشهد به الشهود، والقاضي بشر يخطئ ويصيب، واعلموا

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج 1 / 260 بتصرف.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المظالم والغصب/ باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، ج 3 / 131:

رقم الحديث 2458، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الأفضية/ باب الحكم بالظاهر واللعن بالحجة، ج 3/

1337: رقم الحديث 1713

أن من قُضِيَ له بباطل أن خصومته لم تتَّقِضِ حتى يجمع الله بينهما يوم القيامة، فيقضي على المبطل للمحق بأجود مما قضي به للمبطل على المحق في الدنيا" (1).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يذكر الإمام النسفي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ أي: "لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبيحه الله ولم يشرعه ﴿وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل في حكم النهي يعني ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾ أي: طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي: تعلمون بطلان ما بالتحاكم بشهادة الزور أو بالأيمان الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضي له ظالم : أن رسول الله ﷺ قال: "ألا إنما أنا بشر، وإنما يأتيني الخصم فلعن بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من نار، فليحملها، أو ليذرها" (2).

وقيل: تدلوا بها وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة يقال أدلى دلوه أي ألقاه في البئر للاستسقاء ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم على الباطل" (3).

وفسر صاحب الجلالين الآية بالقول: "نهانا الله أن نأكل أموال بعضنا بالباطل بغير وجه حق كالسرقة والغصب ولا تلقوا بحكومتها أو بالأموال رشوة إلى الحكام أي: بالتحاكم ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا﴾ أي: طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ متلبسين بالإثم ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون" (4).

وأما أبو السعود فقال: نهانا الله ﷻ عن أكل أموال بعضنا بالباطل وبدون وجه حق.

﴿وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ عطف على المنهي عنه أو نصب بإضمار أن والإدلاء الإلقاء أي ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام ﴿لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم إليهم ﴿فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ بما يوجب إثماً كشهادة الزور واليمين الفاجرة أو متلبسين بالإثم.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 1 / 521

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المظالم والغصب/ باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، ج3 / 131:

رقم الحديث 2458، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الأفضية/ باب الحكم بالظاهر وللحن بالحجة،

ج3 / 1337: رقم الحديث 1713

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج 1 / 163

(4) تفسير الجلالين، المحلي، السيوطي، ص 39

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون فإن ارتكاب المعاصي مع العلم بها أقبح روي أن عبيد بن الحزرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله ﷺ بأن يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه الصلاة والسلام إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين فسلم الأرض إلى عبيد بن فنزلت الآية، وروي أنه اختصم إلى رسول الله ﷺ خصمان فقال ﷺ: "ألا إنما أنا بشر، وإنما يأتيني الخصم فلعن بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من نار" (1)(2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

– من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي: أن تفسير الإمامين السمرقندي، وابن عطية للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور؛ حيث فسر السمرقندي بالحديث الصحيح، أما ابن كثير فقد فسر الآية بالقرآن، وبالحديث الصحيح، ويقول الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، ويقول التابعي قتادة، وبهذا يتبين لنا أن كلاً من السمرقندي وابن عطية قد سلكا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام وهو التفسير بالمأثور، أما ابن عطية فقد فسر الآيات تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبهذا فهو لم يسلك في هذا الموضوع، طريق التفسير بالمأثور مع أنه منهجه الذي يسير عليه في تفسيره.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

– تلاحظ الباحثة أن كلاً من الإمامين النسفي وأبي السعود، قد فسرا القرآن بالسنة بالإضافة إلى إثراء المعنى بالنظر إلى الجوانب النحوية، وذكر بعض الوجوه المعنوية للفظ المراد تفسيرها، وبهذا يتبين للباحثة أن صاحبي التفسير بالرأي قد سارا على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليهما من آرائهما المحمودة.

– أما تفسير الجلالين ففسر الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبهذا يكون قد خالف النهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود.

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المظالم والغصب/ باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه، ج3/ 131:

رقم الحديث 2458، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الأفضية/ باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة،

ج3/ 1337: رقم الحديث 1713

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج 1/ 202

المطلب الثاني الإيمان بالباطل

من صور الباطل التي ذكرها القرآن الكريم الإيمان بالباطل، وقد ورد ذلك في ثلاث آيات وهي:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: 72]

﴿أولم يروا أننا جعلنا حرمًا آمنًا وتحتطف الناس من حولهم أفيالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾ [العنكبوت: 67]

﴿قل كفى بالله بئني وبينكم شهيدًا يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون﴾ [العنكبوت: 52]

اقتصرت الباحثة على تفسير الآية الأخيرة من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة .

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر ابن أبي حاتم عند تفسيره لقوله تعالى: "﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾" قول قتادة: قد كان من أهل الكتاب قوم يشهدون بالحق ويعرفونه" (1).

وقال الإمام ابن عطية في تفسيره للآية: "أمر الله تعالى نبيه أن يقول للمنكرين له ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ أي: حسبني أن يشهد الله لي بأني بلغت، فشهادتكم عندي لا تنفع، كما أنه لا ينفعني إيمانكم، ولا يضرني كفركم. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾، أي بالأصنام والأوثان وما يتبع أمرها من المعتقدات. وباقي الآية بين" (2).

ويقول ابن كثير في تفسير الآية: "أي: هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب، ويعلم ما أقول لكم من إخباري عنه، بأنه أرسلني، فلو كنت كاذبا عليه لانتقم مني، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: 44-47]، وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به، ولهذا أيدني بالمعجزات

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ج 9 / 3073

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج 4 / 323

الواضحات، والدلائل القاطعات، والله تعالى يعلم ما في السموات والأرض فلا تخفى عليه خافية.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: يوم معادهم سيجزيهم على ما فعلوا، ويقابلهم على ما صنعوا، من تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل، كذبوا برسول الله مع قيام الأدلة على صدقهم، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل، وسيجازيهم الله ﷻ على ذلك، إنه حكيم عليم" (1).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام النسفي في تفسير الآية: "كفى بالله شاهداً بصدق ما أذيعه من الرسالة وإنزال القرآن علي وبتكذيبكم، فهو مطلع على أمري وأمركم وعالم بحقي وباطلكم، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ منكم وهو ما يعبدون من دون الله تعالى ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ وآياته ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ والمغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:24] وروي أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد: من يشهد لك بأنك رسول الله فنزلت الآية" (2).

وذكر الإمام الخازن في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ قول ابن عباس رضي الله عنهما: "معناه يشهد لي أي رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب"، وشهادة الله إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي هو المطلع على أمري وأمركم ويعلم حقي وباطلكم لا تخفى عليه خافية، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ قال ابن عباس: "بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لأن ما سوى الله باطل" ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان (3)

أما الإمام الزحيلي فقال في تفسير الآية: قل يا محمد للمنكرين لك: كفى الله عالماً وحكماً عدلاً بيني وبينكم، فهو أعلم بما صدر منكم من التكذيب، وبما أقول لكم وأبلغكم به من أوامر وإنذارات وبما أرسلني به إليكم، فلو كنت كاذباً عليه لانتقم مني، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 6 / 288

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج 2 / 682

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج 3 / 382

حَاجِرِينَ» [الحاقة:44-47] وإنما أنا صادق فيما أخبرتكم به، ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات، والدلائل القاطعات. فالله تعالى عالم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، فهو يعلم جميع ما هو كائن ويكون في السموات والأرض، ومن جملة علمه: أنه يعلم حالي وحالكم، من صدقي وتكذيبكم وإنكاركم.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي والذين صدقوا بما يعبد من دون الله تعالى من الأوثان والأصنام ونحوها، وجحدوا بوجود الله تعالى أو توحيده، مع توافر الأدلة على الإيمان به، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفتهم، حيث اشتروا الكفر بالإيمان، وسبجزيهم الله ﷻ يوم القيامة على ما فعلوا، من تكذيب برسول الله ﷺ مع قيام الأدلة على صدقهم. وإنكار للحق، واتباع للباطل من الإيمان بالطواغيت والأوثان بلا دليل وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يقتضي الحصر، أي من أتى بالإيمان الباطل والكفر بالله تعالى، فهو خاسر، وكل من آمن بالباطل، فقد كفر بالله تعالى (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

– من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي: أن تفسير الإمامين ابن أبي حاتم، وابن كثير للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور؛ حيث فسر ابن أبي حاتم الآية بقول التابعي قتادة، أما ابن كثير فقد فسر الآية بالقرآن وبهذا يتبين لنا أن كلاً من ابن أبي حاتم وابن كثير قد سلكا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام وهو التفسير بالمأثور، أما ابن عطية فقد فسر الآيات تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبهذا الموضع لم يسلك ابن عطية طريق التفسير بالمأثور، مع أنه منهجه الذي يسير عليه في تفسيره.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآية:

– تلاحظ الباحثة أن كلاً من النسفي والزحيلي، قد فسر القرآن بالقرآن وبذكر سبب نزول للآية بالإضافة إلى إثراء المعنى بالتطرق إلى الجوانب النحوية، وذكر بعض الوجوه المعنوية للفظ المراد تفسيرها، أما الإمام الخازن ففسر الآية أولاً بذكر قول الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، وبهذا يتبين للباحثة أن أصحاب التفسير بالرأي قد ساروا على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليهم من آرائهم المحمودة.

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج 21 / 18 بتصرف

المطلب الثالث

الكافرون يتبعون الباطل

من صور الباطل التي ذكرها القرآن الكريم: اتباع الباطل، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: 3]

وتناولت الباحثة تفسير الآية من تفاسير المأثور، والرأي المحمود مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال ابن عطية في تفسيره للآية: "﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الإشارة إلى الإضلال والإحباط، والتكفير والإصلاح التي فعله الله ﷻ بالكفار وبالمؤمنين. ﴿اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ أي الشيطان وكل ما يأمر به، قاله مجاهد. و: الحق هنا هو الشرع ومحمد ﷺ.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ أي يبين أمر كل فرقة ويجعل لها ضربها

من القول وصفها. وضرب المثل مأخوذ من الضريب والضرب الذي هو بمعنى النوع" (1)

ويقول ابن كثير في تفسير الآية: "إنما أبطلنا أعمال الكفار، وتجاوزنا عن سيئات الأبرار، وأصلحنا شؤونهم؛ لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل، أي: اختاروا الباطل على الحق، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ أي: يبين لهم مآل أعمالهم، وما يصيرون إليه في معادهم" (2)

وذكر الإمام الشنقيطي في تفسير الآية: "ذلك المذكور من إضلال أعمال الكفار،

أي إبطالها وضمحلها وبقاء ثواب أعمال المؤمنين، وتكفير سيئاتهم وإصلاح حالهم، كله واقع بسبب أن الكفار اتبعوا الباطل، ومن اتبع الباطل فعمله باطل. وبسبب أن الذين آمنوا اتبعوا الحق، ومتبع الحق أعماله حق، فهي ثابتة باقية، لا زائلة مضمحلة" (3).

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج5/110

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج7/306

(3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج7/246

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام النسفي في تفسيره للآية الكريمة: "أي ذلك الأمر وهو إضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني والإصلاح كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهو الشيطان وهؤلاء الحق وهو القرآن ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ﴾ مثل ذلك الضرب يبين الله ﴿لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين، على معنى أنه يضرب أمثالهم، لأجل الناس؛ ليعتبروا بهم، وقد جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكافرين، واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين، أو جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار، وتكفير السيئات مثلاً لفوز الأبرار" (1).

أما أبو حيان فقال في تفسير الآية: "﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ ذلك: إشارة إلى ما فعل الله ﷻ بالكفار من إضلال أعمالهم، وبالمؤمنين من تكفير سيئاتهم وإصلاح حالهم. وذلك مبتدأ وما بعده الخبر، أي كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق. والباطل: ما لا ينتفع به.

وقال مجاهد: الشيطان، وكل ما يأمر به، والحق: هو الرسول والشرع، ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ﴾ والإشارة إلى اتباع المذكورين من الفريقين، أي كما اتبعوا هذين السبيلين، كذلك يبين أمر كل فرقة، ويجعل لها ضربها من القول وصفها وضرب المثل من الضرب الذي هو بمعنى النوع. أي مثل ذلك الضرب. يضرب الله للناس أمثالهم؛ لأجل الناس ليعتبروا بهم" (2).

وقال الشيخ المراغي في تفسير الآية: "بيان من الله ﷻ السبب في الإضلال، وإصلاح الباطل أي: وإنما أبطلنا أعمال الكفار وتجاوزنا عن سيئات الأبرار، وأصلحنا شئونهم، لأن الذين كفروا اختاروا الباطل على الحق بما وسوس إليهم به الشيطان، ولأن الذين آمنوا اتبعوا الحق الذي جاءهم من ربهم، فأثار بصائرهم وهداهم إلى سبل الرشاد، والخلاصة: أنه جعل اتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار، وإضلال أعمالهم مثلاً لخبيثتهم، واتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين، وتكفير سيئاتهم مثلاً لفوزهم، وهكذا شأن القرآن يوضح الأمور التي فيها عظة وذكرى بضرب الأمثال كما ضرب المثل بالنخل والحنظل في سورة أخرى" (3).

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج3/322

(2) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، ج9/459

(3) تفسير المراغي، المراغي، ج26/46

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

- من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي: أن الإمام ابن عطية فسر الآية بالمأثور؛ وذلك بذكر قول التابعي مجاهد، وهذا من التفسير بالمأثور.
- أما ابن كثير والشنقيطي ففسرا الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور مع أن منهجهما الأصيل هو التفسير بالمأثور، وبهذا لم يسلكا طريق التفسير بالمأثور مع أنه منهجهما الذي يسيرا عليه في تفسيرهما.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من الإمامين النسفي والمراغي، قد اهتمتا بالجانب اللغوي والبلاغي مع تفسير الآية تفسيراً إجمالياً، وبهذا لم يسلكا المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور .
- أما الإمام أبو حيان ففسر الآية أولاً بالمأثور بذكر قول التابعي مجاهد، كما يلاحظ اهتمامه بالجانب البلاغي والنحوي مع تفسير الآية تفسيراً إجمالياً، وبهذا يكون قد سار على المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود الذي يقوم على التفسير بالمأثور أولاً.

المطلب الرابع

دعاء الباطل من دون الله تعالى

من صور الباطل التي ذكرها القرآن الكريم: دعاء الباطل من دون الله تعالى، وقد ورد ذلك في موضعين من كتاب الله تعالى وهما:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان:30]

- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج:62]

وتناولت الباحثة تفسير الآية الثانية من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة:

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام السمرقندي في تفسيره للآية: ذلك الاتصاف بكمال القدرة، وكمال العلم، إنما كان لأن الله تعالى هو الإله الحق الذي لا تتبغي العبادة إلا له لأنه ذو السلطان، ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾؛ ولا يقدر على شيء. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾؛ يعني: هو أعلى وأكبر من أن يعدل به الباطل (1).

ويقول الإمام البغوي في تفسير الآية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ "قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي وحفص: بالياء، وقرأ الآخرون: بالتاء، يعني المشركين، ﴿مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ العلي على كل شيء، العظيم الذي كل شيء دونه" (2).

ويقول ابن كثير في تفسير الآية: "إن الله ﷻ هو الإله الحق الذي لا تتبغي العبادة إلا له؛ لأنه ذو السلطان العظيم، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء فقير إليه، دليل لديه ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ أي: من الأصنام والأنداد والأوثان، وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل؛ لأنه لا يملك ضراً ولا نفعاً.

وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255]، وقال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: 9] فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العلي الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدس وتنزه، وعز وجل عما يقول الظالمون علواً كبيراً" (3).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: 62] "ذلك بأن الله هو الإله الحق الذي لا تتبغي العبادة إلا له، هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده، وأن الله هو العلي على الأشياء. الكبير على أن يكون له شريك لا شيء أعلى منه شأنًا وأكبر منه سلطاناً" (4)

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج 3 / 170 بتصرف

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج 5 / 397 بتصرف

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 5 / 449

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج 4 / 77

وفسر صاحبا الجلالين الآية بقولهما: "ذلك النصر ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾ أي أن ما يعبد المشركون من دونه من الأصنام والأنداد هو الباطل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ أي العالي على كل شيء بقدرته، الكبير الذي يصغر كل شيء سواه" (1).

وأما أبو السعود فقال في تفسيرها: "ذلك" أي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر أنفا وهو مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وأفعاله وحده فإن وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات أو الثابت إلهية فلا يصلح لها إلا من كان عالما قادرا ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ إليها وقرئ على البناء للمفعول على أن الواو لما فإنه عبارة عن الآلهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ أي المعدوم في حد ذاته أو الباطل ألوهيته ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ وأن الله هو العليُّ على خلقه ذاتا وقدرًا وقهرًا، المتعالي عن الأشباه والأنداد، الكبير في ذاته وأسمائه فهو أكبر من كل شيء" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآية:

– من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي: أن تفسير الإمام ابن كثير للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور؛ حيث فسر الآية بالقرآن وبهذا يتبين أن الإمام ابن كثير قد سلك منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجه العام وهو التفسير بالمأثور، أما السمرقندي والبغوي فقد فسرا الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور .

ثانياً: منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

– تلاحظ الباحثة أن كلاً من البيضاوي وصاحب الجلالين وأبو السعود قد فسروا بالرأي المحمود دون الرجوع للمأثور .

– كما تلاحظ الباحثة من خلال المقارنة بين أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود بأن كلا الفريقين لم يأخذ بالمأثور، عدا ابن كثير، وقد لا تتهم الباحثة بذلك أيّاً من الفريقين بالتقصير وترك التفسير بالمأثور مع إمكانية ذلك، فقد لا يكون للآية تفسير في القرآن إلا ما ذكره ابن كثير، ولا في السنة ولا عند الصحابة أو التابعين، وهذا هو الذي دفع الفريقين إلى اجتهاد كل فريق رأيه في معنى الآية الكريمة.

(1) تفسير الجلالين، المحلي، السيوطي، ص442

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج6/117

المطلب الخامس

إلباس الحق بالباطل وكتمان الحق

من صور الباطل التي ذكرها القرآن الكريم: إلباس الحق بالباطل وكتمان الحق ، وقد ورد ذلك في موضعين من كتاب الله تعالى وهما:

- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 42]
- وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 71] وتناولت الباحثة الآية الثانية بالتفسير من تفاسير المأثور وتفسير الرأي المحمود مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآية: ينكر الله تعالى على اليهود كفرهم، ويقول لم تجحدون بالقرآن ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أنه نبي الله ﷺ، لأنهم كانوا يخبرون بأمره قبل مبعثه ويقال: بآيات الله ﷺ، يعني بعجائبه ودلائله. ويقال: بآية الرجم ثم قال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ يقول لم تخلطون الكفر بالإيمان؟ لأنهم آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني بعث محمد ﷺ ، وأنه رسول الله ﷺ، وأن الإسلام دين الله تعالى (1).

ويقول الإمام البغوي في تفسير الآية: "يا أهل الكتاب لم تخلطون الإسلام باليهودية والنصرانية، وقيل: لم تخلطون الإيمان بعبسى الكذبة وهو الحق بالكفر بمحمد ﷺ وهو الباطل؟ وقيل: التوراة التي أنزلت على موسى بالباطل الذي حرفتموه وكتبتموه بأيديكم لماذا تكتمون شأن محمد وهو مكتوب عندكم في التوراة والإنجيل" (2)

ويقول ابن كثير في تفسير الآية: "يا أهل الكتاب لم تخلطون الحق بالباطل، وتكتمون ما في كتبكم من صفة محمد ﷺ وأنتم تعرفون ذلك وتتحققونه" (3)

(1) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج1/280

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج2/53

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج2/59

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام النسفي في تفسيره للآية الكريمة: "يا أهل الكتاب لم تخطون الإيمان بموسى وعيسى عليهما السلام بالكفر بمحمد ﷺ ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وهو نعت محمد ﷺ مع علمكم بأنه الحق" (1).

وأما أبو السعود فقال في تفسير هذه الآية: "يا أهل الكتاب لم تخطون الحق بالباطل وتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض بتحريفكم وإبراز الباطل في صورته أو بالتقصير في التمييز بينهما، وتكتمون نبوة محمد ﷺ ونعته، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي حقيته" (2).

وفسر الإمام ابن عاشور الآية بقوله: أعاد الله ﷻ نداء أهل الكتاب بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ لقصد التوبيخ وتسجيل باطلهم عليهم، ولبس الحق بالباطل هو تلبيس دينهم بما أدخلوا فيه من الأكاذيب والخرافات والتأويلات الباطلة، حتى ارتفعت الثقة بجميعه. وكتمان الحق يحتمل أن يراد به كتمانهم تصديق محمد ﷺ، ويحتمل أن يراد به كتمانهم ما في التوراة من الأحكام التي أماتوها وعوضوها بأعمال أبحارهم وآثار تأويلاتهم، وهم يعلمونها ولا يعملون بها(3).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسير الآية:

من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من السمرقندي والبخاري وابن كثير قد فسر الآية تفسيراً إجمالياً دون الأخذ بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

تلاحظ الباحثة أن كلاً من النسفي وأبي السعود، وابن عاشور، قد فسر الآية تفسيراً إجمالياً دون الأخذ بالمأثور.

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج1/264

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج2/49

(3) التحرير والتوير، ابن عاشور، ج3/279 بتصرف

– كما تلاحظ الباحثة من خلال المقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود بأن كلا الفريقين لم يأخذ بالمأثور، وقد لا تتهم الباحثة بذلك أياً من الفريقين بالتقصير وترك التفسير بالمأثور مع إمكانية ذلك، فقد لا يكون للآية تفسير في القرآن ولا في السنة ولا عند الصحابة أو التابعين، وهذا هو الذي دفع الفريقين إلى اجتهاد كل فريق رأيه في معنى الآية الكريمة.

المطلب السادس

المجادلة بالباطل لدحض الحق

من صور الباطل التي ذكرها القرآن الكريم: المجادلة بالباطل لدحض الحق، وقد ورد ذلك في موضعين من كتاب الله تعالى وهما:

قوله تعالى:

- «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ» [غافر: 5]
- «وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُرُوءًا» [الكهف: 56]

وتناولت الباحثة الآية الثانية من تفاسير المأثور والرأي المحمود، مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

يقول السمرقندي في تفسير قوله تعالى: «وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ»، أي للتبشير المؤمنين بالجنة، «وَمُنذِرِينَ» وإنذار الكافرين من النار، «وَمُجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ» أي يخاصموا بالباطل «لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ» أي ليزيلوا ويذهبوا به الحق ومنه يقال: حُجَّةٌ دَاحِضَةٌ إذا زالت عن الحجة وقال مقاتل: ليبطلوا به الحق، يعني: القرآن والإسلام، يعني: يريدون أن يفعلوا إن قدروا عليه. وقد وقفوا من القرآن والنذر موقف المستهزئ الساخر الذي لا يُعْنَى بطلب الحقائق⁽¹⁾

ويقول الإمام البغوي في تفسير الآية: "مجادلتهم هي قولهم: «أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا» [الإسراء: 94] وقوله تعالى: «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ»

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج3/52

[الزخرف: 31] وما أشبهه ليبطلوا به الحق، وأصل الدحض الزلق يريد ليزيلوا به الحق ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ فيه إضمار يعني وما أنذروا به وهو القرآن هزوا أي استهزاء" (1).

وقال ابن كثير في تفسير الآية: "وما نرسل المرسلين إلى الأمم إلا حالة كونهم مبشرين المؤمنين بالثواب، ومنذرين الكفار والعصاة بالعقاب، هذه هي مهمة الرسل مع أممهم ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يجادلون بالباطل، ليضعفوا به الحق الذي جاءت به الرسل، وليس ذلك بحاصل لهم، واتخذوا الحجج والبراهين وخوارق العادات التي بُعِثَ بها الرسل وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب "هزوا" أي: سخروا منهم في ذلك، وهو أشد التكذيب" (2).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام البيضاوي في تفسير الآية: جدال أهل الباطل كان باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات، والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتاً. ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال. الحق عن مقره ويبطلوه، من إحاض القدم وهو إزلاقها وذلك قولهم للرسل: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: 15] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: 24] ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ يعني القرآن ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ وإنذارهم أو والذي أنذروا به من العقاب "هزوا" استهزاء. وقرئ «هزأ» بالسكون وهو ما يستهزأ به على التقديرين (3).

وقال الإمام الجزائري في تفسيره للآية الكريمة: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ "أي: دعاة هداة يبشرون من آمن وعمل صالحاً بالجنة وينذرون من كفر، وعمل سوءاً بالنار. فلم نرسلهم جبارين ولم نكلفهم بهداية الناس أجمعين، لكن الذين كفروا يتعامون عن هذه الحقيقة ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، واتخذوا آيات الله وحججه، وما خوفوا به من العذاب اللازم لكفرهم وعنادهم اتخذوه سخرية وبذلك أصبحوا من أظلم الناس" (4).

أما الإمام القاسمي فيقول في تفسير الآية: "أي وما نرسل الرسل، قبل إنزال العذاب، إلا لتبشر من آمن بالزلفى والكرامة، وإنذار من كفر بأن تأتيه سنة من مضى. ﴿وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ كافتراح الآيات؛ ليزيلوا بالجدال، الحق الثابت عن مقره. وليس ذلك بحاصل

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج5/182

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 5/172

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج 3/285

(4) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، ج3/269

لهم. وأصل الإدحاض إزلاق القدم وإزالتها عن موطنها. فاستعير من زل القدم المحسوس، لإزالة الحق المعقول. والذي أذروا به من العقاب هزوا أي استهزاء وسخرية وهو أشد التكذيب" (1)

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي:

- أن تفسير الإمامين السمرقندي، والبغوي للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور؛ حيث فسر السمرقندي بقول التابعي مقاتل، أما البغوي فقد فسر القرآن بالقرآن وبهذا يتبين لنا أن كلاً من السمرقندي والبغوي قد سلك منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام وهو التفسير بالمأثور، وأما ابن كثير فقد فسر الآيات تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور ولم يسلك في هذا الموضوع طريق التفسير بالمأثور مع أنه منهجه الذي يسير عليه في تفسيره.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن الإمامين الجزائري والقاسمي فقد فسرا الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبهذا لم يسلكا منهج التفسير بالرأي المحمود، الذي يعتمد أولاً على التفسير بالمأثور.

- أما الإمام البيضاوي ، فقد فسر القرآن بالقرآن ، بالإضافة إلى إثراء المعنى بالتطرق إلى الجوانب النحوية، وذكر بعض الوجوه المعنوية للفظة المراد تفسيرها، وبهذا يتبين للباحثة أنه قد سار على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة.

(1) محاسن التأويل، القاسمي، ج7/ 44-45

الفصل الثاني:

مظاهر العناية الإلهية بالحق وإزهاق الباطل
في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة

الفصل الثاني:

مظاهر العناية الإلهية بالحق وإزهاق الباطل في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة

تتبع الباحثة آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن مظاهر العناية الإلهية بالحق وإزهاق الباطل وقامت بدراستها دراسة تفسيرية موضوعية مقارنة، وذلك من خلال كتب التفسير بالمأثور والرأي المحمود الأصيلة والحديثة، وذلك لإجراء مقارنة بين مناهج المفسرين المختلفة في تفسير الآية الواحدة، وذلك حسب طبيعة دراسة المقارنة بين التفاسير، ووفق الضوابط المنهجية العلمية التي وضعها العلماء، وقد قسمت الباحثة هذا الفصل إلى مبحثين.

المبحث الأول:

مظاهر العناية الإلهية بالحق مع الدراسة المقارنة

تعددت مظاهر العناية الإلهية بالحق في القرآن الكريم وبعد تتبع الباحثة لهذه المظاهر تبين لها أنها تشمل إحقاق الله تعالى الحق بكلماته، وقضاؤه سبحانه بالحق، ووعده سبحانه بالحق وعدم استحيائه من الحق، وقوله الحق وهداية السبيل، وهذا ما ستبينه الباحثة بالتفصيل من خلال المطالب الآتية .

المطلب الأول:

إحقاق الله تعالى الحق بكلماته

من مظاهر العناية الإلهية بالحق في القرآن الكريم إحقاق الله تعالى الحق بكلماته، وقد ورد ذلك في آيات عديدة في كتاب الله ﷻ وهي:

قوله تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأنفال:7]

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأُ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الشورى:24]

- ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:82]

وتناولت الباحثة تفسير الآية الأخيرة من تفاسير المأثور والرأي المحمود، مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُجْرِمُونَ ﴾ " قال ابن عباس رضي الله عنهما: المجرمون يعني بهم الكفار " (1)

أما الإمام البقاعي فقال في تفسير الآية: جرت سنة الله تعالى أن يحق الحق "أي

يبثه إثباتاً عظيماً، "بكلماته" أي الأزلية التي لها الثبات الأعظم، وزاد في العظمة بقوله: ﴿ وَلَوْ

كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي العريقين في قطع ما أمر الله به أن يوصل، فكان كما قال عليه السلام بطل

سحرم، واضمحل مكرهم، وحق الحق " (2).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ج 6 / 1974

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج 9 / 175

ويقول ابن عطية في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ يحتمل أن يكون هذا من كلام موسى عليه السلام، ويحتمل أن يكون من إخبار الله تعالى، وكون ذلك كله من كلام موسى عليه السلام أقرب، "بِكَلِمَاتِهِ" السابقة الأزلية في الوعد بذلك، ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ مهما أظهر الكافرون من بغضهم للحق ومحاربتهم إياه⁽¹⁾.

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الرازي في تفسيره للآية: "معنى إحقاق الحق إظهاره وتقويته. وقوله: "بِكَلِمَاتِهِ" أي بوعد الله تعالى لموسى عليه السلام، وقيل بما سبق من قضاء الله وقدره"⁽²⁾

ويقول الإمام القرطبي في تفسير الآية: "إن الله تعالى ناصر الحق ومؤيده وموضحه بقدرته وحكمته، وبكلامه وحججه وبراهينه، وقيل: بوعد النصر. ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ من آل فرعون"⁽³⁾.

أما الشيخ طنطاوي فيقول في تفسير الآية: "في الآية الكريمة تأكيد لسنة الله تعالى في تنازع الحق والباطل، والصلاح والفساد، وقد جرت سنة الله تعالى أنه لا يصلح عمل المفسدين، بل يحقه ويبطله، وأن الله تعالى يحق الحق ويثبتته ويقويه ويؤيده بكلماته النافذة، وقضائه الذي لا يرد، ووعد الذي لا يتخلف ولو كره المجرمون ذلك لأن كراهيتهم لإحقاق الحق وإبطال الباطل، لا تعطل مشيئة الله تعالى، ولا تحول بين تنفيذ آياته وكلماته كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۚ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: 117-118]"⁽⁴⁾.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية: من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي:

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج3/ 380

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، ج17/ 288

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 8/ 369

(4) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، ج7/ 116

- أن الإمام ابن أبي حاتم فسر الآية بالمأثور؛ وذلك بذكر تفسير لبعض الصحابة، وذلك انسجاماً مع منهجه العام وهو التفسير بالمأثور، أما الإمامان البقاعي وابن عطية، فلم يفسرا الآية بالمأثور، وإنما اكتفيا بالتفسير الإجمالي للآية مع أن منهجهما هو التفسير بالمأثور

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن الإمامين الرازي والقرطبي قد فسرا الآية تفسيراً إجمالياً، ولم يأخذا بالمأثور، في حين أن الإمام طنطاوي، قد أخذ بالمأثور حيث فسر القرآن بالقرآن، ومن ثم فسر الآية تفسيراً بالرأي المحمود، وبهذا يكون قد التزم بقواعد التفسير بالرأي المحمود الذي يقتضي تفسير الآية أولاً بالمأثور إن أمكن ذلك ثم التعرّيج على رأي المفسر بعد ذلك.

المطلب الثاني:

قضاء الله تعالى بالحق

من مظاهر العناية الإلهية بالحق في القرآن الكريم، قضاء الله تعالى بالحق، وقد ورد ذلك في ثلاث آيات في كتاب الله ﷻ وهي:

قوله تعالى:

- ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالتَّيِّبِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: 69]

- ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: 75]

- ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: 20] وتناولت الباحثة الآية الأخيرة من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر السيوطي في تفسير قوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ "أي: قادر على أن يقضي بالحق والعدل ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ لا يقدر على أن يقضوا بالحق" (1)

(1) الدر المنثور، السيوطي، ج7/ 283

ويقول ابن كثير في تفسير الآية: ﴿وَاللَّهُ يَفْضِي بِالْحَقِّ﴾ "أي: يحكم بالعدل، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَفْضِي بِالْحَقِّ﴾ قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة، كما في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: 31]" (1).

أما الإمام البقاعي فيقول في تفسير الآية: إن الله ﷻ "المتصف بجميع صفات الكمال ﴿يَفْضِي بِالْحَقِّ﴾ أي الثابت الذي لا يصح أصلاً نفيه، فلو قضى فيمن يعلم أنه ليس بأهل للشفاعة فيه بقبول الشفاعة لنفى الحق وأثبت الباطل فخالف ذلك الكمال ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي الظالمون، ولما كانت المراتب دون عظمته سبحانه لا تنحصر ولا يحتوي عليها كلها شيء، أثبت الجار فقال: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي سواه" (2).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يقول الإمام القرطبي في تفسير الآية: "أي إن الله ﷻ يجازي من غض بصره عن المحارم، ومن نظر إليها، ومن عزم على مواجهة الفواحش إذا قدر عليها ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني الأوثان ﴿لَا يَفْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ لأنها لا تعلم شيئاً ولا تقدر عليه ولا تملك ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ "هو" زائدة فاصلة، ويجوز أن تكون في موضع رفع بالابتداء وما بعدها خبر والجملة خبر إن" (3).

أما الإمام أبو بكر الجزائري فيقول في تفسير الآية: "أي يحكم بالعدل، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي والذين يعبدهم المشركون من أصنام وأوثان وما أشبهها، ﴿لَا يَفْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ لأنهم لا يسمعون ولا يبصرون وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ لا يخفى عليه من المسموعات والمبصرات خافية؛ أي السميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم فلذا إذا حكم يحكم بالحق ويقدر على إنفاذ الحكم فيجزي السيئة بالسيئة والحسنة بعشر أمثالها" (4).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 7 / 138

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج 34/17-35

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 15/303

(4) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، ج 4 / 523

وفسرها أسعد حومد: إن الله ﷻ يحكم بالعدل بين الخلائق، ويحاسبهم على جميع أعمالهم جليلها وحقيرها، ويجزيهم عليها، أما الآلهة التي يعبدها المشركون لا تملك التصرف بشيء، ولا تعلم شيئاً، والله تعالى هو السميع لما يقوله العباد، البصير بما يفعلونه (1)

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية: من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة أن الإمامين السيوطي والبقاعي قد فسرا كل منهما الآية تفسيراً إجمالياً، مع أنهما يسيران على منهج أصيل، وهو التفسير بالمأثور.

أما الإمام ابن كثير فقد فسرا الآية بالمأثور؛ وذلك بذكر تفسير للصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، وتفسيره للآية بآية أخرى، وبهذا يتبين لنا أن ابن كثير قد سلك منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجه العام والأصيل.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من القرطبي والجزائري وحومد اكتفوا بالتفسير الإجمالي للآية .
- كما تلاحظ الباحثة من خلال المقارنة بين أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود بأن كلا الفريقين لم يأخذوا بالمأثور عدا ابن كثير، وقد ترجع الباحثة ذلك إلى أن ابن كثير رحمه الله قد اهتدى إلى تفسير الآية بآية وبقول الصحابي ابن عباس، في حين أن بقيتهم لم يضعوا أيديهم على ذلك.

المطلب الثالث:

وعد الله تعالى حق

من مظاهر العناية الإلهية بالحق في القرآن الكريم، وعد الله تعالى، وقد ورد ذلك في آيات عديدة في كتاب الله ﷻ وهي:

- قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:44]

(1) أيسر التفاسير، حومد، ص 4032 بتصريف

- ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 111]

- ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: 4]

- ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 55]

- ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: 45]

- ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِيَّيْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: 22]

- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 38]

- ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف: 21]

- ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: 98]

اقتصرت الباحثة على تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 55]

حيث سنتناول الباحثة تفسير الآية من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال السمرقندي في تفسيره للآية: "يخبر الله تعالى أنه مالك للسموات والأرض وما فيهما، وأن الخلق كلهم عبيد لله تعالى وهو قادر عليهم، ويقال: كلُّ شيء يدلُّ على توحيده، وأنَّ له صناعاً ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني: البعث بعد الموت هو كائن . ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: لا يُصدِّقون بالبعث" (1)

ويقول ابن كثير في تفسير الآية: "يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض، وأن وعده حق كائن لا محالة، وأنه يحيي ويميت وإليه المرجع، وأنه القادر على ذلك، العليم بما تفرق من الأجسام وتمزق في سائر أقطار الأرض والبحار والقفار سبحانه وتعالى" (2).

أما الإمام البقاعي فيذكر في تفسيره للآية: إن الملك الأعظم لله وحده ولا شيء يخرج عن قبضته فهو المحق في الوعد العدل في الحكم، الذي له الكمال كله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي الذين تدعونهم وهم يدعون دقة الأفهام وسعة العقول ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا علم لهم فهم لا يتدبرون ما نصبنا من الأدلة فلا ينقادون لما أمرنا به من الشريعة فهم باقون على الجهل معدودون مع البهائم (3).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال أبو السعود في تفسير هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ما وجد في السموات والأرض داخلاً في حقيقتها أو خارجاً عنهما متمكناً فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الأشياء وبيان لاندرج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء إيجاداً وعدمياً وإثابة وعقاباً. ووعدته تعالى حق، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالأحوال المحسوسة المعتادة، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون" (4)

ويقول حومد في تفسير الآية: "يخبر الله تعالى أنه مالك للسموات والأرض وما فيهما، وأن وعده حق كائن لا محالة، وأنه يحيي ويميت وإليه يرجع الناس جميعاً، وأنه القادر على كل

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج 2 / 301

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 4 / 274

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج 9/141-142، بتصرف

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج 4 / 155

شيء، ولذلك فإن الكافرين الظالمين لا يملكون في ذلك اليوم شيئاً يفتنون به من عذاب الله تعالى" (1).

أما الإمام أبو بكر الجزائري فيقول في تفسير الآية: "إن الله ﷻ مالك ومهيمن على جميع ما في السموات والأرض من سائر المخلوقات، فهو يتصرف في ملكه كما يشاء يعذب ويرحم يشقي ويسعد لا اعتراض عليه، وما وعدكم به من العذاب حق ثابت لا يتخلف" (2)

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآية:

تلاحظ الباحثة أن تفسير كلاً من السمرقندي وابن كثير والبقاعي للآية لم يعتمد على التفسير بالمأثور، فهم لم يسلكوا منهج التفسير بالمأثور في هذا الموضوع، مع أنه منهجهم الذي يسيرون عليه في تفسيرهم.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من أبي السعود، وحومد، والجزائري لم يعتمدوا على المأثور عند تفسيرهم للآية فقد فسروا الآية تفسيراً إجمالياً، مع إمكانية التزامه حيث إن المفسر بالرأي يجب عليه أن يفسر بالمأثور أولاً إن أمكن ذلك وهذا من شروط المفسر بالرأي المحمود.
- تلاحظ الباحثة من خلال المقارنة بين أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود بأن كلا الفريقين قد فسروا الآية تفسيراً إجمالياً بعيداً عن التفسير بالمأثور، وقد لا تنتهـم الباحثة بذلك أياً من الفريقين بالتقصير وترك التفسير بالمأثور مع إمكانية ذلك، فقد لا يكون للآية تفسير في القرآن ولا في السنة ولا عند الصحابة أو التابعين، وهذا هو الذي دفع الفريقين إلى اجتهاد كل فريق رأيه في معنى الآية الكريمة.

(1) أيسر التفاسير، حومد، ص 1420

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، ج 2 / 482

المطلب الرابع:

عدم استحياء الله تعالى من الحق

من مظاهر العناية الإلهية بالحق في القرآن الكريم عدم استحياء الله تعالى من الحق، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: 53]

وتناولت الباحثة تفسير الآية من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره للآية: رواية أنس رضي الله عنه، عنه قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهياً للقيام فلم يقولوا فلما رأى ذلك قام، فلما قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي ﷺ ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ....﴾ [الأحزاب: 53] ⁽¹⁾

وقوله: ﴿غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ قال مجاهد: غير متحينين نضجه ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ بعد أن تأكلوا، ولكن إذا دعيتم إلى طعام فادخلوا، فإذا أكلتم فانصرفوا، ولا تمكثوا بعده يستأنس بعضهم بحديث بعض، إن ذلك المكث كان يؤذي النبي ﷺ فيستحيي أن يطلب منكم الانصراف، والله لا يستحيي أن يأمر بالحق، فأمركم بالانصراف عنه حتى لا تؤذوه ﷺ بالمكث ⁽²⁾.

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآية: إن جماعة من المسلمين كانوا يتحينون غذاء النبي ﷺ، ويدخلون عليه بغير إذن، ويجلسون وينتظرون الغداء، وإذا أكلوا جلسوا طويلاً، ويتحدثون طويلاً، فأمرهم الله ﷻ بحفظ الأدب فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ أي: إلا أن يدعوكم ويأذن لكم في الدخول

(1) صحيح البخاري، البخاري، ج6/118، صحيح مسلم، مسلم، ج2/1050

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ج10/3147-3148

من غير أن تنتظروا وقت الطعام ونضجه، ولكن إذا دعاكم الرسول فادخلوا بيته، فإذا طعمتم فتفرقوا، ولا تمكثوا بعد ذلك مستأنسين لحديث بعضهم بعضاً. لأن الدخول بدون إذنه وإطالة المكث بعد الطعام كان يؤذي النبي فيستحي أن يطلب إليكم الخروج، ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنِ الْحَقُّ﴾ أي: من بيان الحق أن يأمركم بالخروج بعد الطعام .

وفي الآية السابقة حفظ الأدب والتعليم أن الرجل إذا كان ضيفاً لا ينبغي أن يجعل نفسه ثقيلًا، ولكنه إذا أكل ينبغي أن يخرج (1).

ويقول الإمام الثعالبي في تفسير الآية: "تضمنت الآية الكريمة الأدب في أمر الطعام والجلوس. قال الجمهور: سببها أن النبي ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش رضي الله عنها، أولم عليها ودعا الناس، فلما طعموا، قعد نفر في طائفة من البيت يتحدثون، فنقل على النبي ﷺ مكانهم، فخرج ليخرجوا بخروجه، ومر على حُجْر نساءه، ثم عاد فوجدهم في مكانهم، وزينب في البيت معهم، فلما دخل ورأهم انصرف، فخرجوا عند ذلك، قال أنس بن مالك: فأعلم أو أعلمته بانصرافهم، فجاء الرسول ﷺ، فلما وصل الحجرة، أرخى الستر بيني وبينه ودخل، فنزلت الآية، وهذا أدب أدب الله به الثقلاء. وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنِ الْحَقُّ﴾ لا يقع منه ترك الحق، ولما كان ذلك يقع من البشر لعله الاستحياء نفى عنه تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر" (2)

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال صاحب الجلالين في تفسيرهما للآية الكريمة: "نداء من الله ﷻ للمؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ونهي لهم عن دخول بيوت النبي ﷺ إلا بإذنه لتناول طعام غير منتظرين نضجه، ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا طعمتم فانتشروا ولا تمكثوا مستأنسين لحديث من بعضهم لبعض فإن انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي ﷺ فيستحي من إخراجكم من البيوت، ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنِ الْحَقُّ﴾ أي لا يترك بيانه وقريء يستحي بياء واحدة" (3).

ويقول حومد في تفسير الآية: نهى الله ﷻ المؤمنين عن دخول بيوت النبي ﷺ إلا أن تدعوا إلى طعام تطعمونه غير منتظرين إدراك نضجه، ولكن إذا دعاكم النبي ﷺ إلى الدخول فادخلوا، فإذا أكلتم الطعام فانصرفوا، ولا تمكثوا فيه لتبادل الحديث، فذلك اللبث، بعد تناول الطعام، كان يؤذي النبي ﷺ، ويثقل عليه وعلى أهله، ولكنه كان يستحي من أن يقول لكم ذلك،

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج3/418

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج4/356

(3) تفسير الجلالين، المحلي، السيوطي، ص559

وأن يدعوكم إلى الانصراف، والله ﷺ الذي يريد أن يحسن تربيته وتأييدهم، يريد أن يقول لكم الحق لتعملوا به، فإذا طعمتم في بيت النبي ﷺ فاخرجوا، ولا تقعدوا للحديث(1).

أما الإمام حجازي فيقول في تفسير الآية: "يامن آمنتم بالله تعالى حق الإيمان، لا تدخلوا بيوت النبي ﷺ في حال من الأحوال، إلا في حال الإذن لكم بدخولها من أجل حضور طعام تدعون إلى تناوله، غير منتظرين نضجه، ولكن إذا دعيتم إلى الطعام وأذن لكم في الدخول فادخلوا فإذا طعمتم فاذهبوا متفرقين، ولا تمكثوا مستأنسين بالحديث كما فعل بعضهم في وليمة زينب جحش رضي الله عنها. ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ﴾ وأي إيذاء أكبر من بقاء عامة الناس في بيت الزوجية؟ الذي هو حق لها، وسكن الزوج مع زوجته، وكان النبي ﷺ يستحي ويمتنع من إظهار ألمه لكم، ولكن الله ﷻ لا يستحي من إظهار الحق، بل يبين للناس ما به يتأدبون من أدب القرآن فاعلموا أن هذا الانتظار خطأ وحرام عليكم فلا تعودوا لمثله أبدا" (2)

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي:

– التزم كل من ابن أبي حاتم والسمرقندي والثعالبي بالمأثور وذلك بذكرهم أسباب النزول، وأقوال الصحابة أو التابعين، وبهذا يتبين أنهم قد سلكوا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهم العام وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآية:

– أما كل من صاحبي الجلالين وحومد والحجازي فقد اكتفوا بالمعنى الإجمالي للآية، ولم يتطرقوا إلى التفسير بالمأثور مع إمكانية ذلك، فهم بذلك لم يسلكوا المنهج الصحيح للتفسير بالرأي والذي يجب أن يقوم على التفسير بالمأثور أولاً.

(1) أيسر التفاسير، أسعد حومد، ص 3467

(2) التفسير الواضح، حجازي، ج3/111

المطلب الخامس:

قول الله تعالى الحق وهداية السبيل

من مظاهر العناية الإلهية بالحق في القرآن الكريم، قول الله تعالى الحق وهداية السبيل، وقد ورد ذلك في آيتين من كتاب الله ﷻ :

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَبِيرُ ﴾ [الأنعام: 73]

قال تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب: 4]

وتناولت الباحثة تفسير الآية الثانية من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآية: لقوله ﷻ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ قال مقاتل : نزلت في جميل بن معمر⁽¹⁾، وكان حافظاً لما يسمع، وأهدى الناس للطريق، أي: طريق البلدان، وكان مبغضاً للنبي ﷺ، وكان يقول: إن لي قلبين، أحدهما أعقل من قلب محمد فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ وكان الناس يظنون أنه صادق في ذلك، حتى كان يوم بدر فانهزم، وهو أخذ بإحدى نعليه في أصبعه، والأخرى في رجله حتى أدركه أبو سفيان بن حرب، وكان لا يعلم بذلك، حتى أخبر أن إحدى نعليه في أصبعه، والأخرى في رجله⁽²⁾ . فعرفوا أنه ليس له قلبان . ويقال: إن رسول الله ﷺ سَهِيَ فِي صَلَاتِهِ، فقال المنافقون: لو أن له قلبين أحدهما في صلاته، والآخر مع أصحابه، فنزلت الآية.

(1) هو: أبو معمر جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، شهد حرب الفجار مع والده، أسلم جميل عام الفتح، وكان مسنأ، وكان يلقب ذا القلبين؛ لأنهم كانوا يقولون: له قلبان في جوفه من شدة حفظه، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ وشهد مع الرسول ﷺ حنيناً. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ج1/ 247، الإصابة في تمييز

الصحابه، ابن حجر، ج1/ 605

(2) انظر: أسباب النزول، الواحدي، ص 236-237

ثم قال ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ قرأ عاصم "تظَاهرون" بضم التاء وكسر الهاء والألف، وقرأ ابن عامر: "تظاهرون" بنصب التاء والهاء وتشديد الظاء. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: "تُظَاهِرُونَ" بنصب التاء والهاء بغير ألف والتشديد. وقرأ حمزة والكسائي "تظاهرون" بنصب التاء والتخفيف مع الألف. وهذه كلها لغات، يقال: ظاهر من امرأته، وهو أن يقول لها: أنت علي كظهر أمي .

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ نزلت في شأن زيد بن حارثة (1) حين تنبأه النبي ﷺ، فكما لا يجوز أن يكون لرجل واحد قلبان، فكذلك لا يجوز أن تكون امرأته أمه، ولا يكون ابن غيره ابنه .

وقولكم الذي قلتموه وهو أن زيدا بن محمد ﷺ أنتم قلتموه بألسنتكم ﴿وَاللَّهُ يَفْقَهُ الْخَقِّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ أي: يبين الحق، ويأمركم به كي لا تتسبوا إليه غير النسبة "وهو يهدي السبيل" ويدل على طريق الحق . يقال: يدلّ على الصواب بأن تدعوهم إلى آبائهم" (2) .

ويقول الإمام البغوي في تفسير الآية: نزلت الآية الكريمة في أبي معمر، جميل بن معمر الفهري، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان، وكان يقول: إن لي قلبين أعدل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم، فلقبه أبو سفيان وإحدى نعليه بيده، والأخرى في رجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال انهزموا، قال: فما لك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ فقال أبو معمر: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده (3) .

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ قرأ أهل الشام والكوفة: "اللاتي" بياء بعد الهمزة، وقرأ قالون عن نافع ويعقوب بغير ياء بعد الهمزة، وقرأ الآخرون بتلبيين الهمزة، وكلها لغات معروفة. وصورة الظهار: أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي.

(1) هو: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب ابن عبد العزى قال الكلبي: وأمه سعدى بنت ثعلبة من طيء.
وقال ابن إسحاق: حارثة بن شرحبيل، حب رسول الله ﷺ وأول من آمن به من الموالى؛ من كبار السابقين الأولين وكان من الرماة المذكورين، وهو الذي سمى الله في كتابه في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ [الأحزاب: 37]، وكان المسلمون يدعونه زيد بن النبي ﷺ قبل تحريم التبني. انظر: أسد الغابة، ابن

الأثير، ج2/350، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج2/89

(2) بحر العلوم، السمرقندي، ج3/389-390

(3) أسباب النزول، الواحدي، ص 236-237

وما جعل زوجة أحدكم حين يقول لها: أنت على كظهر أمي أما له، وما جعل الأولاد الذين تتبنوهم أبناء لكم يأخذون حكم الأبناء من النسب. ذلكم أي جعلكم الأديعاء أبناء هو قول يصدر من أفواهكم لا حقيقة له، فلا حكم يترتب عليه، ولكنه منكر وزور، وفيه كفارة.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أي: من تبنيتموهم وفي هذه الآية نسخ التبني، وذلك أن الرجل في الجاهلية كان يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود له، يدعو الناس إليه، ويرث ميراثه، وكان النبي ﷺ أعتق زيدا بن حارثة ﷺ، الذي تنبأه قبل الوحي، وأخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما، فلما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها، وكانت تحت زيد بن حارثة ﷺ، قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية ونسخ التبني. ﴿ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ لا حقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد ﷺ وادعاء نسب لا حقيقة له. ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ والله يقول الأمر الثابت المحقق، ويرشدكم إليه، وهو يهدي الناس إلى طريق الصواب (1)

أما الإمام السيوطي فيذكر في تفسير الآية: قول ابن عباس رضي الله عنهما: قام النبي ﷺ يوما يصلي فخطر خطر فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترى أن له قلبين قلباً معكم وقلباً معهم (2) وعن ابن عباس قال: كان رجل من قريش يسمى من دهائه ذا القلبين فأنزل الله هذا في شأنه، وعن مجاهد قال: كان الرجل يقول لامرأته: أنت علي كظهر أمي، فقال الله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وكان يقال: زيد بن محمد ﷺ، فقال الله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وعن قتادة ﷺ في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي ما جعلها أمك وإذا ظاهر الرجل من امرأته فإن الله لم يجعلها أمه ولكن جعل فيها الكفارة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ أي ما جعل دعيك ابنك

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج 6 / 316-317

(2) مسند أحمد بن حنبل، الشيباني، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ، حديث رقم:

2410 ج 1 / 267، سنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن / باب ومن سورة الأحزاب، حديث رقم: 3503

ج 12 / 3، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. أما حكم الألباني: ضعيف الإسناد، ضعيف سنن الترمذي،

الألباني، ص 403

وعن سعد رضي الله عنه، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: "من ادعى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام" (1)

وعن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ قال: نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه (2)

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام البيضاوي في تفسير الآية: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ أي: لم يجعل الله قلبين في صدر رجل واحد، وما جمع الزوجية والأمومة في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل، والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبي معمر أو جميل بن أسد الفهري ذو القلبين، والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبى عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد، ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ ومعنى الظهار: أن يقول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي، وكان طلاقاً في الجاهلية وهو في الإسلام يقتضي الطلاق أو الحرمة إلى أداء الكفارة، وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فإن ذكره يقارب ذكر الفرج، أو للتغليظ في التحريم فإنهم كانوا يحرمون إتيان المرأة وظهرها إلى السماء، وأدعياء جمع دعي على الشنوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه، "ذلك" إشارة إلى ما ذكر أو إلى الأخير، ﴿ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾

لا حقيقة له في الواقع، ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ ﴾ ما له حقيقة عينية مطابقة له. ﴿ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ أي يرشد إلى سبيل الحق (3).

ويقول الإمام ابن جزى في تفسير الآية: ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان في قريش رجل يقال له ذو القلبين لشدة فهمه، فنزلت الآية نفيًا لذلك وقيل: إنما جاء هذا اللفظ توطئة لما بعده من النفي، أي كما لم يجعل الله لرجل من قلبين في جوفه، كذلك لم يجعل أزواجكم أمهاتكم ولا أدعياءكم أبناءكم، ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ ﴾

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الفرائض/باب من ادعى إلى غير أبيه، حديث رقم: 6766، ج 8/156، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، ج 1/80، حديث رقم: 115.

(2) الدر المنثور، السيوطي، ج 6/561-562

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج 4/225

اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ» أي تقولون للزوجة: أنت علي كظهر أمي، وكانت العرب تطلق هذا اللفظ بمعنى التحريم، وإنما تعدى هذا الفعل بمن لأنه يتضمن معنى يتباعدون منهن ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ الأُدْعِيَاء جمع دعي، وهو الذي يدعى ولد فلان وليس بولده، وسببها أمر زيد بن حارثة رضي الله عنه: وذلك أنه كان فتى من قبيلة كلب، فسباه بعض العرب وباعه من خديجة، فوهبته للنبي صلى الله عليه وسلم فتبناه، فكان يقال له زيد بن محمد حتى أنزلت هذه الآية ﴿ذَلِكَكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ الإشارة إلى نسبة الدعي إلى غير أبيه، أو إلى كل ما تقدم من المنفيات، وقوله: ﴿بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ تأكيد لبطلان القول " (1).

أما الإمام الخطيب فيقول في تفسير الآية: "لا يجتمع الكفر والإيمان، والضلال والهدى، والمعصية والطاعة؛ في قلب واحد. فلا يكون الإنسان إلا مؤمناً أو كافراً، ضالاً أو مهتدياً، عاصياً أو طائعاً. ولا طاقة لإنسان أن يجمع بين الضدين، ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي تقولون للزوجة: أنت علي كظهر أمي كان الرجل في الجاهلية إذا أراد طلاق امرأته؛ قال لها ذلك ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ نزلت في زيد بن حارثة رضي الله عنه؛ وقد تبناه الرسول؛ فكانوا يقولون: زيد بن محمد، ﴿ذَلِكَكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أي مجرد قول لا حقيقة له، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ ويقضي به ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ الطريق القويم؛ المؤدي لكل خير " (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي:

– التزم كل من السمرقندي والبعغوي والسيوطي بالمأثور وذلك بذكرهم أسباب النزول، وأقوال الصحابة أو التابعين، وبهذا يتبين أنهم قد سلكوا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهم العام وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

– تلاحظ الباحثة أن الإمام ابن جزى، وهو من أصحاب التفسير بالرأي المحمود قد فسر الآية بالمأثور وذلك بذكر أقوال الصحابة والتابعين وبهذا يتبين للباحثة أنه قد سار على المنهج

(1) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى، ج2/145

(2) أوضح التفاسير، الخطيب، ج 1/ 508

الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة.

– وأما الإمامان البيضاوي والخطيب فقد اكتفيا بالمعنى الإجمالي للآية، دون التطرق إلى المأثور مع إمكانية التزامه حيث إن المفسر بالرأي يجب عليه أن يفسر بالمأثور أولاً إن أمكن ذلك وهذا من شروط المفسر بالرأي المحمود.

المبحث الثاني:

مظاهر العناية الإلهية في إزهاق الباطل مع الدراسة المقارنة.

تعددت مظاهر العناية الإلهية في إزهاق الباطل في القرآن الكريم وبعد تتبع الباحثة لهذه المظاهر تبين لها أنها تنحصر في: محو الله تعالى للباطل وإحقاقه للحق، وقذف الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وصرف أهل الباطل عن الآيات، وتوعد أهل الباطل بعذاب الهون. وهذا ما ستيبته الباحثة بالتفصيل من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول:

محو الله تعالى للباطل وإحقاقه للحق

من مظاهر إزهاق الباطل ونصرة الحق في القرآن الكريم، محو الله تعالى للباطل وإحقاقه للحق، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأُ اللَّهُ يَحْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى: 24] وقد تناولت الباحثة تفسير الآية من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره لآية الكريمة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: أيقول الكفار: تقول محمد ﷺ القرآن من ذات نفسه، ولم يأمره الله تعالى بذلك. ﴿فَإِنْ يَشَأُ اللَّهُ يَحْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي: يحفظ قلبك، حتى لا تدخل في قلبك المشقة والأذى من قولهم. ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي: يهلك الله تعالى الشرك ويظهر دينه الإسلام بتحقيقه، وينصرته وبالقرآن ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الله ﷻ يعلم ما في قلب محمد ﷺ من الحزن، ويعلم ما في قلوب الكافرين من التكذيب (1).

أما الإمام البغوي فيقول في تفسير الآية: 'بل يقول كفار مكة: ﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأُ اللَّهُ يَحْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ قال مجاهد: يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم، وقولهم إنه مفتر، وقال قتادة: يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية، ثم قال: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ قال الكسائي:

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج4/95

فيه تقديم وتأخير مجازه: والله يمحو الباطل، وفي الآية إخبار من الله ﷻ أن ما يقوله الكافرون هو باطل يمحوه الله ﷻ، ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي: الإسلام بما أنزل من كتابه، وقد فعل الله تعالى ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ إنه سبحانه وتعالى محيط بخفايا قلوبكم جميعاً⁽¹⁾.

ويقول ابن كثير في تفسير الآية: "أي: لو افتريت عليه كذبا كما يزعم هؤلاء الجاهلون؛ لطبع على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: 44-47] أي: لانتقمنا منه أشد الانتقام، وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه.

وقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ ليس معطوفاً على قوله: ﴿يَخْتُمُ﴾ فيكون مجزوماً، بل هو مرفوع على الابتداء، وحذفت من كتابته "الواو" في رسم المصحف الإمام، وقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي: يحققه ويثبتته ويبينه ويوضحه بحججه وبراهينه، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما تكنه الضمائر، وتنطوي عليه السرائر⁽²⁾.

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

وفسر الإمام القرطبي قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني كفار قريش قالوا: إنَّ محمداً اختلق الكذب على الله. ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ شرط وجوابه، قال قتادة: يطبع على قلبك فينسيك القرآن، فأخبرهم الله أنه لو افتري عليه لفعل بمحمد ما أخبرهم به في هذه الآية. وقال مجاهد ومقاتل ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ﴾ يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم. وقيل: المعنى إن يشأ يزل تمييزك. وقيل: المعنى لو حدثت نفسك أن تفتري على الله تعالى كذباً لطبع على قلبك، وقيل: يختم الله ﷻ على قلوب الكفار وعلى ألسنتهم ويعاجلهم بالعقاب. فالخطاب له والمراد الكفار. ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ فيه تقديم وتأخير، مجازه: والله يمحو الباطل، فحذف منه الواو في المصحف، وهو في موضع رفع، ولأنه عطف على قوله ﴿يَخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ﴾، وقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ احتجاج على من أنكروا ما أتى به النبي ﷺ، أي لو كان ما

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج 7/192

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 7/204

أتى به باطلا لمحاه كما جرت به عادته في المفترين. ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي الإسلام فيثبته بما أنزل من القرآن. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما في قلوب العباد⁽¹⁾.

وفسر الإمام الماتريدي الآية: زعم المشركون أن محمداً ﷺ قد اختلق هذا القرآن ونسبه لربه ﷻ. وقوله: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ اختلف في المراد بها: فقال بعضهم: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ بالصبر حتى لا تجد مشقة استهزائهم بك، ولا غصة تكذيبهم إياك.

وقال بعضهم: فإن يشأ الله أن ينسبك القرآن فلا تبلغه إليهم فلا يستهزئوا بك، ولا يكذبوك. أو كما ختم قلوب أولئك الكفرة حتى لا تفهم ولا تعقل الحق من الباطل. وقوله: ﴿ظفر أهل الحق على أهل الباطل وينصرهم حتى يصير أهل الحق ظاهرين قاهرين على أهل الباطل؛ فذلك محق الباطل وإحقاق الحق، والثاني: يحق الحق بالحجج والبراهين حتى يعرف كل أحد الحق من الباطل بالحجج التي أقامها إذا تأمل فيها حق التأمل، وهو كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 33].

وقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: عليم بما في الصدور لا يخفى عليه شيء⁽²⁾.

وفسر صاحب الجلالين الآية بقولهما: "أيقول هؤلاء المشركون إن محمداً افترى القرآن ونسبه إلى ربه كذبا، ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي يربط على قلبك بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره، وقوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ يثبت الحق بكلماته المنزلة على نبيه ﷺ ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ عليم بما في القلوب"⁽³⁾.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي:

– أن الإمامين السمرقندي والبغوي، لم يُفسرا الآية بالمأثور، وإنما اكتفيا بالتفسير الإجمالي للآية مع أن منهجها هو التفسير بالمأثور.

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج 25/16 بتصرف

(2) تفسير الماتريدي، الماتريدي، ج 9/ 123-124 بتصرف

(3) تفسير الجلالين، المحلي، السيوطي، ص: 642

- أما الإمام ابن كثير ففسر الآية بالقرآن وبهذا يتبين لنا أن الإمام ابن كثير قد سلك منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجه العام وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن الإمامين الماتريدي والقرطبي، قد أخذوا بالمأثور حيث فسرا القرآن بالقرآن وبذكر أقوال بعض التابعين ومن ثم فسرا الآية تفسيراً بالرأي المحمود، وبهذا يكون قد التزم بقواعد التفسير بالرأي المحمود الذي يقتضي تفسير الآية أولاً بالمأثور إن أمكن ذلك ثم التعرّيج على رأي المفسر بعد ذلك.
- أما الإمامان صاحب الجلالين فقد فسرا الآية تفسيراً إجمالياً، ولم يتطرقا إلى التفسير بالمأثور، مع إمكانية التزامه حيث إن المفسر بالرأي يجب عليه أن يفسر بالمأثور أولاً إن أمكن ذلك وهذا من شروط المفسر بالرأي المحمود.

المطلب الثاني:

قذف الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق

من مظاهر إزهاق الباطل ونصرة الحق في القرآن الكريم، قذف الحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وقد ورد ذلك في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَآمُ الْغُيُوبِ﴾ [سبأ:48]

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:18]

وتناولت الباحثة تفسير الآية الثانية من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ "بل أمرنا الذي يليق بنا هو أن نقذف الحق في وجه الباطل فيذُهبه ويُزيله، ولكم أيها الكافرون الهلاك بسبب افتراءكم على الله ورسوله، قال قتادة ﴿الْحَقُّ﴾ هو القرآن" (1).

وقال الإمام السمرقندي في تفسيره للآية: "أي نبين الحق من الباطل فيبطله ويضمحل به، ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي هالك، ويقال: زاهق أي: زائل ذاهب. ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾، يعني: الشدة من العذاب وهم النصارى مما يتقولون من الكذب على الله تعالى" (2)

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ج 8 / 2448

(2) بحر العلوم، السمرقندي، ج 3/122

أما الإمام السيوطي فيقول في تفسير الآية: "أراد بالحق القرآن، وبالباطل الكفر، وعن الحسن رضي الله عنه في قوله: ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ قال: هي والله لكل واصف كذب إلى يوم القيامة" (1).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الرازي في تفسيره للآية: اعلم أن قوله: "بل" إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتزويه منه لذاته كأنه قال سبحانه أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا أن نغلب بالجد وندحض الباطل بالحق، واستعار لذلك القذف والدمغ تصويراً لإبطاله فجعله كأنه جرم صلب كالصخرة مثلاً قذف به على جرم رخو فدمغه، فأما قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ أي ولكم أيها الظالمون المشركون الويل والثبور والهلاك والدمار، مما تصفون به ربحكم من اتخاذ الولد والشريك سبحانه وتعالى، وبما افتريتموه على القرآن بأنه سحر وأضغاث أحلام إلى غير ذلك من الأباطيل" (2).

ويقول الإمام ابن جزى في تفسير الآية: "الحق عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، والباطل عام في أضداد ذلك "فيدمغه" أي يقمعه ويبطله، وأصله من إصابة الدماغ، ولكم أيها الكافرون الهلاك بسبب افتراءكم على الله ورسوله" (3).

ويقول الإمام السعدي في تفسير الآية: "يخبر الله تعالى، بتكفله بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإن كل باطل قيل وجوده به، فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان، ما يدمغه، فيضمحل، ويتبين لكل أحد بطلانه، وهذا عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مبطل، شبيهة، عقلية ولا نقلية، في إحقاق باطل، أو رد حق، إلا وفي أدلة الله عز وجل، من القواطع العقلية والنقلية، ما يذهب ذلك القول الباطل ويقمعه فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد. ثم قال: ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ يتوعد الله عز وجل الواصفين له، بما لا يليق به، من اتخاذ الولد والصاحبة، ومن الأنداد والشركاء، بالويل والندامة والخسران" (4).

(1) الدر المنثور، السيوطي، ج 5 / 620

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، ج 22 / 125

(3) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى، ج 2 / 20

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 520

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

أولاً: منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي:

- أن الإمامين ابن أبي حاتم والسيوطي فسرا الآية بالمأثور؛ حيث فسر ابن أبي حاتم بقول التابعي قتادة أما السيوطي فذكر قول الصحابي الحسين بن علي رضي الله عنهما، وبهذا يتبين لنا أن كلا من ابن أبي حاتم والسيوطي قد سلكا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام وهو التفسير بالمأثور.

- أما الإمام السمرقندي، فلم يفسر الآية بالمأثور، وإنما اكتفى بالتفسير الإجمالي للآية مع أن منهجه هو التفسير بالمأثور فلم يلتزم في هذا الموضوع منهجه وهو التفسير بالمأثور.

ثانياً: منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن كلا من الرازي وابن جزى والسعدي، قد اكتفوا بالتفسير الإجمالي، دون التطرق إلى المأثور مع إمكانية التزامه حيث إن المفسر بالرأي المحمود يجب عليه أن يفسر بالمأثور أولاً إن أمكن ذلك وهذا من شروط المفسر بالرأي المحمود.

المطلب الثالث:

صرف أهل الباطل عن الآيات

من مظاهر إزهاق الباطل ونصرة الحق في القرآن الكريم، صرف أهل الباطل وهم المتكبرون عن الآيات، وقد ورد ذلك في قوله تعالى:

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:146]

وتناولت الباحثة تفسير الآية من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

فسر الإمام السيوطي الآية: سيصرف الله ﷻ عن الهداية والتفكر في آياته قلوب الذين يتكبرون عن طاعة الله ﷻ، ويتكبرون على الناس بغير الحق. وقيل: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ

آيَاتِي﴾ أي: عن خلق السموات والأرض والآيات التي فيها سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها أو يعتبروا فيها. وقال سفيان بن عيينة: أي ينزع الله ﷻ عنهم فهم القرآن (1).

وقال الإمام السمرقندي في تفسيره للآية: "سأصرف الله ﷻ قلوب الذين يتكبرون عن الإيمان حتى لا يؤمنوا، ويقال سيمنع الله ﷻ قلوب الذين يتكبرون من التفكير في أمر الدين وفي خلق السموات والأرض عن الإيمان لكي لا يتفكروا في السماء، ولا يعقلوا فيها، ولا يذكروها. ويقال: ﴿وَأَنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ أي: طريق الحق وهو الإسلام لا يتخذوه ديناً ﴿وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يعني: طريق الضلالة والكفر يتخذوه ديناً ويتبعونه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ قال مقاتل: أي آياتنا التسع وقيل: أي بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ أي تاركين لها. قرأ حمزة والكسائي "سبيل الرشد" بنصب الراء، والشين، وقرأ الباقون "الرشد" بضم الراء وإسكان الشين وهما لغتان ومعناها واحد" (2).

أما ابن كثير فيقول في تفسيره للآية الكريمة: "يبين الله ﷻ سبب الطغيان والكفر، والظلم والفساد، فيقول ما معناه: سأمنع قلوب المتكبرين عن طاعتي، وعن اتباع رسلي، المتعالين على غيرهم بغير حق، وسأصرفهم عن الإيمان بآياتي، وأمنعهم من فهم الأدلة والحجج الدالة على عظمتي، وما في شرعي من الهدى والنور، أي كما استكبروا بغير حق أذلهم بالجهل، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: 110] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5]، وقال بعض السلف: لا ينال العلم حيي ولا مستكبر، وقال آخر: من لم يصبر على ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبداً، وقال سفيان بن عيينة: أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي، ﴿وَأَنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: 96-97] وقوله: ﴿وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ أي وإن ظهر لهم سبيل الرشد أي طريق النجاة لا يسلكوها، وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه سبيلاً، ثم علل مصيرهم إلى هذه الحال بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ أي كذبت قلوبهم بآيات الله تعالى،

(1) الدر المنثور، السيوطي، ج 3 / 562 بتصرف

(2) بحر العلوم، السمرقندي، ج 2 / 145

واغفلوا عنها، فأضلهم الله ﷻ، ولم يهدهم وسوف يجازيهم بحسب أعمالهم التي أسلفوها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وكما تدين تدان (1).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الجصاص في تفسيره للآية الكريمة: سيمنع الله ﷻ من التفكير في دلائل قدرته القائمة في الأنفس والآفاق، أولئك الذين يتناولون في الأرض ويتكبرون، "وقيل معناه" عن آياتي" من العز والكرامة بالدلالة التي تكسب الرفعة في الدنيا والآخرة، ويحتمل صرفهم عن الاعتراض على آياتي بالإبطال أو بالمنع من الإظهار للناس ولا يجوز أن يكون معناه سأسرف عن الإيمان بآياتي لأنه لا يجوز أن يأمر بالإيمان ثم يمنع منه إذ كان ذلك سفهاً وعبثاً" (2).

وذكر الإمام الزحيلي في تفسيره للآية: يبين الله ﷻ في هذه الآيات سبب الطغيان والكفر والظلم والفساد، ويقرر سبحانه أنه سيمنع قلوب المتكبرين عن طاعته واتباع رسله عن النظر والتفكير والاستدلال بآيات الله تعالى، ويمنعهم عن فهم الأدلة والبراهين، الدالة على عظمتهم، ويحجبهم عن الإيمان بالآيات، مثل قوم فرعون الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: 14] ومثل كفار قريش كأبي جهل وأبي لهب وعتبة بن ربيعة الذين حجبهم الكبر عن النظر في الآيات مع يقينهم بصدق محمد ﷺ.

ويتصف هؤلاء المتكبرون بصفات، منها: أنهم لا يؤمنون بأي آية تدل على الحق وتثبتته، ويبتعدون عن طريق الهدى والرشاد، وهي الطريق الممهدة المؤدية إلى النجاة، فإذا رأى أحدهم هذه السبيل لا يسلكها ويسلك غيرها، وهذا يكون عن تعمد وعناد، أو عن جهل وطيش، وحكم الفريقين واحد، ومن صفاتهم أنهم إذا ظهر لهم سبيل الغي والضلال والفساد، بادروا إليه مسرعين، بما تزينه لهم أهواؤهم ونفوسهم الأمارة بالسوء، وهؤلاء أسوأ ممن قبلهم. وعلة هؤلاء المتكبرين واحدة وهي تكذيبهم بآيات الله المنزلة على رسله، وغفلتهم عن النظر بما فيها، وإعراضهم عن العمل بها" (3).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 3 / 475

(2) أحكام القرآن، الجصاص، ج 4 / 210

(3) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج 1 / 722-723 بتصرف

أما الإمام حومد فيقول في تفسيره للآية الكريمة: "سيصرف الله ﷻ عن الهداية قلوب الذين يتكبرون عن طاعته، ويتكبرون على الناس بغير الحق، وإذا رأوا آيات الله تعالى لم يؤمنوا بها، وإذا رأوا طريق الخير تنكبوا عنه، ولم يتخذوه سبيلاً، وإذا رأوا سبيل الضلال اتبعوه، وقد جازاهم الله تعالى هذا الجزاء لأنهم كذبوا بآيات الله تعالى، وغفلوا عنها، فأضلهم الله ﷻ، ولم يهدهم، هداية التوفيق، لأن الله ﷻ هدى الناس النجدين، فكما استكبروا بغير الحق فإن الله تعالى عاقبهم بالإذلال وبالختم على قلوبهم، وبإلقاء الغشاوة على أعينهم حتى لا يجد الحق منفذاً للوصول إليها" (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي:

- أن كلاً من السمرقندي، وابن كثير والسيوطي، قد سلكوا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهم العام وهو التفسير بالمأثور، حيث أخذ السمرقندي عن التابعي مقاتل، كما أخذ السيوطي وابن كثير عن التابعي سفيان بن عيينة، كما فسر ابن كثير القرآن بالقرآن.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام الزحيلي، قد فسر القرآن بالقرآن، بالإضافة إلى إثراء المعنى بالتطرق إلى الجوانب النحوية، وذكر بعض الوجوه المعنوية للفظة المراد تفسيرها، وبهذا يتبين للباحثة أن الإمام الزحيلي قد سار على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة.

- أما الإمامان الجصاص وحومد، فقد اكتفيا بالتفسير الإجمالي للآية دون الرجوع للمأثور وبذلك يكون صاحبا التفسير بالرأي لم يسلكا المنهج الصحيح في التفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

(1) أيسر التفاسير، حومد، ص 1101

المطلب الرابع:

توعد أهل الباطل بعذاب الهون

من مظاهر إزهاق الباطل ونصرة الحق في القرآن الكريم، توعد أهل الباطل بعذاب

الهون، وقد ورد ذلك في آيتين:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: 93]

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: 20]

وستناول الباحثة هذه الآية بالتفسير من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة.

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام الشنقيطي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا...﴾ "يقال للكفار يوم يعرضون على النار: أذهبتم طيباتكم.

فيعرضون على النار، قال بعض العلماء: معناه يباشرون حرها، كقول العرب: عرضهم على السيف إذا قتلهم به، وهو معنى معروف في كلام العرب".

وقد ذكر الله تعالى مثل ما ذكر هنا في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأحقاف: 34] وهذا يدل على أن المراد بالعرض مباشرة العذاب، وقال بعض العلماء: معنى عرضهم على النار هو تقريبهم منها، والكشف لهم عنها حتى يروها، كما قال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: 53]. وقال بعض العلماء في الكلام قلب، وهو مروى عن ابن عباس وغيره. قالوا: والمعنى: ويوم تعرض النار على الذين كفروا.

وقوله تعالى: ﴿أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ وهذا اللفظ قرأه ابن كثير وابن عامر "أذهبتم" بهمزتين على الاستفهام الذي هو للتقريع والتوبيخ، وقرأه الجمهور "أذهبتم" بهمزة

واحدة على الخبر من غير استفهام، أما كون الآية في الكفار فقد صرح الله ﷻ به في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ فالقرآن والسنة الصحيحة قد دلا على أن الكافر إن عمل عملاً صالحاً مطابقاً للشرع، مخلصاً فيه لله، كالكافر الذي يبرر والديه، ويصل الرحم ويقري الضيف، وينفس عن المكروب، ويعين المظلوم يبتغي بذلك وجه الله ﷻ يثاب بعمله في دار الدنيا خاصة بالرزق والعافية، ونحو ذلك، ولا نصيب له في الآخرة" (1).

وقال الإمام السمرقندي في تفسيره للآية: "يكشف الله تعالى يوم القيامة الغطاء عن النار، فينظر إليها الكفار، فيقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ أي أكلتم حسناتكم وانتفعتن بها في الدنيا. قرأ ابن عامر "أذهبتن" بهمزتين، وقرأ ابن كثير "أذهبتن" بالمد، ومعناهما واحد، ويكون استفهاماً على وجه التوبيخ، والباقون أذهبتن بهمزة واحدة، بغير مد، على معنى الخبر. ورؤي عن عمر: أنه اشتهى شرباً، فأني بقدح فيه عسل، فأدار القدح في يده قال: أشربها فتذهب حلاوتها، أو تبقى نقيتها. ثم ناول القدح رجلاً، فسئل عن ذلك فقال: خشيت أن أكون من أهل هذه الآية ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾.

وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي العذاب الشديد بسبب الاستكبار عن الإيمان ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ أي بسبب عصيانكم أوامر الله تعالى" (2).

وفسرها الإمام البقاعي: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي يصلون لهبها ويقبلون فيها كما يعرض اللحم الذي يشوى، يقال لهم على سبيل التنديم والتقريع والتوبيخ والتشنيع، ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾؛ لأنهم لم يذكروا الله حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها مع مخالفة أمر الله ﷻ ونهيه: "أذهبتن" في قراءة نافع وأبي عمرو والكوفيين بالإخبار، وقراءة الباقيين بالاستفهام لزيادة الإنكار والتوبيخ "الدنيا" أي القرية الدنية المؤذن وصفها لمن يعقل بحياة أخرى بعدها، فكان سعيكم في حركاتكم وسكناتكم لأجلها حتى نلتموها وجعلتموها غاية حظكم في رفعتكم ونعمتكم. ولما كان ذلك استهانة بالأوامر والنواهي للاستهانة بيوم الجزاء، سبب عنه قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ أي على إعراضكم عنا بجزاء من لا تقدرن التقصي من جزائه بأيسر أمر منه ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي الهوان العظيم المجتمع الشديد الذي فيه ذلك وخزي

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج7/ 227

(2) بحر العلوم، السمرقندي، ج4/ 142

وقوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي تطلبون الترفع وتوجدونه على الاستمرار في الأرض التي هي لكونها تراباً وموضوعة على الزوال والخراب، أحق شيء بالتواضع والذل والهوان. ولما كان الاستكبار يكون بالحق لكونه على الظالمين فيكون ممدوحاً، قيده بقوله: ﴿بِعَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي الأمر الذي يطابقه الواقع وهو أوامرنا ونواهيها، ودل بأداة الكمال على أنه لا يعاقب على الاستكبار مع الشبهة ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ أي تجددون الخروج عن محيط الطاعة الذي تدعو إليه الفطرة إلى نوازع المعاصي (1).

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يقول الإمام السعدي في تفسيره للآية: يذكر الله تعالى حال الكفار عند عرضهم على النار حين يوبخون ويقرعون فيقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ حيث اطمأنتم إلى الدنيا، واغتررتم بلذاتها ورضيتم بشهواتها وألهتكم طبيباتها عن السعي لآخرتكم وتمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من آخرتكم، ﴿فَالْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَيْرِ الْحَقِّ﴾ أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويفضحكم بما كنتم تقولون على الله غير الحق، أي: تتسبون الطريق الضالة التي أنتم عليها إلى الله تعالى وإلى حكمه وأنتم كذبة في ذلك، وتتكبرون عن طاعته، فجمعوا بين قول الباطل والعمل بالباطل والكذب على الله بنسبته إلى رضاه والقدح في الحق والاستكبار عنه فعوقبوا أشد العقوبة (2).

أما الإمام القطن فيقول في تفسيره للآية: "أذكر أيها الرسول يوم يعرض الكافرون على النار يقال لهم: لقد استوفيتم لذاتكم وشهواتكم في الدنيا، واستمتعتم بها، فالיום لكم أشد العذاب بالذل والهوان بما كنتم في الدنيا تفسقون وتستكبرون. قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب: "أذهبتم" طيباتكم" بالاستفهام، والباقون: بهمزة واحدة، وابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة" (3)

ويقول أسعد حومد في تفسير الآية: يوم القيامة يوقف الذين كفروا على النار، ويقال لهم على سبيل التقرير والتأنيب: إن كل ما قدر لكم من الطيبات والنعيم قد استمتعتم به، واستوفيتموه في حياتكم الدنيا واستهلكتموه فيها، ولم يبق لكم شيء من المتع واللذات. وهكذا لم

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج 18/ 159-161 بتصرف

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 782

(3) تيسير التفسير، القطن، ج 3/ 237

يبقى لكم شيء في الآخرة تتألمونه غير الخزي والإهانة، جزاء لكم على استكباركم عن اتباع الحق، لضعفكم وعجزكم وعلى فسقكم وخروجكم عن طاعة ربكم⁽¹⁾.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

من خلال النظر في التفاسير السابقة للآية يتبين للباحثة ما يلي:

- أن تفسير الإمام الشنقيطي للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسر القرآن بالقرآن؛ وبذكر القراءات الواردة في الآية.
- أما الإمامان السمرقندي والبقاعي ففسروا الآية تفسيراً إجمالياً مع ذكر القراءات بالإضافة إلى إثراء المعنى بالتطرق إلى الجوانب النحوية وبهذا يتبين لنا أن كلاً من السمرقندي والبقاعي لم يلتزما بمنهجهما وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من السعدي وحومد، والقطان، قد اکتفوا بالتفسير الإجمالي للآية، وبذلك يكون أصحاب التفسير بالرأي لم يسلكوا المنهج الصحيح في التفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور، والتزموا رأيهم معززينه بالتوجيهات النحوية، وقد يرجع سبب ذلك إلى قلة المأثور الذي ذكر في كتب التفسير، حول الآية الكريمة.

(1) انظر: أيسر التفاسير، أسعد حومد، ص 4409

الفصل الثالث:

مواطن الصراع بين الحق والباطل في ضوء
القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة

الفصل الثالث:

مواطن الصراع بين الحق والباطل في ضوء القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة

إن المتدبر لكتاب الله ﷻ يجد أن القرآن الكريم قد ذكر نماذج كثيرة ومتعددة للصراع بين الحق والباطل على مدار الحياة الإنسانية، وأن هذا الصراع قد أخذ أسباباً وصوراً متعددة، وستحدث الباحثة عن نماذج من هذا الصراع بين الأنبياء وأقوامهم، والصراع بين الأفراد، وذلك في إطار دراسة موضوعية مقارنة بين التفسير بالمأثور والرأي المحمود.

المبحث الأول:

الصراع بين الأنبياء وأقوامهم مع الدراسة المقارنة.

من مواطن الصراع بين الحق والباطل الصراع بين الأنبياء وأقوامهم، وستتحدث الباحثة عن مجموعة من الرسل وصراعهم مع أقوامهم وهم: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وإبراهيم، وشعيب، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

المطلب الأول:

الصراع بين نوح عليه السلام وقومه

أولاً: نسب نوح عليه السلام وبعثته:

قبل الحديث عن طبيعة الصراع بين نوح عليه السلام وقومه وما آلت إليه الأمور بينهم ترى الباحثة أن تتحدث بإيجاز عن نسب هذا النبي الكريم.

فمن نسبه قال الإمام الثعلبي: "هو نوح بن ملك بن متوشلح بن أخنوخ، وهو إدريس بن مهلائيل بن يزد بن قيثان ابن انوش بن شيث بن آدم عليهم السلام، وهو أول نبي بعد إدريس وكان نجاراً بعثه الله ﷻ إلى قومه وهو ابن خمسين سنة" (1).

وقال الإمام البغوي: "هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس، وهو أول نبي بعث بعد إدريس عليه السلام، وكان نجاراً بعثه الله ﷻ إلى قومه وهو ابن خمسين سنة. وقال ابن عباس: ابن أربعين سنة. وقيل: بعث وهو ابن مائتين وخمسين سنة، وقال مقاتل: ابن مائة سنة" (2). وقال الإمام النيسابوري: "هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، وأخنوخ اسم إدريس" (3).

يتضح للباحثة أن القرآن الكريم ذكر قصص أنبياء الله تعالى، ولم يتطرق إلى تفاصيل أنساب الأنبياء عليهم السلام فهذا نبي الله تعالى نوح عليه السلام قد ذكر اسمه في القرآن الكريم صراحة في أربعين موضع، وفي جميع المواضع التي ذكر فيها لم يذكر نسبه .

(1) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج4/ 243-244

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج3/ 240

(3) غرائب القرآن و رغائب الفرقان، النيسابوري، ج3/ 265

المقارنة بين التفاسير بالمأثور والرأي المحمود عند ذكرهم لنسب نوح عليه السلام وبعثته:

تلاحظ الباحثة أن رواية الإمام البغوي أخذت طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل الإمام البغوي عن ابن عباس وهو من الصحابة، ومقاتل وهو من التابعين في حين أن كلاً من الثعلبي والنيسابوري لم يعتمد أي منهما على شيء من ذلك عند الحديث عن نسب نبي الله نوح عليه السلام وبعثته.

ثانياً: دعوة نوح عليه السلام لقومه:

أرسل الله ﷻ نوحاً عليه السلام إلى قوم يعبدون الأصنام المتمثلة في تماثيل أو أوثان صنعها القوم لأناس صالحين، ولكن الشيطان زين لهم الأمر شيئاً فشيئاً، وسلك معهم سبيل التدرج حتى عبدوا التماثيل التي صنعوها لهؤلاء الرجال الصالحين، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: 23].

فدعاهم نوح عليه السلام إلى توحيد الله ﷻ في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: 59]

ومن الآيات التي تمثل دعوة نبي الله نوح عليه السلام لقومه والأساليب التي اتبعها قوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ 1 قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ 2 أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا اللَّهَ 3 يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّجْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ 4 قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا 5 فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا 6 وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَمُوا بِبَابِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا 7 ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا 8 ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا 9 فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: 1 - 10]

حيث سنتناول الباحثة هذه الآيات بالتفسير من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة.

1- تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام السمرقندي في تفسيره للآيات: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ "أي جعله الله رسولا إلى قومه ليخوفهم بالنار؛ لكي يؤمنوا بالله ﷻ، ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ يعني: الطوفان والغرق . فأمرهم نوح عليه السلام بعبادة الله وتوحيده وخشيته واجتتاب معاصيه، وأطيعوني

فيما أمركم به. وإنكم إن تفعلوا ذلك يغفر الله ﷻ لكم من ذنوبكم، ويؤجلكم إلى منتهى آجالكم، ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ أي: إن عذاب الله ﷻ لا يستطيع أن يؤخره أحد لو كان لكم علم تنتفعون به .

ونوح ﷺ بعد ما كذبه في طول المدة، فقال: يا رب دعوت قومي إلى التوحيد في كل وقت سراً وعلانية، فلم تزد هم دعوتي إلا تباعداً من الإيمان، ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ سَدُّوا آذَانَهُمْ بِأَصَابِعِهِمْ؛ لِيَمْنَعُوها مِنْ سَمَاعِ دَعْوَتِي وَغَطُّوا رُؤُوسَهُمْ بِثِيَابِهِمْ لِكَيْ لَا يَسْمَعُوا كَلَامِي وَأَقَامُوا عَلَى الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَتَكَبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ تَكْبَرًا، ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ عِلَانِيَةً مِنْ غَيْرِ خَفِيَّةٍ، وَأَسْرَرْتُ إِسْرَارًا خَفِيًّا يَعْنِي: خَلَطْتُ دَعَاءَهُمْ بِالْعِلَانِيَةِ بِدَعَائِهِمْ فِي السِّرِّ، فَفَلَّتْ لَهُمْ: يَا قَوْمِ، تَوَبُوا وَارْجِعُوا مِنْ ذُنُوبِكُمْ⁽¹⁾ .

وذكر الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: يقول تعالى مخبراً عن نوح ﷺ أنه أرسله إلى قومه أمراً له أن يندرهم بأس الله تعالى قبل حلوله بهم، فإن تابوا وأنبأوا رفع عنهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْ أُنذِرَ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال نوح: يا قومي إني نذير لكم بين الإنذار من عذاب الله إن عصيتموه، وإني رسول الله إليكم فاعبدوه وحده، واتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه، وأطيعوني فيما أمركم به، وأنهاكم عنه، فإن أطعتموني واستجبتم لي فيما أمرتكم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم، غفر الله لكم ذنوبكم.

فبادروا بالطاعة قبل حلول النعمة، كما يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح ﷺ أنه اشتكى إلى ربه ﷻ ما لقي من قومه، وما صبر عليهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاماً، وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم، فلم يترك دعاءهم في ليل ولا نهار، امتثالاً لأمره تعالى وابتغاء لطاعته. فكانت النتيجة أنه كلما دعاهم ليقربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه، كما يصور القرآن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ أي: سدوا آذانهم لئلا يسمعو ما أدعوهم إليه. كما أخبر تعالى عن كفار قريش: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [فصلت: 26] .

﴿وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ قال ابن عباس: تتكروا له لئلا يعرفهم. وقال سعيد بن جبیر: غطوا رؤوسهم لئلا يسمعو ما يقول.

(1) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج 4 / 330

واستمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع، واستتكفوا عن اتباع الحق والانقياد له. ثم إنني نَوَّعت لهم أساليب الدعوة، فدعوتهم إلى الإيمان والطاعة جهرة بين الناس، ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ أي: كلاماً ظاهراً بصوت عال، ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ أي: فيما بيني وبينهم، فنَوَّعت عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ أي ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب، فإنه من تاب إليه تاب الله عليه (1).

2- تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يقول الإمام البيضاوي في تفسيره للآيات: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ أي: بأن قلنا له أنذر، ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هو عذاب الآخرة أو الطوفان.

أي وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي يغفر لكم بعض ذنوبكم، وهو ما سبق فإن الإسلام يَجِبُ ما قبله فلا يؤاخذكم به في الآخرة، ويؤخركم إلى أجل مسمى هو أقصى ما قدر لكم بشرط الإيمان والطاعة. إن الأجل الذي قدره الله ﷻ إذا جاء على الوجه المقدر به آجلاً وقيل إذا جاء الأجل الأطول. لا يؤخر فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير. لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك، وفيه أنهم لانهماكهم في حب الحياة كأنهم شاكون في الموت.

وأما عن أساليب دعوة نوح ﷺ فيوضحها الله ﷻ على لسانه:

قال نوح ﷺ: رب إني دعوت قومي إلى الإيمان ليلاً ونهاراً أي دائماً، فلم يزدهم دعائي لهم إلا فراراً عن الإيمان والطاعة، وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان. لتغفر لهم بسببه، جعلوا أصابعهم في آذانهم، أي سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة، واستغشوا ثيابهم وتغطوا بها؛ لئلا يروني كراهة النظر إلي من فرط كراهة دعوتي، أو لئلا أعرفهم فأدعوهم. والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة. وأكبوا على الكفر والمعاصي، واستكبروا عن اتباعي استكباراً عظيماً، ثم إنني دعوتهم إليك بصوت مرفوع، ثم إنني جهرت بالدعوة في حال، وأخفيت إخفاء في حال أخرى (2).

ويقول الإمام القاسمي في تفسيره للآيات: بعث الله ﷻ نوحاً إلى قومه، يحذرهم ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني عذاب الطوفان ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا رَبَّكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: يعفو عنها. ومن إمام مزينة، أو تبعيضية. وهو ما وعدهم العقوبة عليها. وأما ما لم يعدهم العقوبة عليها، فقد تقدم عفوهم لهم عنها. أو هو ما

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 8 / 231-232 بتصرف

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج 5 / 248-249 بتصرف

سبق، فإن الإسلام يجب ما قبله «وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» وهو أقصى ما قدره بشرط الإيمان؛ أي فلا يعاجلكم بعذاب غرق أو نحوه.

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ أي ويمد في أعماركم إن أطعتم ربكم، إلى وقت مقدر ومقرر في علم الله تعالى، ثم قال نوح عليه السلام بعد أن بذل غاية الجهد، وضافت عليه الحيل، يا رب إني دعوت قومي إلى الإيمان والطاعة، في الليل والنهار، من غير فتور ولا توانٍ. فلم يزدني دعائي لهم إلى الإيمان إلا هرباً، وشروداً عن الحق، وإعراضاً عنه وكلما دعوتهم إلى الإيمان، ليكون سبباً في مغفرة ذنوبهم سدوا مسامعهم من استماع الدعوة وغطوا رؤوسهم ووجوههم بثيابهم، من كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في الدين واستمروا على الكفر والطغيان وتعاضموا عن الإذعان للحق، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة ثم دعوتهم مرة بعد مرة، على وجوه متنوعة، ما بين مجاهرة وإظهار بلا خفاء، وما بين إعلان وصياح بهم، وما بين إسرار فيما بيني وبينهم في خفاء. وهذه المراتب أقصى ما يمكن للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي سلوه العفو عما سلف بالتوبة النصوح ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ أي لذنوب من تاب وأتاب (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام ابن كثير للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسر القرآن بالقرآن، وكذلك أخذ عن ابن عباس وهو من الصحابة، وسعيد بن جبير وهو من التابعين، أما السمرقندي فلم يعتمد على شيء من ذلك فيكون في هذا الموضوع لم يسير على منهجه وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن الإمامين البيضاوي والقاسمي لم يعتمدا على المأثور ولم يسلكا المنهج الصحيح في التفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

(1) محاسن التأويل، القاسمي، ج 9 / 322-323 بتصرف

ذلك ونحن لا نتبعك، ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أي من النعمة والعذاب فادع علينا بما شئت فليأتنا ما تدعو به (1).

ويقول الإمام الشنقيطي في تفسيره للآيات: قال الملائكة من قوم نوح عليهم السلام: ما نراك اتبعك منا إلا الأسافل والأراذل، وكان هذا في نظرهم مانعاً من اتباعه كما ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: 111] (2)

أما حول تفسير الآية الثانية: قالوا: يا نوح قد جادلنا لنؤمن بك فأكثررت جدالنا، حتى مللنا، ولم نعد نتحمل منك كلاماً، فأتنا بهذا العذاب الذي تهددنا به، إن كنت صادقاً في أن الله يعذبنا إذا لم نؤمن بك (3).

2- تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

كما ذكر صاحبها الجليلين في تفسيرهما للآية الأولى: قول ورد الأشراف والرؤساء الذين كفروا من قوم نوح عليهم السلام: لا فضل لك علينا؛ لأننا لا نراك اتبعك إلا سفلنا فيما ظهر لنا من رأينا، ولأنه ليس لكم زيادة في الشرف والمال والجاه فتستحقون به الاتباع منا، بل نظنكم كاذبين في دعوى الرسالة، وحول تفسير الآية الثانية: قالوا: يا نوح قد جادلنا، حتى مللنا، ولم نعد نتحمل منك كلاماً، فأتنا بهذا العذاب الذي تهددنا به، إن كنت صادقاً في ذلك (4).

وفسر الإمام الزحيلي الآيتين: أورد قوم نوح عليهم السلام: عليه أربع شبهات:

- 1- بشرية الرسل: فقال أشراف القوم وزعماءهم: ما أنت يا نوح إلا بشراً مثلنا، ولست بملك، فلا مزية لك علينا حتى نطيعك في أمرك.
- 2- أتباعك هم أراذل القوم؛ أي لم يتبعك إلا الأخصاء أصحاب الحرف الخسيسة كالزراع والصناع، وهم الفقراء والضعفاء، في بادي الأمر وظاهره دون تأمل ولا تفكر ولا تدبر في عواقب الأمور، ولو كنت صادقاً لاتبعت الأشراف والكبراء.
- 3- لا فضل لك علينا: في فضيلة أو قوة أو علم أو عقل أو جاه أو رأي، يحملنا على اتباعك.
- 4- نتهمك بالكذب: يترجح لدينا كذبكم في ادعائكم الصلاح والسعادة في الآخرة.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4/ 316-318 بتصرف

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج2/ 177-178 بتصرف

(3) المرجع السابق، ج2/ 181

(4) تفسير الجليلين، المحلي، السيوطي، ص288

ويلاحظ أنهم خاطبوه بصيغة الجمع لإشراك أتباعه معه في التهم. ثم قالوا له ما معناه في الآية الثانية: قد طال منك هذا الجدل، فأنتنا بما تعدنا به من العذاب والهلاك (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من الإمام ابن كثير والشنقيطي قد فسر بالمأثور حين استشهد كل واحد منهما بآية تفسيراً للآية وهذا اللون من التفسير هو السمة الغالبة على تفسيرهما.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن صاحبي الجلالين والزحيلي فقد فسروا الآيات بالرأي المحمود دون التطرق إلى المأثور مع أن التفسير بالرأي المحمود يعتمد أولاً على التفسير بالمأثور إن أمكن.

رابعاً: موقف نوح عليه السلام من الكافرين المعاندين ودعائه عليهم:

كان موقف نوح عليه السلام موقف المؤمن القوي، الذي لا يخشى الصعاب، ولا يعرف التردد، ولا يهاب الموت في سبيل دعوته، وكان يدفع عن نفسه الاتهامات الباطلة، ويصور القرآن الكريم ذلك في عدة مواضع من القرآن الكريم منها، قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ 61 أَبْلِغْكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ 62 أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 61-63].

ومما نصحهم به نبيهم نوح عليه السلام وردَّ على كفرهم قول الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: 33-34] وقوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَتَى مَغْلُوبٌ فَانْتَصَرَ﴾ [القمر: 10]

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة، قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنْلِرْكُمْ مَبِئْتَاتٍ وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ 28 وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَأُوا رِجْهًا وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج2/ 1035 بتصرف

تَجْهَلُونَ 29 وَيَأْقَوْمٌ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ 30 وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ 31﴾ [هود: 28-31].

ثم دعا عليهم بعدما يأس من إيمانهم واستجابتهم فقال كما حكى القرآن عنهم بقوله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا 26 إِنَّكَ إِن تَذَرُهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 26-27].

حيث سنتناول الباحثة تفسير الآيات من تفاسير المأثور والرأي المحمود مع المقارنة.

• تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: قال نوح عليه السلام: لقومه، أخبروني إن كنت علي برهان من ربي يشهد بصدقي، ويوجب عليكم تصديقي، وأعطاني رحمة من عنده وهي النبوة والرسالة، وأخفيت عليكم لجهلكم بها؛ أنجبركم على الإيمان بها، وندخله في قلوبكم كرهاً؟! لا تقدر علي ذلك، فالذي يوفق للإيمان هو الله تعالى.

ويا قومي لا أطلب منكم علي تبليغ الرسالة مآلاً، فما ثوابي إلا علي الله تعالى، ولست بمُبعَدٍ عن مجلسي الفقراء من المؤمنين الذين طلبتم طردهم، إنهم ملاقو ربه يوم القيامة، وهو مجازيهم علي إيمانهم، ولكني أراكم قوماً لا تفهمون حقيقة هذه الدعوة كما سأل أمثالكم خاتم الرسل عليهم السلام أن يطرد جماعة من الضعفاء، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 52].

كما أخبرهم سيدنا نوح عليه السلام بأنه رسول من الله تعالى يدعو إلى عبادة الله تعالى وحده، ولا يسألهم علي ذلك أجراً، ويدعو الشريف والوضيع، فمن استجاب له فقد نجا، وأنه لا قدرة له علي التصرف في خزائن الله تعالى، ولا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله تعالى عليه، وليس هو بملك من الملائكة، بل هو مبشر مرسل مؤيد بالمعجزات، ولا أقول عن هؤلاء الذين تحتقرونهم وتزدرونهم، إنهم ليس لهم عند الله ثواب علي أعمالهم ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾، فإن كانوا مؤمنين، فلهم جزاء الحسنی (1).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4/316-318

ثم دعا نوح على قومه بعد أن يؤس من صلاحهم فقال تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:26] والمعنى: رب لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً (1).

وذكر الإمام الشنقيطي في تفسيره للآيات: "رفض سيدنا نوح عليه السلام أن يطرد أولئك المؤمنين الذين اتبعوه، ثم قال لقومه: أخبروني إن كنت على يقين ونبوة صادقة لا شك فيها، وأعطاني الله ﷻ رحمة منه مما أوحى إلي من التوحيد والهدى، فخفي ذلك كله عليكم، ولم تعتقدوا أنه حق، أيمكنني أن ألزمكم به، وأجبر قلوبكم على الانقياد والإذعان لتلك البينة التي تفضل الله علي بها، ورحمني بإيتائها، والحال أنكم كارهون لذلك؟ يعني ليس بيدي توفيقكم إلى الهدى وإن كان واضحا جليا لا لبس فيه، إن لم يهدكم الله ﷻ إليه، ثم قال سيدنا نوح عليه السلام لقومه: أنه لا يسألهم مالا وإنما أبتغي الأجر من الله وحده. كما بين الله ﷻ في آيات كثيرة أن ذلك هو شأن الرسل عليهم السلام كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس:21-22] (2)

كما طلب نبي الله نوح عليه السلام من الله ﷻ إهلاك من على الأرض جميعاً، مع أن عادة الرسل الصبر على أممهم، وفيه إخبار نبي الله نوح عن سيولد من بعد، وأنهم لم يلدوا إلا فاجراً كفاراً، فكيف دعا على قومه هذا الدعاء، وكيف حكم على المواليد فيما بعد؟

والقرآن الكريم بين هذين الأمرين:

أما الأول: فإنه لم يدع عليهم هذا الدعاء إلا بعد أن تحدوه ويؤس منهم، أما تحديهم ففي قوله تعالى حكاية عن قولهم: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [هود:32].

وأما يأسه منهم ففي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود:36].

وأما إخباره عن سيولد: بأنه لن يولد لهم إلا فاجر كفار، فهو من مفهوم الآية المذكورة آنفاً؛ لأنه إذا لم يؤمن من قومه إلا من قد آمن، فسواء في الحاضر أو المستقبل (3).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج8/ 236)

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، (ج2/ 177-178) بتصرف

(3) انظر: المرجع السابق، ج8/ 313 بتصرف

ثانياً: تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال صاحبنا الجليلين في تفسير الآيات : "قال نوح عليه السلام في رده على المكذبين من قومه: أخبروني إن كنت على بيان من ربي، وأعطاني رحمة من عنده وهي النبوة والرسالة، وأخفيت عليكم؛ أنجبركم على قبولها، لا نقدر على ذلك، ويا قوم، لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة مالاً، فما ثوابي إلا على الله تعالى، ولست بطارد الفقراء عن مجلسي ولكني أراكم قوماً لا تفهمون حقيقة هذه الدعوة حين تطلبون طرد الضعفاء من المؤمنين، ويا قوم، من يدفع عني عذاب الله إن طردت هؤلاء المؤمنين ظلماً بغير ذنب؟ أفلا تتذكرون، ولا أقول لكم، عندي خزائن رزق الله أتصرف فيها كما أشاء، "ولا أعلم الغيب"، فأخبركم بما اختص به علم، بحيث لا يعلمه أحد من العباد! قالوا : يا نوح قد جادلنا، حتى مللنا، ولم نعد نتحمل منك كلاماً، فأتنا بهذا العذاب الذي تهددنا به، إن كنت صادقاً في ذلك" (1).

وقال نوح عليه السلام بعد يأسه من قومه: رب لا تترك على الأرض من الكافرين بك أحداً يدور في الأرض ويدب عليها، إنك إن تتركهم دون إهلاك واستئصال يوقعوا عبادك في الضلال ولا يلدوا إلا معانداً للحق شديد الكفر بك والعصيان لك (2).

ويقول الإمام الزحيلي في تفسيره للآيات: أجابهم الله تعالى عن شبهاتهم فيما حكاه عن نوح عليه السلام : أخبروني يا قوم ماذا أفعل إن كنت على يقين وحجة ظاهرة فيما جئتم به من ربي، وآتاني رحمة من عنده وهي النبوة والوحي، فخفيت عليكم، فلم تهتدوا بها، ولا عرفتم قدرها، أنكرهم على قبولها، وأنتم لها كارهون، معرضون عنها؟! ويا قوم، لا أطلب منكم مالاً على نصحي لكم، أي أجراً أخذه منكم، وإنما أجري على الله تعالى. وليس من شأني طرد المؤمنين برسالتي، وهذا إعلان المساواة في الكرامة بين الناس من غير امتياز للأغنياء. إن هؤلاء الأتباع سيلقون ربهم، ويحاسبهم على أعمالهم، كما يحاسبكم، ويعاقب من طردهم، وأراكم قوماً جهلة في مطالبكم بطردهم من مجلسي، فإن المفاضلة بين الناس إنما هي بالعمل الطيب الصالح، لا بالثروة والجاه كما تزعمون.

ولا أحد ينصرني من عذاب الله تعالى إن طردتهم، فذلك ظلم عظيم. كما استعجل قوم نوح عليه السلام العذاب حينما انهزموا أمام حجته الدامغة، فقالوا له قد طال منك هذا الجدل، فأتنا بما تعدنا به من العذاب والهلاك فأجاب نوح عليه السلام قومه عن اتهامه بكثرة الجدل قائلاً: ليس إنزال

(1) تفسير الجليلين، المحلي، السيوطي، ص 288-289

(2) المرجع السابق ص: 769 بتصرف

العذاب أو العقاب بيدي، وإنما ذلك بيد الله ﷻ وإليه ترجعون في الآخرة، فيجازيكم بما كنتم تعملون في هذا العالم من خير أو شر (1).

ثم دعا نوح ﷺ على قومه لما أبس من إيمانهم: رب لا تترك على وجه الأرض منهم أحداً، يسكن الديار. إنك إن أبقيت منهم أحداً، أضلوا عبادك، ولا يلدوا إلا كل كافر فاجر في الأعمال، بترك طاعتك، كثير الكفران في القلب لنعمتك، لخبرته ﷺ بهم (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

– تلاحظ الباحثة أن كلاً من الإمام ابن كثير والشنقيطي قد فسر بالمأثور حين استشهد كل واحد منهما بآية تفسيراً للآية وهذا اللون من التفسير هو السمة الغالبة على تفسيرهما.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيات:

– أما صاحبها الجلالين والزحيلي فقد فسروا الآيات بالرأي المحمود دون التطرق إلى المأثور مع أن التفسير بالرأي المحمود يعتمد أولاً على التفسير بالمأثور إن أمكن.

خامساً: نهاية الصراع بين نوح ﷺ وقومه:

نجى الله ﷻ نوحاً والذين آمنوا معه، وأغرق الكافرين المعرضين عن طريق الهدى، وجعلهم عبرة لمن بعدهم، قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا لَهُمُ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: 27]

وقد أوحى الله ﷻ إلى نوح ﷺ أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ 36 وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿37﴾ [هود: 36-37]

وقد أمره الله سبحانه أن يصنع الفلك، وذلك استعداداً لنهاية الصراع بينه وبين قومه فقال سبحانه: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج 2 / 1035

(2) المرجع السابق، ج 3 / 2747

مُعْرُوفُونَ 27 فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ﴿28﴾ [سورة المؤمنون: 27-28]

وقد كان يوماً عظيماً وعبرة لمن أراد أن يعتبر حيث يصفه الله تعالى بقوله: ﴿فَقَمَّتْ حَنَاتُ
أَبْوَابِ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ 11 وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ 12 وَحَمَلْنَاهُ عَلَى
ذَاتِ الْأَوَاجِ وَدُسِّرِ 13 تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ 14 وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ 15
فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ [القمر: 11-16]

فكانت نهاية دنوية بائسة وهي الغرق وفي الآخرة في النار خالدين فيها كما يقول
سبحانه: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25]
وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ
وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: 64]
أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام البغوي في تفسيره للآية الكريمة: "يخبر الله ﷻ عن تكذيب قوم نوح ﷺ
لنبيهم فأناه الله ﷻ والذين معه في السفينة من المؤمنين من الطوفان، وأغرق الكافرين، قال
ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة الله، وقال الزجاج: عموا عن الحق والإيمان"⁽¹⁾.
ويقول الإمام ابن عطية في تفسيره للآية: "يخبر الله ﷻ عن قوم نوح ﷺ بأنهم كذبوه
فأنجى الله ﷻ نوحاً ﷺ والمؤمنين معه في السفينة، فيحتمل أن يكون سائر العشرة أو الأربعين
حسب الخلاف حفدة لنوح ومن ذريته، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: 77]
، ويحتمل أن من كان في السفينة من غير بنيه لم يُنجب"⁽²⁾.

ثانياً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يقول الإمام سيد طنطاوي: صرحت الآية الكريمة بموقف قوم نوح ﷺ، ولذا عوقبوا بما يناسب
جرمهم "فَكَذَّبُوهُ" أي: فكذب قوم نوح نبيهم ومرشدهم نوحاً، وأصروا على التكذيب مع أنه دعاهم
إلى الهدى ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، ومع أنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً كانت
نتيجة ذلك ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ أي: فأنجيناه من الغرق هو والذين آمنوا معه بأن

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج3/ 241-242

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج 2/ 416

حملناهم في السفينة التي صنعها. وقيل كان عدد الذين آمنوا معه أربعين رجلاً وأربعين امرأة . وقيل غير ذلك . والقرآن قد صرح بأن المؤمنين به كانوا قلة، فقال: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40] وأغرقتنا بالطوفان أولئك الذين كذبوا بآياتنا من قوم نوح لأنهم كانوا قوماً عُمِّي البصائر عن الحق والإيمان لا تنفع فيهم المواعظ ولم يُجد معهم التذكير، وهذه سنة الله في خلقه أن جعل حسن العاقبة للمؤمنين⁽¹⁾.

ويقول الإمام الحجازي في تفسيره للآية: "فقد كذب قوم نوح نبيهم وأصرروا على تكذيبه وخالفوا أمر ربهم ولجوا في طغيانهم يعمهون، ولم يؤمن معه إلا قليل، وكان عاقبتهم أنه نجى الله ﷻ نوحاً والذين آمنوا معه، فركبوا في السفينة ونجوا من الغرق، وأغرق الذين كذبوا بآيات الله تعالى، وكفروا بها، ولا غرابة في ذلك فهم قوم عمون عن الهدى والرشاد، قد طمس الله ﷻ على قلوبهم وختم عليها"⁽²⁾.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية: منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام البغوي وابن عطية للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل الإمام البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو من الصحابة، كما استدلل ابن عطية بالحديث عند تفسير الآية، وبهذا يكون قد سلكا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام سيد طنطاوي فسر الآية بالمأثور حين استشهد بآية تفسيراً للآية، وبهذا يتبين أن سيد طنطاوي صاحب التفسير بالرأي المحمود قد سار على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة.

- أما الإمام الحجازي فقد فسر الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور، فهو لم يسلك المنهج الصحيح في التفسير بالرأي المحمود، والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، ص 1632

(2) التفسير الواضح، الحجازي، ج1/ 727

المطلب الثاني:

الصراع بين هود عليه السلام وقومه.

أولاً: نسب هود عليه السلام:

قبل الحديث عن طبيعة الصراع بين نوح عليه السلام وقومه وما آلت إليه الأمور بينهم ترى الباحثة أن نتحدث بإيجاز عن نسب هذا النبي الكريم.

قال الثعلبي: "هو هود بن عبد الله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح"⁽¹⁾.

وقال السيوطي: "هود اسمه عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح"⁽²⁾.

وقال الرازي: "هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح"⁽³⁾.

وقال الزحيلي: "هو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح، فهي أخوة في النسب لا في الدين"⁽⁴⁾.

تلاحظ الباحثة أن القرآن الكريم ذكر قصص أنبياء الله تعالى، ولم يتطرق إلى تفاصيل أنسابهم، فهذا نبي الله تعالى هود عليه السلام قد ذكر اسمه في القرآن الكريم صراحة سبع مرات، وفي جميع المواضع التي ذكر فيها لم يذكر نسبه بالتفصيل، بل ذكر أنه من قبيلة عاد التي بعث إليها، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 65].

المقارنة بين التفاسير بالمأثور والرأي المحمود عند ذكرهم لنسب هود عليه السلام:

تلاحظ الباحثة أن كلاً من الثعلبي والسيوطي والرازي والزحيلي لم يعتمد أي منهم على المأثور عند الحديث عن نسب نبي الله هود عليه السلام، للسبب الذي ذكرته آنفاً.

(1) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ج4/ 245

(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج3/ 484

(3) مفاتيح الغيب، الرازي، ج14/ 299

(4) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج8/ 260

ثانياً: دعوة هود عليه السلام:

بين القرآن الكريم وسائل هود عليه السلام في دعوته قومه إلى توحيد الله ﷻ وعبادته، وقد بذل كل ما في وسعه في دعوة قومه، واستعمل شتى الأساليب لينقذهم من غفلتهم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ 50 يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ 51 وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ 52 ... قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ 54 مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ 55 إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ 56 فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ 57﴾ [هود: 50-57]

فقابلوا دعوته لهم بالتكذيب فذكرهم نبيهم بألاء الله عليهم حيث يقول: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: 123-135] وتناولت الباحثة هذه الآيات بالتفسير والمقارنة.

أولاً: تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات : في الآيات السابقة إخبار من الله ﷻ عن عبده ورسوله هود عليه السلام أنه دعا قومه عاداً، وكان قومه يسكنون الأحقاف، وهي جبال الرمل قريباً من حضرموت، مجاورة لبلاد اليمن، وكان زمانهم بعد قوم نوح عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69]، وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد، والأموال والجنات والأنهار، والأبناء والزروع والثمار، وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه، فبعث الله هوداً إليهم رجلاً منهم رسولاً وبشيراً ونذيراً فدعاهم إلى الله وحده وحذرهم نعمته وعذابه، فقال لهم: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ الريع: هو المكان المرتفع عند الطرق المشهورة، يبنون هناك بُنياناً محكماً هائلاً باهراً، ولهذا قال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً﴾ أي معلماً بناء مشهوراً،

﴿تَعْبُثُونَ﴾ أي وإنما تفعلون ذلك عبثاً لا للاحتياج إليه، بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة، ولهذا أنكر عليهم نبيهم ﷺ، لأنه تضييع للزمان وإتعاث للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ قال مجاهد: المصانع البروج المشيدة والبنيان المخلد، وفي رواية عنه: بروج الحمام. وقال قتادة: هي مأخذ الماء، ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي لكي تقيموا فيها أبداً، وذلك ليس بحاصل لكم بل زائل عنكم، كما زال عن من كان قبلكم، روي أن أبا الدرداء ؓ لما رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنيان ونصب الحجر، قام في مسجدهم فنادى يا أهل دمشق، فاجتمعوا إليه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا تستحيون، ألا تستحيون، تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، إنه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أملهم غروراً، وأصبح جمعهم بوراً، وأصبحت مساكنهم قبوراً، ألا إن عادا ملكتا ما بين عدن وعمان خيلاً، وركاباً فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين. وقوله: ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ أي يصفهم بالقوة والغلظة والجبروت، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ أي اعبدوا ربكم وأطيعوا رسولكم، ثم شرع يذكرهم بنعم الله تعالى عليهم، فدعاهم إلى الله بالترغيب والترهيب فما نفع فيهم (1).

ويقول الإمام الثعلبي في تفسيره للآيات: كذبت قبيلة عاد رسولهم هوداً ﷺ وبهذا كانوا مكذبين لجميع الرسل لاتحاد دعوتهم في أصولها وغايتها. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أمين على الرسالة، وقال الكلبي: أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تتهموني اليوم؟

وقوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبُثُونَ﴾ الريع: قال ابن عباس: بكل شرف وهو أعلى البناء، وعن مجاهد: هو الفج بين الجبلين، وقيل: هو الثقب الصغيرة، وقيل واد، وروي عن مجاهد أيضاً قال: الريع بنيان الحمام، وقوله ﴿تَعْبُثُونَ﴾ أي تلعبون، وقوله: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: قصور أو الحصون، وقيل بروج الحمام، وقال الكلبي: منازل، عبد الرزاق: المصانع عندنا بلغة اليمن: القصور العادية واحدها مصنع. ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ قال ابن عباس وقاتادة: يعني كأنكم تبقون فيها خالدين. "وإذا بطشتم" أي سطوتم وأخذتم من غير حق.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6/152-153 بتصرف

قال مجاهد: قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط، والجبار: الذي يقتل ويضرب على الغضب. فاتقوا الله ﷻ واحذروا غضبه ثم ذكر ما أدهم به من إبل وبقر وغنم، وبنين أقوياء، فإن كذبتهم وتوليتهم ورفضتم اتباعي فيما دعوتكم إليه من عبادة الله تعالى، فإنني أخاف أن تحل بكم نقم الله وعذابه في يوم القيامة (1).

ثانياً: تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يقول الإمام الخازن في تفسيره للآيات: افتتح هود ﷺ نصحه لقومه، بحضهم على تقوى الله ﷻ وإخلاص العبادة له وبيان أنه أمين في تبليغ رسالة الله تعالى إليهم. ثم قال لهم: «أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ» قال ابن عباس: أي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق، وقيل: هو الفج بين الجبلين وقيل: المكان المرتفع "آية" أي علامة وهي العلم «تَعْبَثُونَ» يعني بمن مر بالطريق والمعنى، أنهم كانوا: يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة، فيسخرها منهم ويعبثوا بهم، وقيل إنهم بنوا بروج الحمام فأنكر عليهم هود باتخاذها، ومعنى تعبثون تلعبون بالحمام «وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ» قال ابن عباس: أبنية وقيل: قصورا مشيدة وحصوناً مانعة، وقيل مأخذ الماء: يعني الحياض «لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» أي كأنكم تبفون فيها خالدين لا تموتون.

«وَإِذَا بَطِشْتُمْ» أي وإذا أخذتم وسطوتهم «بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ» أي قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب، وهو مذموم في وصف البشر «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا» فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر «وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ» أي أعطاكم من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما أعطاهم فقال «أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ» فيه التنبيه على نعمة الله تعالى عليهم «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» قال ابن عباس: إن عصيتموني (2).

ويقول الإمام الزحيلي في تفسيره للآيات: عاد: قبيلة عربية عاتية، كانوا يسكنون الأحقاف، وهم في الزمان بعد قوم نوح. فكذبت عاد رسولها هوداً ﷻ، حين قال لهم نبيهم ألا تتقون عذاب الله ﷻ، إني لكم رسول أمين على رسالتي من عند الله، فاتقوا الله فيما أمر به، وانتهوا عما نهى عنه، وأطيعوني فيما أمركم وأنهاكم عنه، يصلح حالكم، وتسعدون سعادة في دنياكم وآخرتكم ولا أطلب منكم على تبليغ رسالتي أجراً أو عوضاً، ولا أطلب جاهاً، إن ثوابي وجزائي على الله ﷻ، لو علمتم ذلك، ولكنهم كذبوه وآذوه. وهذه العبارات بذاتها جاءت على

(1) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ج 7 / 174-175 بتصرف

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج 3 / 329 بتصرف

لسان نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، للتنبيه على وحدة الهدف، ووحدة رسالات الأنبياء في الدعوة إلى توحيد الله وطاعته، وترك عبادة ما سواه. ثم عاب هود عليه السلام قومه في أمور ثلاثة وهي:

1. أتعمرّون بكل مكان مرتفع بنياناً شامخاً، علامة على العزّة والقوة، وتفعلون ذلك عبثاً لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة، لا للحاجة إليه.
2. وتتخذون مباني مصنّعة ومتقنة البناء، من قصور مشيدة، وحصون منيعة، على أمل الخلود فيها، ورجاء السكنى والانتفاع بها على الدوام، مع أنكم مرتحلون عنها.
3. وإذا بطشتم بغيركم في تعاملكم معهم، والبطش: الأخذ بقوة وسرعة، بطشتم بطش الجبارة، أي المتكبرين العتاة.

فاحذروا عقاب الله الذي أمّدكم بما تعلمون من النعم الوفيرة، والأولاد الكثيرة، ورزقكم بالأنعام من إبل وبقر وغنم، وأوجد لكم البساتين الغناء، والعيون الجارية بالماء العذب، فاجعلوا مقابل هذه النعم عبادة الله المنعم بها، لتكونوا أوفياء للمعروف. وإني أخشى عليكم إن كذبتكم، وخالفتم وأصررتم على الكفر عذاب يوم شديد الأهوال (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين ابن كثير والثعلبي للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسّر ابن كثير القرآن بالقرآن، ونقل عن أبي الدرداء رضي الله عنه وهو من الصحابة، وكما أخذ عن مجاهد وقتادة وهما من التابعين، أما الثعلبي فقد نقل عن الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، وعن مقاتل ومجاهد وهما من التابعين.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيات:

– تلاحظ الباحثة أن الإمام الخازن قد اعتمد في تفسيره للآيات على قول الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، وبذلك يكون الخازن قد سار على المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود الذي يعتمد أولاً على المأثور.

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج 2 / 1842-1843 بتصرف

أما الزحيلي فقد فسر الآيات دون التطرق إلى المأثور مع أن التفسير بالرأي المحمود يعتمد أولاً على التفسير بالمأثور إن أمكن.

ثالثاً: موقف الكافرين من دعوة هود عليه السلام:

كان موقف الكافرين من دعوة هود عليه السلام: التكذيب وطلبوا المعجزة الدالة على صدقة، ورمي نبيهم بما هو بريء منه، فاتهمه قومه بالسفاهة كما نقل القرآن عنهم ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف:66] وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ 67 أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ 68 أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ 69﴾ [الأعراف:68-69]

كما اتهموه أن الذي فيه إنما هو بسبب ما اعتراه بعض آلهتهم بسوء ويصور القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ 53﴾ [هود:53-54]

وردوا عليه قائلين أيضاً: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحقاف:22]، وقوله: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظت أم لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ 136 إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ 137 وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ 138 فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ 139﴾ [الشعراء:126-129]

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة، قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ...﴾ [هود:53-54]

أولاً: تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن عطية في تفسيره للآيتين: قال قوم هود عليه السلام لنبيهم: ما جئتنا بأية تضطرنا إلى الإيمان بك ونفوا أن تكون معجزاته آية بحسب ظنهم وعماهم عن الحق، كما جعلت قريش القرآن سحراً وشعراً ونحو هذا، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "ما من

الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة" (1).

وقوله: ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي لا يكون قولك سبب تركنا إذ هو مجرد عن آية، وقولهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾، معناه ما نقول إلا أن بعض الآلهة لما سببتها وضللت عبادتها أصابك أحدهم بجنون، يقال: عَرَّ (2) يَعْزُّ واعترى يعترى إذا ألم بالشيء، فحينئذ جاهرهم هود عليه السلام بالتبري من أوثانهم وحضهم على كيده هم وأصنامهم، ويذكر أن هذه كانت له معجزة وذلك أنه حرض جماعتهم عليه مع إنفراده وقوتهم وكفرهم فلم يقدرُوا على نيله بسوء (3).

قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيتين: يخبر تعالى عن قوم هود بأنهم قالوا لنبيهم: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي بحجة وبرهان على ما تدعيه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي بمجرد قولك اتركوهم نتركهم ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بمصدقين، ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ يقولون ما نظن إلا أن بعض الآلهة أصابك بجنون وخبل في عقلك، بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها (4).

ثانياً: تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام أبو زهرة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:53] أجاب قوم هود نبيهم بالرفض القاطع، ويتلخص رفضهم بأقوال ثلاثة:

أولها: ادعاؤهم أنه لم يأتيهم ببينة أي بدليل يدل على رسالته، وهم بذلك يمشون في عنادهم غير معترفين بما جاءهم من معجزات هي علامة قاطعة.

وثانيها: أنهم ينفون إجابته نفيًا لازماً قاطعاً لا يترددون فيه قائلين: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾ عن قولك ويردون النفي بإضافة الآلهة إليهم كأنهم منها.

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل القرآن/ باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، ج6/ 182: رقم الحديث 4981، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ المثل بملته، ج1/ 134: رقم الحديث 152، واللفظ لمسلم.

(2) عَرَّ: عَرَّ فلاناً: لَقَّبَهُ بما يشينه وساءه ورماه بما يكره والمُعَرَّ: الفقير، والمعرة: الأذى والإساءة والمكروه،

العامي الفصيح، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج7/ 18

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج3/ 181

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4/ 329

وثالثها: أنهم لا يؤمنون بالحق إذ جاء، ولذا قال كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي وما نحن بمؤمنين استجابة لك، وقدم "لَكَ" للإشارة إلى اختصاص الكفر به وعدم التسليم، في مقابل إيمانهم بما آمن به آباؤهم وقد تأكد النفي بالباء في قوله ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ وقد اتهموه بأنه قد اعتراه بعض آلهتهم بسوء، أي اتهموا عقله وأن يكون به مس من الجن، أي والحال أن بعض آلهتنا أنزل بك سوءاً فقلت ما قلت (1).

أما الإمام الزحيلي فيقول في تفسيره للآيتين: "قال قوم هود عليه السلام: يا هود ما جئتنا ببرهان على قولك، وبحجة تدل على صحة دعواك، وهذا لفرط عنادهم، وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات ولن نترك عبادة الأصنام بمجرد قولك، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي بمصدقين إن نقول ما نقول في شأنك بأنه أصابك بعض آلهتنا بجنون، لسبك إياها وصدك عنها، فأنت تهذي وتتكلم بالخرافات" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيتين:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآيتين:

- من خلال ما تقدم تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام ابن عطية أخذ طابع التفسير بالمأثور حيث استشهد بحديث عند تفسيره للآيتين وبذلك يكون ابن عطية قد سلك في تفسير الآية منهج التفسير بالمأثور وهو منهجه الذي يسير عليه، في حين أن الإمام ابن كثير لم يفسر بالمأثور في هذا الموضوع، ولعله في ذلك لم يتوفر الحديث بين يديه فاعتمد رأيه.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيتين:

- تلاحظ الباحثة أن أبا زهرة والزحيلي لم يأخذا بالتفسير بالمأثور عند تفسيرهم للآيتين وإنما اكتفيا بتفسير الآيتين تفسيراً إجمالياً .

وترى الباحثة من خلال المقارنة بين أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود بأن كلا الفريقين لم يأخذا بالمأثور عدا ابن عطية، وقد يرجع ذلك، إلى عدم وجود تفسير للآيتين بأية أو بقول صحابي أو تابعي مما دفع كل مفسر أن يكتفي برأيه المحمود في تفسير الآيتين، باستثناء الحديث الذي استشهد به ابن عطية وفسر به الآيتين.

(1) زهرة التفاسير، أبي زهرة، ج 7 / 3718

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج 12 / 88

رابعاً: نهاية الصراع بين هود عليه السلام وقومه قوم عاد:

أصرّ قوم هود عليه السلام على كفرهم وعبادتهم للأصنام، وطلبوا من نبيهم العذاب كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: 70]

1. فتوعدهم نبيهم بعذاب وغضب من الله كما قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: 71-72]

2. فأما المؤمنون فنجاهم الله مع نبيهم وأما الجاحدون فكان عذابهم عذاباً غليظاً كما يصور الله ذلك بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّبْنَا هُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ 58 وَتِلْكَ آدَاءُ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ 59 وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ 60﴾ [هود: 58-60]

3. ثم يصور الله بداية عذابهم حين استقبل أوديتهم كما قال الله عنهم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ 24 تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نُجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ 25﴾ [الأحقاف: 24-25]

4. وأما عن طبيعة عذابهم وما آل إليه حالهم فيصور الله ذلك في قوله: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرَصٍ عَاتِيَةٍ 6 سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَّخْلٍ حَٰوِيَةٍ 7 فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6-8]

وهذه الآيات هي التي سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة:

أولاً: تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآيات: "وأما عاد فقد أهلكهم الله ﷻ بريح شديدة البرد قاسية بلغت الغاية في القسوة عليهم، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: سلطها عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ يعني: دائمة متتابعة. ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ يعني: في الريح ويقال: في الأيام ويقال: في القرية. ﴿صَرْعَى﴾ أي: موتى ويقال: هلكى ويقال: قلعى مطروحين. ﴿كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ

فَخَلَّ حَاوِيَةً أَي: منقلعة ساقطة. قال ابن عباس: " ما أنزل الله تعالى قطرة من ماء إلا بمثقال، ولا شعرة من الريح إلا بمكيال، إلا يوم عاد ونوح، وأما الريح فعتت على خزائنها يوم عاد، فلم يكن لهم عليها سبيل، وأما الماء، طغى على خزانة يوم نوح، فلم يكن لهم عليه سبيل" كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ [الحاقة: 11]. ثم قال ﷺ: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ يعني: لم يبق أحد منهم" (1).

قال الإمام البغوي في تفسيره للآيات: "وأما عاد فقد أهلكهم الله تعالى بأن أرسل عليهم ريحا شديدة العنف والبرودة، وكانت هذه الريح مهلكة عاتية عنتت على خزائنها فلم تطعمهم ولم يكن لهم عليها سبيل، وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها، قال مقاتل: سلطها الله عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ قال وهب: هي الأيام التي تسميها العرب أيام العجوز، ذات برد ورياح شديدة. قيل: سميت عجوزا لأنها في عجز الشتاء. وقيل: سميت بذلك لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرياً فتبعتها الريح، فقتلتها في اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب ﴿حُسُومًا﴾ قال مجاهد وقتادة: متتابعة ليس لها فترة، ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ أي في تلك الليالي والأيام هلكي ﴿كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلِ حَاوِيَةٍ﴾ ساقطة، وقيل: خالية الأجواف. ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ أي لم يبق منهم أحد" (2).

أولاً: تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام أبو السعود في تفسيره للآيات: "وأما عاد فأهلكوا بريح شديدة الصوت لها صرصرة أو شديدة البرد تحرق ببردها، شديدة العصف كأنها عنتت على خزائنها فلم يتمكنوا من ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها .

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ استئناف جيء به بيانا لكيفية إهلاكهم بالريح أي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي متتابعات جمع حاسم، حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرتهم. ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ إن كنت حاضراً حينئذ "فيها" في مهابها أو في تلك الليالي والأيام ﴿صَرْعَى﴾ أي موتى جمع صريع ﴿كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلِ حَاوِيَةٍ﴾ أي أصول نخل متأكلة الأجواف. ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ أي بقية أو نفس باقية" (3).

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج 3 / 488-489

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، (ج8 / 208)

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (ج9 / 22)

وقال الإمام الزحيلي في تفسير الآيات: "أما قبيلة عاد قوم هود عليه السلام، فأهلكهم الله ﷻ هلاكاً ساحقاً بريح شديدة الصوت والبرد، قاسية شديدة الهبوب، جاوزت الحدّ، لشدة هولها، وطول زمنها وشدة بردها، سلّطها الله عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابة، لا تنقطع ولا تهدأ، وكانت تقتلهم بالحجارة، تحسمهم حسوماً، أي تقنيهم وتذهبهم. فتشاهد إن حضرت أولئك القوم في ديارهم موتى مصروعين على الأرض، كأنهم أصول نخل ساقطة أو بالية، لم يبق الله ﷻ منهم أحداً، وثبت في الصحيحين عن رسول الله أنه قال: «نصرت بالصبا ⁽¹⁾، وأهلكت عاد بالدبور» ⁽²⁾ (3).

ويمكن الاستفادة مما سبق: ضرورة التوكل على الله ﷻ، واللجوء إليه، وطلب النصر والعون والتأييد منه، وتفويض الأمر إليه سبحانه وتعالى.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسير الآيات الكريمة: من خلال النظر في التفسير السابقة تلاحظ الباحثة ما يلي: أن كلاً من الإمام السمرقندي والبغوي قد فسرا الآيات بالمأثور حيث استشهد السمرقندي بآية تفسيراً للآية، ويقول الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، أما الإمام البغوي فقد فسر الآيات مستشهداً بأقوال بعض التابعين، كوهب ومقاتل ومجاهد، وهذا اللون من التفسير هو السمة الغالبة على تفسيرهما، وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسير الآيات الكريمة: سار الإمام الزحيلي على المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود حيث فسر الآيات بحديث صحيح ثم أثنى المعنى بما فتح الله عليه من التفسير بالرأي، وبذلك يكون الإمام الزحيلي قد سار على قواعد التفسير بالرأي المحمود التي تعتمد على التفسير بالمأثور أولاً ثم بالرأي. أما الإمام أبو السعود ففسر برأيه، ولم يسلك المنهج الصحيح في التفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

(1) الصبا: هي ريح الشرقية، والدبور هي ريح الغربية، وعاد هم قوم هود روى أن الأحزاب لما حاصروا المدينة يوم خندق هبت ريح الصبا شديدة فقلعت خيامهم وألقى الله في قلوبهم الرعب فهزموا، انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرمانى، ج13/ 162

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أبواب الاستسقاء / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا، ج2/ 33: رقم الحديث 1035، صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء/ باب في ريح الصبا والدبور، ج2/ 617: رقم الحديث 900

(3) التفسير الوسيط، الزحيلي، (ج3/ 2721)

المطلب الثالث:

الصراع بين صالح عليه السلام وقومه.

أولاً: نسب صالح عليه السلام:

قبل الحديث عن طبيعة الصراع بين صالح عليه السلام وقومه وما آلت إليه الأمور بينهم ترى الباحثة أن نتحدث بإيجاز عن نسب هذا النبي الكريم.

قال الإمام البغوي: "هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماشيح بن عبيد بن خادر بن ثمود" (1).

وقال الإمام الثعالبي: "هو صالح بن عبيد بن عابر بن إرم بن سام بن نوح" (2).

وقال الإمام البيضاوي: "صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود" (3).

وقال الإمام الخازن: "هو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود" (4).

تلاحظ الباحثة أن القرآن الكريم ذكر قصص أنبياء الله تعالى، ولم يتطرق إلى تفاصيل أنسابهم، فهذا نبي الله تعالى صالح عليه السلام قد ذكر اسمه في القرآن الكريم صراحة في ستة مواضع، وفي جميع المواضع التي ذكر فيها لم يذكر نسبه بالتفصيل، بل ذكر أنه من قبيلة ثمود التي بعث إليها، قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: 73].

المقارنة بين التفسير بالمأثور والرأي المحمود عند ذكرهم لنسب صالح عليه السلام:

تلاحظ الباحثة أن كلاً من البغوي والثعالبي والبيضاوي والخازن لم يعتمد أي منهم على المأثور عند الحديث عن نسب نبي الله صالح عليه السلام، وذلك لعدم ورود ذلك في القرآن الكريم كما لم تتطرق إليه السنة ولم ترد أي رواية من الصحابة أو التابعين حول نسبه.

ثانياً: دعوة صالح عليه السلام لقومه ثمود:

كانت دعوة نبي الله صالح عليه السلام دعوة إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وحده، فحينما رأى ما أحدث قومه من الضلالات والكفر وقف بينهم يدعوهم إلى الله عز وجل، والرجوع إلى الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج3/ 247

(2) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج3/ 48

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج3/ 35

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج 2/ 220

جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿الأعراف:73﴾

وأخذ نبيهم يذكرهم بنعم الله عليهم لتلبيح قلوبهم وتثبيحهم عن الإفساد في الأرض فقال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجِحُونَ الْجِبَالَ بَيُّوتًا فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:74]

وقال أيضاً: ﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود:61]

فكان ردّهم أن كذبوا نبيهم ورفضوا دعوته بعد أن دعاهم إلى تقوى الله وبين لهم أنه لا يبتغي من ذلك أجراً وفي ذلك يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ 141 إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ 142 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ 143 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا 144 وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ 145﴾ [الشعراء:141-145]

فعضوا رسولهم واستعجلوا عذابهم وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ 45 قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ 46﴾ [النمل:45-46]

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ 73 وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجِحُونَ الْجِبَالَ بَيُّوتًا فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ 74﴾ [الأعراف:73-74].

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآيات: "أرسل الله ﷺ إلى ثمود نبيهم صالحاً عليه السلام قال بعضهم: ثمود اسم القرية، وقال بعضهم: ثمود اسم القبيلة وأصله في اللغة الماء القليل. ويقال: كانت بئراً بين الشام والحجاز، ويقال لها أرض الحجر كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: 80]، فدعاهم صالح عليه السلام إلى توحيد الله وعبادته، فليس لكم معبود غيره يستحق العبادة قد أتيتكم بعلامة نبوتي وهي الناقة كما قال الله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ أي علامة لنبوتي لكي تعتبروا وتوحدوا الله ربكم، فدعوها ترتع في أرض

الحجر، ولا تعفروها، فيصيبكم بسبب إيدائها عذاب موجع ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ أي : بعد هلاك عاد ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: أنزلكم في أرض الحجر، ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ وذلك أنه كانت لهم قصور يسكنون فيها أيام الصيف، وقد اتخذوا بيوتاً في الجبل لأيام الشتاء، فذكرهم نعمة الله تعالى. فقال: واذكروا هذه النعم حيث وفقكم الله ﷻ حتى اتخذتم القصور في سهل الأرض واتخذتم البيوت في الجبال. ﴿فَأَذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ﴾ أي نعم الله عليكم ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي : لا تعملوا في الأرض بالمعاصي⁽¹⁾.

وقال الإمام البغوي في تفسيره للآيات : "أرسلنا إلى ثمود أخاهم في النسب، لا في الدين صالحاً، يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، قد جاءتكم حجة من ربكم على صدقي، ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ أضافها إليه على التفضيل والتخصيص، كما يقال بيت الله، ﴿لَكُمْ آيَةٌ﴾ نصب على الحال، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ﴾ العشب، ﴿فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ لا تصيبوها بعقر، ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وتذكروا أن الله تعالى جعلكم وارثين لأرض عاد، وأنزلكم في الأرض تتمتعون بها، وتدركون مطالبكم، وذلك بعد إهلاك عاد بعد تماديهم في الكفر والتكذيب، فقد كانوا ينقبون في الجبال البيوت ففي الصيف يسكنون بيوت الطين، وفي الشتاء بيوت الجبال. وقيل: كانوا ينحتون البيوت في الجبل لأن بيوت الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم لطول أعمارهم، ﴿فَأَذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ والعبث: هو أشد الفساد⁽²⁾.

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

ذكر الإمام الزحيلي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ [الأعراف: 73-74]، قول صالح ﷺ لقومه: يا قوم اعبدوا الله تعالى، فليس لكم إله غيره، قد جاءتكم حجة أو موعظة واضحة من ربكم تدلّ على صدق رسالتي، وهي هذه الناقة بناء على اقتراحكم، لكم آية خاصة دالة على صدقي، لأنكم المشاهدون لها وحدكم، فاتركوها تأكل في أرض الله، ولا تتالوها بسوء فينالكم عذاب شديد الإيلام. وكانت هذه الناقة تقاسم ثمود في الماء يوماً بيوم، فكانت ترد ماء بئر فتشربه كله، ويحلبون منها ما شاؤوا، ثم تمكث يوماً، وترد بعد ذلك غباً، فاستمر ذلك ما شاء الله تعالى، حتى ملّتها ثمود وقالوا: ما نضع بالبن؟ الماء أحبّ إلينا منه، فتمالؤوا على قتل الناقة.

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج 2 / 124-125

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج 3 / 247

كما ذكرهم صالح عليه السلام بنعمة الله عليهم حين جعلهم خلفاء في الأرض، من بعد قوم عاد في الحضارة وال عمران، وأورثهم أرضهم، فبنيت القصور الشاهقة في السهول، وتحتون البيوت في الجبال، وآتاكم القوة والصبر، فاذكروا نعم الله تعالى عليكم، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها(1).

أما الإمام الجزائري فيقول في تفسيره للآيات: ولقد أرسلنا إلى بني ثمود أخاهم صالحاً، أرسلناه بما أرسلنا به رسلنا من قبله ومن بعده بكلمة التوحيد ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وهذا مدلول كلمة الإخلاص التي جاء بها خاتم الأنبياء "لا إله إلا الله" ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تشهد بأنه لا إله إلا هو، وأني رسوله إليكم، هذه البينة، ناقة تخرج من صخرة في جبل، ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ علامة على صدقي في إرسال الله تعالى لي رسولاً إليكم لتعبده وحده ولا تشركوا به شيئاً، فذروا هذه الناقة تأكل في أرض الله ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فكانت الناقة ترعى في الأرض الواسعة ذات النبات، وتأتي إلى ماء القوم فتشربه كله، ويتحول في بطنها إلى لبن خالص فيحلبون ما شاءوا وقال لهم يوماً هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم، ووعظهم عليه السلام بقوله: **وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ** أي بعد هلاكهم، وكانت ديار عاد بحضرموت جنوب الجزيرة العربية وديار ثمود بالحجر شمال الجزيرة بين الحجاز والشام. **﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾** أرض الحجر، **﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا﴾** تسكنونها في الصيف، وتحتون من الجبال بيوتاً تسكنونها في الشتاء، **﴿فَاذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ﴾** أي نعمه العظيمة لتشكروها بعبادته وحده دون ما أخذتم من أصنام، وحذرهم من عاقبة الفساد فقال: **﴿وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾** أي لا تنتشروا الفساد في الأرض بالشرك وارتكاب المعاصي وإزاء هذه الدعوة الصادقة الهادفة إلى هداية القوم وإصلاحهم لينجوا من عاقبة الشرك والشر والفساد(2).

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج 1 / 686

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، ج 2 / 195 بتصرف

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام السمرقندي للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسر القرآن بالقرآن، بخلاف البغوي فهو لم يعتمد على المأثور في هذا الموضع مع أنه منهجه الذي يسير عليه.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات:

– تلاحظ الباحثة أن الإمامين الزحيلي والجزائري لم يعتمد أي منهما على المأثور عند تفسيرهما للآيات فقد فسرا الآيات بالرأي المحمود دون التطرق إلى المأثور مع أن التفسير بالرأي المحمود يعتمد أولاً على التفسير بالمأثور إن أمكن .

ثالثاً: موقف قوم ثمود من دعوة صالح عليه السلام:

قابلت ثمود دعوة صالح عليه السلام بالصد والتكذيب، وتعجبوا كيف يدعوهم نبيهم إلى ترك ما كان يعبد آباؤهم من الآلهة، وأصرروا على البقاء على معتقداتهم الباطلة، ولم يؤمن بصالح عليه السلام إلا قلة من قومه: قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ 75 قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: 75-76]

1. وردوا عليه قائلين كما نقل القرآن عنهم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ 47 وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ 48 قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [النمل: 47-49]

2. وطلبوا منه أن يأتيهم بأية فلما جاءهم بالآية كان ردهم عليه: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ 154 قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ 155 وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ 156 فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ 157﴾ [الشعراء: 154-157]

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ 75

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ 76 فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا
يَصَالِحُ اثْنَتَا يَمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ 77 ﴿الأعراف: 75-77﴾

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآيات: "قال السادة والرؤساء ممن استكبروا من قوم صالح عليه السلام للمؤمنين من قومه الذين يستضعفونهم: أتعلمون أيها المؤمنون أن صالحاً رسول من الله حقاً؟ فأجابهم المؤمنون المستضعفون: إنا بالذي أرسل به صالح إلينا مصدقون ومقرّون، ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي: من رسالة صالح ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عصوا وتركوا أمر ربهم وأبوا عن طاعته. ثم التوحيد ويقال: فيه تقديم. ومعناه عتوا عن أمر ربهم وعقروا الناقة. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "إنهم عقروا الناقة ليلة الأربعاء في عشية الثلاثاء فأهلكهم الله في يوم السبت"، ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ اثْنَتَا يَمَّا تَعِدُنَا﴾ أي: بما تخوفنا به من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: إن كنت رسول رب العالمين" (1).

وقال الإمام البغوي في تفسيره للآيات: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ يعني الأشراف والقادة الذين تعظموا عن الإيمان بصالح عليه السلام، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ يعني الأتباع، ﴿لَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ يعني: قال الكفار للمؤمنين، ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ إِلَيْكُمْ﴾، فأجابهم المؤمنون المستضعفون: إنا بالذي أرسل به صالح عليه السلام إلينا مصدقون، فرد عليهم الملاء: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ أي جاحدون.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ العقر (2) هو قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر (3) عقراً لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره، ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ والعتو الغلو في الباطل، يقال: عتا يعتو عتواً: إذا استكبروا، والمعنى: عصوا الله وتركوا أمره في الناقة وكذبوا نبيهم. ﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ اثْنَتَا يَمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: انتنا بالعذاب الذي وعدتنا إن كنت ممن أرسلهم الله حقاً (4).

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج 2/ 125

(2) عقر البعير، وغيره بالسيف قطع إحدى قوائمه، ليتمكن من ذبحه، ولا يطلق العقر في غير القوائم، انظر:

معجم الأفعال المتعدية بحرف، الأحمدى، ص: 143

(3) النحر: نحر البعير: طعن في نحره نحراً، ونحر الإبل، ضربها في نحرها. انظر: أساس البلاغة،

الزمخشري، ج 2/ 255، القاموس الفقهي، أبو حبيب، ص: 349

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج 3/ 247-248

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام السعدي في تفسيره للآيات: ﴿قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: الرؤساء والأشراف الذين تكبروا عن الحق، ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ ولما كان المستضعفون ليسوا كلهم مؤمنين، قالوا: ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ أي: أهو صادق أم كاذب؟.

فقال المستضعفون: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ من توحيد الله والخبر عنه وأمره ونهيه. ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ حملهم الكبر أن لا ينفادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء. ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ التي توعدهم الله ﷻ إن مسوها بسوء أن يصيبهم عذاب أليم، ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قسوا عنه، واستكبروا عن أمره الذي من عتا عنه أذاقه العذاب الشديد. ﴿وَقَالُوا﴾ مع هذه الأفعال متجربين على الله ﷻ، معجزين له، غير مباليين بما فعلوا، بل مفتخرين بها: ﴿يَا صَالِحُ اسْمِعْنَا مِمَّا تَعِدُنَا﴾ فأتنا بالعذاب إن كنت كما تزعم من المرسلين (1).

وقال الإمام البيضاوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: قال الأشراف والرؤساء منهم الذين تعظموا عن الإيمان به. ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ أي للذين استضعفوه واستذلوهم. ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قالوه على الاستهزاء. ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيهاً على أن إرساله أظهر من أن يشك فيه عاقل ويخفى على ذوي رأي، وإنما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ على وجه المقابلة، ووضعوا ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ موضع ﴿أُرْسِلَ بِهِ﴾ رداً لما جعلوه معلوماً مسلماً. ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ فنحروها. أسند إلى جميعهم فعل بعضهم للملابسة، أو لأنه كان برضاهم. ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ واستكبروا عن امتثاله، وهو ما بلغهم صالح عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿فَدَّرُوها﴾. وتحدوا نبي الله أن يأتيهم بالعذاب، إن كان من المرسلين (2).

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: 295

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج 3 / 21

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام السمرقندي للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث أخذ عن الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، بخلاف البغوي فهو لم يعتمد على المأثور في هذا الموضع مع أنه منهجه الذي يسير عليه.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن الإمامين السعدي والبيضاوي لم يعتمد أي منهما على المأثور عند تفسيرهما للآيات فقد فسرا الآيات بالرأي المحمود دون التطرق إلى المأثور مع أن التفسير بالرأي المحمود يعتمد أولاً على التفسير بالمأثور إن أمكن .

رابعاً: نهاية الصراع بين الحق والباطل في قصة صالح عليه السلام:

كان قوم صالح عليه السلام يعبدون الأصنام واصرروا على كفرهم وعنادهم، وعقروا الناقة وتحذوا نبيهم بأن يأتيهم بما يعدهم به من العذاب، عندها أعطاهم صالح عليه السلام مهلة ثلاثة أيام، وبعد انقضاء تلك المدة أتى الذين ظلموا الصيحة والرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين، قال تعالى:

1. ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ 78 فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ 79﴾ [الأعراف: 78-79]

2. ويقول أيضاً: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ 66 وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ 67 كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا آلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِتَمُودَ﴾ [هود: 66-68]

3. فكان بهلاكهم آية وبعذابهم عبرة وعظة وفي ذلك يقول تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 158]

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ 50 فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ 51 فَتِلْكَ بِيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ 52 وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ 53﴾ [النمل: 50-53]

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:-

قال الإمام البغوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ "أي: غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح والفتك به، ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ جزيناهم

على مكرهم بتعجيل عقوبتهم، وهم لا يشعرون بتدبير الله. ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا﴾
قرأ أهل الكوفة "أنا" بفتح الألف رداً على العاقبة، أي: كانت العاقبة أنا دمرناهم، وقرأ الآخرون:
"إننا" بالكسر على الاستئناف، ﴿دَمَّرْنَاَهُمْ﴾ أي: أهلكتناهم التسعة، وهم الرهط، واختلفوا في كيفية
هلاكهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح عليه السلام
يحرسونه، فأتى التسعة دار صالح عليه السلام شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث
يرون الحجارة ولا يرون الملائكة، فقتلهم. قال مقاتل: نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضاً
ليأتوا دار صالح عليه السلام، فجتهم (1) عليهم الجبل فأهلكهم. ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أهلكتهم الله تعالى
بالصيحة" (2).

قال الإمام ابن عطية في تفسيره للآيات: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا﴾ "أي: المكر نحو الخديعة،
وسمى الله تعالى عقوبتهم باسم ذنبهم، ومنه قوله تعالى: ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 15] وغير ذلك،
وقرأ الجمهور "مهلك" بضم الميم وفتح اللام، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بفتحهما، وروي عنه
فتح الميم وكسر اللام، فانظر أيها النبي إلى عاقبة تدبيرهم وتدبيرنا لنبينا أنا أهلكتناهم وقومهم
أجمعين، فتلك بيوتهم قد انهدمت جدرانها على سقوفها، وبقيت خالية من أهلها بسبب ظلمهم،
إن فيما أصابهم من العذاب بسبب ظلمهم لعبرة لقوم يؤمنون، وإخواء البيوت وخرابها مما أخبر
الله تعالى به في كل الشرائع أنه مما يعاقب به الظلمة وهذه البيوت المشار إليها هي التي قال
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك: "لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين" (3). وأنجى الله
تعالى الفريق المؤمن بصالح من هذا الهلاك" (4).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

ذكر الإمام حومد في تفسيره للآيات: يقول الله تعالى: عن ثمود إنهم دبروا أمراً لإهلاك
نبي الله صالح عليه السلام فدبر الله تدبيراً خفياً محكماً أبطل مكرهم وتدبيرهم، وأهلكهم قبل أن يصلوا

(1) جَتْمٌ يَجْتُمُ، وَيَجْتُمُ جَتْمًا، وَجُتُومًا، فَهُوَ جَائِمٌ: لَزِمَ مَكَانَهُ فَلَمْ يَبْرَحْ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يَقَعَ عَلَى صَدْرِهِ.

وَجَمَعَ الْجَائِمُ: جُنُومٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾ [هود: 67]، أي أجساداً مُلقاةً في

الأرض، انظر: المحكم والمحيط الأعظم، المرسي، ج 7/ 374

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج 6/ 170

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة /باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، ج 1/ 94، رقم

الحديث: 433 واللفظ للبخاري، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرقائق/باب لا تدخلوا مساكن الذين

ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين، ج 4/ 2285، رقم الحديث: 2980

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج 4/ 264-265

إلى صالح وأهله بأذى، وهم لا يشعرون بأن عين الله ساهرة ترعى نبيه صالحاً والمؤمنين، وكانت عاقبة مكرهم أن دمر الله المجرمين وأهلكهم مع قومهم أجمعين، فأصبحت بيوتهم خاوية خالية لا يسكنها أحد، وذلك عقاباً من الله تعالى لهم بسبب ظلمهم وكفرهم. وفيما حل بهم من عذاب وهلاك لعبرة وعظة لمن ينظر ويفكر في قدرة الله وتدبيره فيتعظ .

أما الذين آمنوا بما جاءهم به صالح عليه السلام واتقوا ربهم، فقد أنجاهم الله تعالى مع صالح وأهله (1).

وذكر الإمام الشعراوي في تفسيره للآيات: **﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا﴾** أي: ما دبّروه لقتل صالح عليه السلام **﴿وَمَكْرُنَا مَكْرًا﴾** فَرَقَ بَيْنَ مَكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ **﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** [سورة آل عمران: 54] وبين مكر الكافرين **﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾** [فاطر: 43]. إذن: حين تمكر بخير، فلا يُعَدُّ مَكْرًا، إنما إبطال لمكر العدو، فلا يجوز لك أن تتركه يُدَبِّرَ لك ويمكُر بك، وأنت لا تتحرك؛ لذلك قال تعالى **﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** [الأنفال: 30] لأنهم يمكرون بشرًّا، ونحن نمكر لدفع هذا الشر لِنُصْرَةِ رسولنا، ونجاته من تدبيركم.

وتأمل ما حاق بهم لما مكروا بنبي الله صالح عليه السلام، واتفقوا على التبييت له وقتله، يروى أنهم لما دخلوا عليه أُلْقِيَ على كل واحد منهم حَجَرٌ لا يدري من أين أتاه، فهلكوا جميعاً، فقد سخر الله له ملائكة تولت حمايته والدفاع عنه. أو: أن الله تعالى صنع له حيلة خرج بها وذهب إلى حضرموت، وهناك مات عليه السلام، فسميت حضرموت. وقال آخرون: بل ذهبوا ينتظرونه في سفح جبل، واستتروا خلف صخرة ليوقعوا به فسقطت عليهم الصخرة فماتوا جميعاً.

قوله تعالى: **﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾** دليل على أن الله أهلكهم فلم يُبقِ منهم أحداً، وتركت بيوتهم خاوية بسبب ظلمهم **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** عبرة وعظة، وفي مقابل إهلاك الكافرين: **﴿وَأُنَجِّينَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾** فمن آمن واتقى من قوم صالح نجاه الله عز وجل من العذاب الذي نزل بقومهم قوم ثمود (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآيات الكريمة:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام البغوي وابن عطية للآيات أخذت طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل الإمام البغوي عن ابن عباس وهو من الصحابة، كما فسر ابن عطية القرآن

(1) أيسر التفاسير، حومد ص 3090-3094 بتصرف

(2) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج 17 / 10802-10804 بتصرف

بالقرآن وبالحدِيث الشريف، وبهذا يكونا قد سلكا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات الكريمة:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام الشعراوي فسر بالمأثور أيضاً حين استشهد بآية تفسيراً للآية، وبهذا يتبين للباحثة أن الإمام الشعراوي صاحب التفسير بالرأي قد سار على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة.
- أما الإمام حومد فقد فسر الآيات تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور، فهو إذاً لم يسلك المنهج الصحيح في التفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور في هذا الموطن.

المطلب الرابع:

الصراع بين إبراهيم عليه السلام وقومه.

أولاً: نسب إبراهيم عليه السلام:

قبل الحديث عن طبيعة الصراع بين إبراهيم عليه السلام وقومه وما آلت إليه الأمور بينهم ترى الباحثة أن نتحدث بإيجاز عن نسب هذا النبي الكريم.

قال الإمام الثعلبي: هو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر ابن سالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، وهو اسم أعجمي (1).

وقال الإمام السيوطي: "هو إبراهيم بن تارح وتارح هو آزر بن ناحور بن شاروخ بن ارغو بن فالغ وفالغ هو فالخ وهو الذي قسم الأرض ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح" (2).

وقال الإمام القرطبي: هو إبراهيم بن تارح بن ناخور بن ساروع ابن أوغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام (3).

(1) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ج4/ 75

(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج2/ 748

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7/ 23

وقال الإمام ابن عاشور: "هو الرسول العظيم الملقب بالخليل وهو إبراهيم بن تارح، وتسمى العرب تارح آزر، بن ناحور بن سروج، ابن رعو، ابن فالح، ابن عابر ابن شالح ابن أرفكشاد، ابن سام ابن نوح" (1).

يتضح للباحثة أن القرآن الكريم ذكر قصص أنبياء الله تعالى، ولم يتطرق إلى تفاصيل أنسابهم عليهم السلام فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام قد ذكر اسمه في القرآن الكريم صراحة في سبعين موضعاً، وفي جميع المواضع التي ذكر فيها لم يذكر نسبه، لقب إبراهيم عليه السلام بأبي الأنبياء؛ لأن الله ﷻ اصطفاه، وجعل في ذريته الكتاب والنبوة، وكل من بُعث من الأنبياء عليهم السلام من بعده كانوا من نسله، فقد رزقه الله ﷻ بولدين وهما إسماعيل وإسحاق، وأكرمهما بالنبوة، وقد بيّن الله ﷻ أبوة إبراهيم عليه السلام للأنبياء في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ 84 وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ 85 وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ 86﴾ [الأنعام: 84-86]

المقارنة بين التفاسير بالمأثور والرأي المحمود عند ذكرهم لنسب هود عليه السلام:

– تلاحظ الباحثة أن كلاً من الثعلبي والسيوطي والقرطبي وابن عاشور لم يعتمد أي منهم على المأثور عند الحديث عن نسب نبي الله إبراهيم عليه السلام، لأن نسب إبراهيم عليه السلام، لم يرد في القرآن ولا في السنة ولم يرد فيه قول لصحابي أو تابعي.

ثانياً: دعوة إبراهيم عليه السلام:

كان قوم إبراهيم عليه السلام يعبدون الكواكب، والأصنام، وكان أبوه آزر ممن يصنع الأصنام لقومه، فبدأ إبراهيم عليه السلام دعوته بدعوة أبيه، وتذكيره بأن هذه الأصنام لا تضر، ولا تنفع، وكان يدعو والده باللين، والرفق، ولا يخاطبه إلا بقوله: "يا أبت"، إلا أن أباه أصّر على موقفه، وطلب من إبراهيم عليه السلام أن يهجره، ويتركه، ثم انتقل إبراهيم عليه السلام إلى دعوة قومه؛ فأمرهم أولاً بترك عبادة الأصنام، ثم حاججهم في عبادة الكواكب، وقد ذُكرت هذه المحاججة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ 74 وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ 75 فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُجِبُّ الْآفِلِينَ 76 فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ 77 فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 1 / 701

أَفَلَتَ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ 78 إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿79﴾ [الأنعام:74-79]. وقال أيضاً: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا 41 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا 42 يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا 43 يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا 44 يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا 45﴾ [مريم:41-45]

كما أنكر على قومه عبادة ما لا ينفع ولا يضر، قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ 66 أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ 67﴾ سورة الأنبياء:66-70].

كما ندد بعبادتهم للأصنام، مبينا أنها إفك وأسوأ الكذب، وحذر من سخط الله حين لقائه. وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ 16 إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكَ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ 17﴾ [سورة العنكبوت:16-17]

واعتمد إبراهيم عليه السلام الأدلة المحسوسة المعقولة في إقامة الحجة على قومه، فقرر أن يحتاج على قومه ويناظرهم من واقع معرفتهم وإدراكهم، ليبين لهم أن هذه الكواكب والنجوم التي يعبدونها، ناقصة، فهي تظهر وتختفي، تقوى وتضعف، وهذا لا يصلح أن يكون ربا أو إلها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ 83 إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ 84 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ 85 أَفِيكَآ آلهةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ 86 فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ 87 فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي الشُّجُومِ 88 فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ 89 فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ 90 فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ 91 مَا لَكُمْ لَا تَنْظِقُونَ 92 فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ 93 فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ 94 قَالَ أَعْتَبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ 95 وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:83-96]

كما سلك إبراهيم عليه السلام في دعوته لعبدة الكواكب مسلكاً غير مسلكه في دعوته لأبيه وعبدة الأصنام، فهو مع أبيه يتبع أسلوب الرفق واللين والهدوء في الحوار، وهو مع عبدة الأصنام يتبع طريقة تغيير المنكر باليد، ولكنه مع عبدة الكواكب يتبع طريقة أخرى، وهي الموافقة في العبارة من أجل إلزام الخصم وإفحامه (1).

(1) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ج1/232

وقد أعلنها إبراهيم عليه السلام صريحةً أمام أبيه وقومه إذ تبرأ من عباداتهم وآلهتهم الباطلة واستثنى الإله الحق وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ 26 إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الرَّحُف: 26-27].

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَفِيكَآ آلهةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ * قَالَ أتعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: 83-98]

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره للآيات: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ "أي: إن إبراهيم عليه السلام من شيعة نوح عليه السلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: من أهل ذريته، وقال مجاهد: من شيعة نوح إبراهيم على مناجه وسننه ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، قال: ليس فيه شك. وقوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ قال سعيد بن المسيب: رأى نجماً طالعاً ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقال سفيان: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: طعين، وكانوا يفرّون من المطعون .

وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: أرسل إليه ملكهم فقال: إن غدا عيدنا فاخرج قال: فنظر إلى نجم فقال: إن هذا النجم لم يطلع قط إلا طلع بسقم لي، ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ قال قتادة: فنكصوا، عنه مطلقين. ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ قال: فمال إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون يستنطقهم منطلقين ما لكم لا تتطقون، فأقبل عليهم فكسره، ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ﴾ أي: يسعون، فقابلهم إبراهيم بثبات، وقال موبخاً إياهم: أتعبدون من دون الله آلهة أنتم الذين تتحتونها بأيديكم، فالله سبحانه خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم" (1).

وقال الإمام الثعالبي في تفسيره للآيات: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: الضمير عائد على نوح عليه السلام والمعنى: في الدين والتوحيد، وقال الفراء: الضمير عائد على محمد صلى الله عليه وسلم، والإشارة إليه. وقوله: ﴿أَفِيكَآ آلهةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ "أَفِيكَآ" استفهام بمعنى التقرير، أي: أكذباً ومحالاً، آلهة دون الله تريدون.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، ج10 / 3219-3220

وقوله: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ﴾ فيها توبيخ وتحذير وتوعد. وقوله تعالى: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ روي أن قومه كان لهم عيد يخرجون إليه فدعوا إبراهيم عليه السلام إلى الخروج معهم، فنظر حينئذ، واعتذر بالسقم، وأراد البقاء ليخالفهم إلى الأصنام، وروي أن علم النجوم كان عندهم منظوراً فيه مستعملاً فأوهمهم هو من تلك الجهة، قالت فرقة: وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ من المعاريض الجائزة.

وقوله: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ﴾ "راغ" معناه: مال. ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ هو على جهة الاستهزاء بعبدة تلك الأصنام، ثم مال عند ذلك إلى ضرب تلك الأصنام بفأس حتى جعلها جذاداً، واختلف في معنى قوله: ﴿بِالْيَمِينِ﴾ فقال ابن عباس: أراد يمنى يديه، وقيل: أراد بقوته لأنه كان يجمع يديه معاً بالفأس، وقيل: أراد باليمين، القسم في قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 57]، والضمير في ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ﴾ لكفار قومه ويزفون معناه: يسرعون (1).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الحجازي في تفسيره للآيات: هذه قصة إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء جاءت بعد قصة نوح الأب الثاني للبشر، ومما يزيد المناسبة حسناً أن نوحاً عليه السلام نجاه الله ﷻ من الغرق، وإبراهيم عليه السلام نجاه الله ﷻ من النار، وكذلك ينجي ربك المؤمنين، وإن ممن شايح نوحاً عليه السلام وتابعه في الأصول العامة للشريعة، وإن اختلفا في الأحكام الفرعية لإبراهيم الخليل عليه السلام.

والمعنى: واذكر يا محمد حين أقبل إبراهيم عليه السلام على ربه بقلب سليم من كل سوء ومكروه، جاءه مخلصاً صادقاً إيمانه، كأنه جاء بتحفة من عنده لربه، فاستحق المثوبة والجزاء. إذ قال في هذه الحالة لأبيه وقومه: ما الذي تعبدونه؟ أنكر عليهم عبادتهم للأصنام ولا غرابة في إنكار إبراهيم هذا بعد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ فقال: أتريدون آلهة دون الله تعالى لأجل الإفك والكذب على الناس؟ ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ عبدتم غيره؟ أتظنون أنه يترككم بلا عقاب شديد جزاء على عملكم هذا القبيح؟ لا. وقد كان إبراهيم عليه السلام كثير التأمل في ملكوت الله ﷻ وسلطانه وعظمته، فنظر نظرة تفكر في النجوم: من خلقها؟ وكيف تسير؟ ومن حركها؟ وأين هي في النهار؟ هذا هو نظر إبراهيم للنجوم ليتوصل بذلك إلى إدراك بعض الواجب نحو خالق السماء والنجوم وفاطر السموات والأرض.

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج5/ 36 بتصرف يسير

فقال لقومه: إني سقيم ومريض، ولست مستريحاً إلى عبادتكم للأفلاك والنجوم وهذه الأصنام والأوثان، أما قومه فحين حاجهم إبراهيم عليه السلام تولوا عنه مدبرين ورموه بالإفك والبهتان العظيم، فقصد آلهتهم في الخفاء، وراغ إلى أصنامهم قاصداً التعرض لها ليكلموه في شأنها، ويعلمون بالدليل أنها أحجار وخشب لا تسمع ولا تبصر، ولا تغنى ولا تنفع، فقد كانوا يأتون بالطعام إلى آلهتهم لتأكل وتبارك لهم فيه، ويظهر أن السدنة كانت تأكل بعضه فيظنون أن الآلهة أكلت. أما إبراهيم عليه السلام فذهب إلى الآلهة وأمامها الأكل فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ما لكم لا تتطوقون؟ عجباً لكم أي شيء دهاكم حتى منعكم من الكلام؟ فلما لم يحصل منهم أكل ولا جواب عن سؤال مال عليهم ضارباً ضرباً بالقوة والشدة. فأقبلوا إليه مسرعين المشي لما سمعوا بالذي حصل من إبراهيم عليه السلام قائلين له: نحن نعبدها ونقدسها، وأنت تضربها وتكسرها؟! إن هذه لجرأة منك شديدة! فقال لهم موبخاً: أتعبدون ما تحتونه بأيديكم، وتصنعونه على أعينكم من حجارة أو خشب، وتتركون عبادة الله تعالى الذي خلقكم وسواكم وعدلكم في أحسن صورة وهو الذي خلقكم والمادة التي تعملون منها الأصنام؟! (1).

وقال نخبة من أساتذة التفسير في تفسيرهم لآيات: "إن من أشياع وأمثال نوح عليه السلام وعلى منهاجه وملته نبي الله إبراهيم عليه السلام، حين جاء ربه بقلب بريء من كل اعتقاد باطل وحُوقٍ ذميم، حين قال لأبيه وقومه منكرًا عليهم: ما الذي تعبدونه من دون الله؟ أتريدون آلهة مختلفة تعبدونها، وتتركون عبادة الله المستحق للعبادة وحده؟ فما ظنكم برب العالمين أنه فاعل بكم إذا أشركتم به وعبدتم معه غيره؟ فنظر إبراهيم عليه السلام نظرة في النجوم متفكراً فيما يعتذر به عن الخروج معهم إلى أعيادهم، فقال لهم: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وهذا تعريض منه، فتركوه وراء ظهورهم، فمال مسرعاً إلى أصنام قومه فقال مستهزئاً بها: ألا تأكلون هذا الطعام الذي يقدمه لكم سدنتكم؟ ما لكم لا تتطوقون ولا تجيبون من يسألكم؟ فأقبل على آلهتهم يضربها ويكسرها بيده اليمنى؛ ليثبت لقومه خطأ عبادتهم لها. فأقبلوا إليه يعدون مسرعين غاضبين، فلقبهم إبراهيم بثبات قائلاً كيف تعبدون أصناماً تحتونها أنتم، وتصنعونها بأيديكم، وتتركون عبادة ربكم الذي خلقكم، وخلق عملكم؟" (2).

(1) التفسير الواضح، الحجازي، ج 3 / 212-214 بتصرف

(2) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج 1 / 449

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام ابن أبي حاتم، والثعالبي للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل الإمام ابن أبي حاتم عن الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما وعن التابعين كمجاهد وسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم وضي الله عنهم، أما الإمام الثعالبي فقد نقل عن ابن عباس وهو من الصحابة، وفسر القرآن بالقرآن.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيات:

– تلاحظ الباحثة أن كلاً من الحجازي ونخبة من أساتذة التفسير (أصحاب التفسير الميسر)، لم يعتمد أي منهم على شيء من ذلك عند تفسيرهم للآيات فقد فسروا الآيات بالرأي المحمود دون التطرق إلى المأثور مع أن التفسير بالرأي المحمود يعتمد أولاً على التفسير بالمأثور إن أمكن.

ثالثاً: موقف قوم إبراهيم من دعوته ﷺ :

قابل قوم إبراهيم دعوة نبيهم بالصدِّ والتكذيب، وبدلاً من أن يستجيبوا للحق استكبروا وكابروا، وتواصلوا فيما بينهم بحرق إبراهيم ﷺ نُصْرَةً لأصنامهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: 68]، وأجمعوا على ذلك، فجمعوا حطباً كثيراً، وأشعلوه ناراً ثم ألقوه بها، ولكنَّ الله ﷻ أنجاه منها، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ 69 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [سورة الأنبياء: 69-70] ورغم رؤيتهم لتلك المعجزة التي حدثت أمام أعينهم، إلا أنهم استمروا في كفرهم وطغيانهم.

وكان الأب آزر مستعلياً مترفعاً يعتمد على التهديد والقطيعة والسب والشتم والرجم بالحجارة.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِخْرَافًا إِيَّايَ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة البقرة: 17]، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِخْرَافًا إِيَّايَ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة البقرة: 17]، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِخْرَافًا إِيَّايَ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة البقرة: 17]، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِخْرَافًا إِيَّايَ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة البقرة: 17].

بدأ النفاس الحاد بين إبراهيم وقومه بعد تكسير الأصنام.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: 59-65]. فتشاور القوم في أمر إبراهيم عليه السلام لما غلبهم بالحجة فقالوا: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: 68]، ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 97]

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:80]

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآية: "يقول الله تعالى مخبراً عن خليفه إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد، وناظروه بشبهه من القول أنه قال: ﴿أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ أي أتجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو وقد بصرتني الله ﷻ وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه، فكيف أتفتت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة؟ ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ أي: ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئاً وأنا لا أخافها ولا أباؤها، فإن كان لها كيد فكيدوني بها ولا تنتظرون بل عاجلونني بذلك، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾، استثناء منقطع أي لا يضر ولا ينفع إلا الله ﷻ ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي أحاط علمه بجميع الأشياء فلا تخفى عليه خافية، ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي فيما بينته لكم، أفلا تعتبرون أن هذه الآلهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها؟ وهذه الحجة نظير ما احتج بها نبي الله هود عليه السلام على قومه عاد قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسواء قال إني أشهد الله واشهدوا أئي برياء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها...﴾ [هود:53-56] (1)

وقال الإمام السيوطي في تفسيره للآية: "أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس (2) في قوله: ﴿وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ﴾ يقول: خاصموه، وعن ابن عباس في قوله ﴿أَتُحَاجُّونِي﴾ قال: أتخاصمونني والمعنى: خاصمه قومه المشركون في توحيد الله سبحانه، وحوؤوه من أصنامهم، فقال لهم: أتخاصمونني في توحيد الله وإفراده بالعبادة، وقد وفقني ربي إليه، ولست أخاف من أصنامكم، فإنها لا تضر ولا تنفع، ولا تسمع ولا ترى" (3).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3/ 293

(2) الربيع بن أنس تابعي معروف من أهل البصرة، سمع أنس بن مالك، قال أبو محمد بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن الربيع بن أنس، فقالا: صدوق ثقة، وقال أبو حاتم: صدوق، وهو أحب إلي في أبي العالية من أبي خلد. وقال النسائي: ليس به بأس. وقال محمد بن سعد: هو من بكر بن وائل من أنفسهم، وكان من أهل البصرة، وقد لقي ابن عمر، انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج7/ 370، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزني، ج9/ 61، معجم الجرح والتعديل لرجال السنن الكبرى، خلف، ص: 56

(3) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج3/ 307

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

ذكر الإمام أبو السعود في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ...﴾ "أي شرع قوم إبراهيم عليه السلام في مغالبته في أمر التوحيد، ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِي﴾ أي أتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته والحال أنه تعالى هداني إلى الحق بعد ما سلكت طريقتك بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبيناً تاماً كما شاهدتموه وقوله تعالى: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ جواب عما خوفوه عليه السلام في أثناء المحاجة من إصابة مكروه من جهة أصنامهم، كما قال قوم هود عليه السلام لنبيهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود:54]. ولعلمهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بآلهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ استثناء مفرغ من أعم الأوقات أي لا أخاف ما تشركونه به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الأوقات إلا في وقت مشيئته تعالى شيئاً من إصابة مكروه من جهتها وذلك إنما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه أصلاً وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام إظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لأمره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته وقوله تعالى ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ كأنه تعليل للاستثناء أي أحاط بكل شيء علماً فلا يبعد أن يكون في علمه تعالى أن يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الأسباب وفي الإظهار في موضع الإضمار تأكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا أنه وحده المعبود المستحق للعبودية (1).

وقال الإمام السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ "أي فائدة لمحاجة من لم يتبين له الهدى؟ فأما من هداه الله تعالى، ووصل إلى أعلى درجات اليقين، فإنه يدعو الناس إلى ما هو عليه. ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ فإنها لن تضرنني، ولن تمنع عني من النفع شيئاً. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أنه وحده المعبود المستحق للعبودية" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين ابن كثير والسيوطي للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور،

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، ج3/154-155 بتصرف

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: 262

حيث فسر الإمام ابن كثير القرآن بالقرآن، أما الإمام السيوطي فقد أخذ عن ابن عباس وهو من الصحابة، والربيع بن أنس وهو من التابعين، وبهذا يكون قد سلكا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام أبا السعود فسر بالمأثور حين استشهد بآية تفسيراً للآية، وبهذا فإنه قد سار على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة. أما الإمام السعدي فقد فسر الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبذلك يكون صاحب التفسير بالرأي لم يسلك المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور .

نهاية الصراع بين الحق والباطل في قصة إبراهيم عليه السلام:

يأتي حفظ الله تعالى لأنبيائه ورسله على مبدأ قول الله ﷻ: ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة يوسف:64]، فأبطل الله ﷻ كيد الكافرين من قوم إبراهيم ورده في نحورهم، وجعله دليلاً على صدق إبراهيم عليه السلام، ودليلاً على علو شأنه حيث جعلت النار المحرقة برداً وسلاماً عليه، قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:98-99].

وقال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء:69-70]

و تناولت الباحثة هاتين الآيتين بالتفسير والمقارنة .

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام البغوي في تفسيره للآيتين: "قال ابن عباس: لو لم يقل سلاماً لمات إبراهيم عليه السلام من بردها، ومن المعروف في الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت، فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم، ولو لم يقل وسلاماً على إبراهيم بقيت ذات برد أبداً.

وقوله: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ أي: وأراد قوم إبراهيم عليه السلام به كيداً بأن يحرقوه، فأبطلنا كيدهم، وجعلناهم هم الهالكين المغلوبين. وقيل: معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم. وقيل: معناه إن الله ﷻ أرسل على النمرود وعلى قومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم، ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته" (1).

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج5/ 328-329

أما الإمام الشنقيطي فيقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: 69-70]، في الكلام حذف دل المقام عليه، وتقديره: قالوا حرقوه فرموه في النار، فلما فعلوا ذلك قلنا يانار كوني برداً وسلاماً وقد بين الله ﷻ في سورة الصافات أنهم لما أرادوا أن يلقوه في النار بنوا له بنيانا ليلقوه فيه، وفي هذه القصة أنهم ألقوه من ذلك البنيان العالي بالمنجنيق (1). بإشارة رجل من أعراب فارس يعنون الأكراد وأن الله خسف به الأرض فهو يتجلجل (2) فيها إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 97]، وما ذكر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة من أنه أمر النار بأمره الكوني القدري أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم يدل على أنه أنجاه من تلك النار؛ لأن قوله تعالى: ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ يدل على سلامته من حرها، ﴿وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ يدل على سلامته من شر بردها الذي انقلبت الحرارة إليه، وإنجاؤه إياه منها الذي دل عليه أمره الكوني القدري هنا جاء مصرحاً به في قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ [العنكبوت: 24]، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ يوضحه ما قبله، فالكيد الذي أرادوه به: إحراقه بالنار نصراً منهم لآلهتهم في زعمهم، وجعله تعالى إياهم الأخسرين أي الذين هم أكثر خسراناً لبطان كيدهم وسلامته من نارهم.

وقد أشار تعالى إلى ذلك أيضاً في قوله: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: 98]، وكونهم الأسفلين واضح؛ لعلوه عليهم وسلامته من شرهم. وكونهم الأخسرين لأنهم خسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين. وفي القصة أن الله سلط عليهم خلقاً من أضعف خلقه فأهلكهم وهو البعوض. وفيها أيضاً أن كل الدواب تطفئ عن إبراهيم النار، إلا الوزغ فإنه ينفخ النار عليه. وعن أبي العالية: لو لم يقل الله: وسلاماً لكان بردها أشد عليه من حرها، ولو لم يقل: على إبراهيم لكان بردها باقياً إلى الأبد. وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقل: وسلاماً لمات إبراهيم من بردها.

(1) منجنيق بفتح الميم وكسرهما، وهو أعجمي معرب وحكى الفراء منجنوق بالواو وحكى غيره منجليق، وهو: القذائف التي يرمى بها الحجارة. انظر: المطلع على أبواب الفقه، الحنبلي، ص: 126، معجم تيمور الكبير

في الألفاظ العامية، تيمور، ج5/384

(2) يتجلجل: يتحرك ويغوص، والجلجلة حركة مع صوت. ينظر: تهذيب اللغة، الهروي، ج10/263

وقال البخاري في صحيحه: عن ابن عباس، قال: " كان آخر قول إبراهيم حين أُلقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل " (1). وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: 173] (2).

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام النسفي في تفسيره للآيتين: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ أي ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كأن ذاتها بردٌ وسلام على إبراهيم ﷺ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقل ذلك لأهلكته ببردها، والمعنى: أن الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ إحراقاً ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (3).

وقال الإمام الماتريدي في تفسيره للآيتين: "جائز أن يكون المراد من قوله تعالى: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أي: جعلها في الخلقة برداً وسلاماً على إبراهيم خاصة، وأما على غيره فهي على ما هي في طبعها من الإحراق والحر؛ فيكون ذلك من أعظم آيات رسالة إبراهيم ﷺ ونبوته.

أو أن يكون على الوحي والإلهام على ما قاله أهل التأويل: إنه أوحى إليها أن ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، لكنه إن كان على هذا فجائز أن يجعل في سريتها ما تفهم أمره ويمكن فيها ما تظن ذلك فلم تحرقه. وقول أهل التأويل: إنها بردت حتى لم ينتفع بها أهل المشرق والمغرب ثلاثة أيام، فذلك لا يعلم إلا بالسمع. وقوله: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ الكيد: هو الأخذ من حيث الأيمن، فجائز أن يكونوا كادوه بأن حبسوه في موضع، ثم جمعوا عليه الحطب من غير أن يعلم بذلك، ثم أوقدوا عليه النار، أو أن يكون أخذوه على غره، فجعلوه في المنجنيق ثم رموه في النار؛ على ما قاله بعض أهل التأويل، أو أن يكونوا كادوه كيداً آخر سوى ذلك فنحن لا نعلم ذلك. وقوله ﷻ ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾. لا شك أنهم في الآخرة من الأخسرين، وأما خسرانهم في الدنيا فلا نعلم ذلك الخسران، والله أعلم به. (4).

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ [آل عمران: 173]، ج 6/ 39 رقم الحديث: 4564

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج 4/ 162-164

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج 2/ 412

(4) تفسير الماتريدي، الماتريدي، ج 7/ 358

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيتين:

من خلال النظر في التفاسير السابقة تلاحظ الباحثة ما يلي:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآيتين:

– أن الإمامين البغوي والشنقيطي قد فسرا الآيتين بالمأثور، وهذا اللون من التفسير هو السمة الغالبة على تفسيرهما، حيث نقل الإمام البغوي عن الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، أما الإمام الشنقيطي فقد استشهد بآية تفسيراً للآية، وبالسنة وبقول الصحابة والتابعين، وهذا التفسير يعكس منهجها العام، وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيتين:

– سار الإمام النسفي على المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود، حيث نقل عن الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، ثم أثرى المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة، وبذلك يكون الإمام النسفي قد سار على قواعد التفسير بالرأي المحمود التي تعتمد على التفسير بالمأثور أولاً ثم بالرأي، أما الإمام الماتريدي، فقد فسّر الآيتين برأيه دون التطرق إلى المأثور، وبذلك فهو لم يسلك المنهج الصحيح في التفسير بالرأي المحمود، والذي يجب أن يقوم أولاً على التفسير بالمأثور إن أمكن ذلك.

المطلب الخامس:

الصراع بين لوط عليه السلام وقومه.

أولاً: نسب لوط عليه السلام وبعثته:

قبل الحديث عن طبيعة الصراع بين لوط عليه السلام وقومه وما آلت إليه الأمور بينهم ترى الباحثة أن نتحدث بإيجاز عن نسب هذا النبي الكريم وبعثته.

قال الإمام الثعلبي: "هو لوط بن هاران بن تارخ أخي إبراهيم عليه السلام" (1).

وقال الإمام البغوي: "هو لوط بن هاران بن تارخ بن أخي إبراهيم، وقومه: هم أهل سدوم" (2).

(1) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ج4/ 258

(2) سدوم: مدينة من مدائن قوم لوط، وهي وما حولها المؤتفكات وكانت خمس قرى، وسدوم هي القرية العظمية، الروض المعطار في خير الأقطار، الجميري، ص: 308، آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني،

وذلك أن لوطاً من أرض بابل (العراق) سافر مع عمه إبراهيم عليه السلام مؤمناً به مهاجراً معه إلى الشام، فنزل إبراهيم فلسطين وأنزل لوطاً الأردن، فأرسله الله تعالى إلى أهل سدوم (1).

وقال الإمام البيضاوي: "هو لوط بن هاران أخي إبراهيم" (2).

وقال الإمام ابن عاشور: هو لوط بن هاران بن تارح، فهو بن أخي إبراهيم، هاجر إبراهيم مع لوط إلى مصر لقطع أصاب بلاد كنعان، ثم رجعا إلى بلاد كنعان، وافترق إبراهيم ولوط بسبب خصام وقع بين رعائهما، فارتحل لوط إلى سدوم، وهي من شرق فلسطين إلى أن أوحى إليه بالخروج منها حين قدر الله خسفها عقاباً لأهلها فخرج إلى صوغر مع ابنته ونسله هناك (3).

وهنا تتوه الباحثة أن القرآن الكريم ذكر قصص أنبياء الله تعالى، ولم يتطرق إلى تفاصيل أنسابهم عليهم السلام فهذا نبي الله لوط عليه السلام ذكر في القرآن الكريم سبعاً وعشرين مرة كواحد من الأنبياء الذين يتوجب على المسلم الإيمان بهم تحقيقاً لمعنى الإيمان بالرسول.

المقارنة بين التفاسير بالمأثور والرأي المحمود عند ذكرهم لنسب لوط عليه السلام:

تلاحظ الباحثة أن كلاً من الإمام الثعلبي والبغوي والبيضاوي وابن عاشور لم يعتمد أي منهم على المأثور عند الحديث عن نسب نبي الله لوط عليه السلام، وذلك لعدم ذكر نسبهم في القرآن ولا في السنة ولا من خلال قول صحابي أو تابعي.

ثانياً: دعوة لوط عليه السلام:

دعا لوط عليه السلام أهل سدوم إلى الدين الحق وإلى طريق مستقيم، وصدر دعوته بالأمر بتقوى الله تعالى؛ إذ هي ملاك الأمر كله، ثم أخبرهم بأنه رسول أمين، وأنه لا يسألهم أجراً على دعوته لهم إلى الحق المبين، كما نهاهم عن الفاحشة التي كانوا يأتونها، والتي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ 80 إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ 81﴾ [الأعراف:

[81-80]

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج 3/ 254

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج 2/ 171

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 7/ 343

ودعا قومه إلى التقوى والطاعة فكذبوه ودعاهم إلى نبذ تلك الفاحشة التي مردوا عليها وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء:160-166] وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة هذه الآيات.

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام البغوي في تفسيره للآيات: "كذبت قوم لوط المرسلين لتكذيبهم نبيهم لوطاً عليه السلام إذ قال لهم أخوهم لوط: ألا تخشون عذاب الله؟ إني رسول من ربكم، أمين على تبليغ رسالته إليكم، فاحذروا عقاب الله على تكذيبكم رسوله، واتبعوني فيما دعوتكم إليه، وما أسألكم على دعوتي لهدايتكم أي أجر، إن أجري إلا على رب العالمين، ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ﴾ قال مقاتل: يعني جماع الرجال. ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يعني من بني آدم. ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ قال مجاهد: تركتم أقبال النساء إلى أدبار الرجال، ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ معتدون﴾ مجاوزون الحلال إلى الحرام" (1).

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: "يقول الله تعالى مخبراً عن عبده ورسوله لوط عليه السلام، بعثه الله ﷻ إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم عليه السلام وكانوا يسكنون سدوم وأعمالها التي أهلكها الله بها، وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة، وهي مشهورة ببلاد الغور، متاخمة لجبال البيت المقدس، فدعاهم إلى الله ﷻ وأن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه الله إليهم، ونهاهم عن معصية الله تعالى، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم، مما لم يسبقهم الخلائق إلى فعله، من إتيان الذكران دون الإناث؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ 165 وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [166] [الشعراء:165-166]" (2).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الزحيلي في تفسيره للآيات: "حكاية عن قوم لوط عليه السلام وتكذيبهم لنبيهم المرسل إليهم ومن كذب رسولاً فقد كذب جميع المرسلين، حين قال لهم لوط عليه السلام: ألا تنتقون

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج 6/ 126

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 6/ 157

عذاب الله بترك معاصيه، فإنني رسول لكم مؤتمن على تبليغ رسالته، فاتقوا الله بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وأطيعوني فيما أمركم به من عبادة الله وحده، وإتيان النساء بالزواج وما أنهاكم عنه من ارتكاب الفواحش، ولا أطلب منكم أجراً أو جزاء على تبليغ رسالتي، فما جزائي إلا على الله رب العالمين. ثم وبخهم وقرعهم وأنكر عليهم ظاهرة الفحش الشنيعة قائلاً: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ 165 وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي كيف تقدمون على شيء شاذ، أترتكبون هذه المعصية الشنيعة؟ وهو إتيان الذكور من الناس، وهو كناية عن وطء الرجال، وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء، وسماه الله تعالى فاحشة، فقال: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 80] وتتركون إتيان نسائكم اللاتي جعلهن الله للاستمتاع الطبيعي بهن، كما قال تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 222].

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي لكن أنتم قوم متجاوزون الحد في الظلم وفي جميع المعاصي، ومنها هذه الفعل الشنيعة" (1).

ويقول الإمام الحجازي في تفسيره للآيات: "أرسل الله ﷺ لوطاً عليه السلام إلى أهل سدوم في قطاع الأردن، وكانوا قوماً ذوي خلق سيئ، وشرك بالله تعالى فقال لهم: فاتقوا الله بامتنال أوامره واجتتاب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به، وفيما أنهاكم عنه، وما أطلب منكم ثواباً على ما أبلغكم من ربي، ليس ثوابي إلا على الله رب المخلوقات، لا على غيره. كما أنكروا عليهم فعلتهم بقوله: أتأتون الذكران في أدبارهم، وتتركون ما أحله الله وأعداه لذلك وهو فروج أزواجكم قال تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 222]، ثم أخبرهم بأنهم قوم عادون ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي: متجاوزون الحدود المعقولة" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام البغوي للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل الإمام البغوي عن مقاتل ومجاهد وهما من التابعين، أما ابن كثير فلم يعتمد على التفسير بالمأثور، فهو لم يسلك منهج التفسير بالمأثور في هذا الموضوع.

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج 19 / 205-206

(2) التفسير الواضح، الحجازي، ج 2 / 769

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات:

– تلاحظ الباحثة أن الإمام الحجازي قد فسر القرآن بالقرآن، في حين أن الزحيلي لم يعتمد على شيء من ذلك عند تفسيره للآيات فقد فسر الآيات تفسيراً إجمالياً دون التطرق إلى المأثور، مع إمكانية التزامه حيث إن المفسر بالرأي يجب عليه أن يفسر بالمأثور أولاً إن أمكن ذلك وهذا من شروط المفسر بالرأي المحمود.

ثالثاً: موقف قوم لوط من دعوته:

كان موقف قوم لوط عليه السلام من دعوة نبيهم هو: الصد، والاستهزاء، والاستخفاف، والوعيد والتهديد، فهم لم يفعلوا ما فعلوه على استحياء وغفلة من الناس، بل أعلنوا في فاحشتهم، وظاهروا في باطلهم؛ استخفافاً بما جاءهم به لوط عليه السلام، واستهزاء بالقيم والفضائل والأخلاق.

وهو ما عبرت عنه الآيات الكريمة: قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:56]

وتحدوا عذاب الله واستهانوا به حيث تبجحوا وطلبوا من نبيهم أن يأتيهم بالعذاب الذي توعدهم به فقال تعالى على لسانهم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت:29]

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:82]

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام الطبري في تفسيره للآية: وما كان جواب قوم لوط عليه السلام لنبيهم، بعد أن وبخهم على فعلهم القبيح، وارتكابهم ما حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث، إلى أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً وأهله؛ ولذلك قيل: "أخرجوهم"، فجمع، وقد جرى قبل ذكر "لوط" وحده دون غيره.

وقد يحتمل أن يكون إنما جمع بمعنى: أخرجوا لوطاً ومن كان على دينه من قريبتكم فاكتفى بذكر لوط عليه السلام في أول الكلام عن ذكر أتباعه، ثم جمع في آخر الكلام. ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ ، أي: إن لوطاً ومن تبعه أناس ينتزهون عما فعله نحن من إتيان الرجال في

الأدبار، وعن مجاهد: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، قال: من أدبار الرجال وأدبار النساء، وعن قتادة: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، يقول: عابوهم بغير عيب، وذموهم بغير ذم (1).

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره للآية: "أي ما أجابوا لوطاً إلا أن هموا بإخراجه ونفيه ومن معه من بين أظهرهم، فأخرجه الله تعالى سالماً وأهلكهم في أرضهم صاعرين مُهَانِينَ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ قال قتادة: عابوهم بغير عيب، وذموهم بغير ذم. وقال مجاهد: إنهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء، وروي مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما" (2).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الواحدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ "يعني: لوطاً وأتباعه؛ لأنه قال في غير هذه السورة: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56]، أي: عن إتيان الرجال في أدبارهم، ذكره ابن عباس ومجاهد، وقاتادة. والعرب تقول: تطهير الرجل إذا تنزه عن الإثم وعماً يوقعه فيه، فمعنى قوله: ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: يتنزهون عما كانوا يأتونه من المناكير. قال أهل المعاني: هذه الآية بيان عن حال الجهال في ردهم على نبيهم أقبح جواب، واعتلالهم أفسد اعتلال حين جعلوا تنزههم عن الفاحشة سبباً للمباعدة، وهذا معنى قول قتادة: عابوهم والله بغير عيب" (3).

أما الإمام الشوكاني فيقول في تفسيره للآية الكريمة: "وما كان جواب قوم لوط عليه السلام الواقعين في الفاحشة على ما أنكره عليهم منها إلا أن قالوا أخرجوهم أي: لوطاً وأتباعه من قريبتكم أي: ما كان لهم جواب إلا هذا القول المبين للإنصاف المخالف لما طلبه منهم وأنكره عليهم، وجملة ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ تعليل لما أمروا به من الإخراج، ووصفهم بالتطهر يمكن أن يكون على حقيقته. وأنهم أرادوا أن هؤلاء يتنزهون عن الوقوع في هذه الفاحشة فلا يساكنونا في قريبتنا، ويحتمل أنهم قالوا ذلك على طريق السخرية والاستهزاء" (4).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 12 / 549 - 550 بتصرف

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 3 / 445

(3) التفسير البسيط، الواحدي، ج 9 / 220

(4) فتح القدير، الشوكاني، ج 2 / 253

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام الطبري وابن كثير للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل كلاهما، عن مجاهد وقتادة وهما من التابعين، كما نقل ابن كثير عن ابن عباس وهو من الصحابة، وبهذا يكون قد سلكا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- كما تلاحظ الباحثة أن الإمام الواحدي فسر بالمأثور حين استشهد بآية تفسيراً للآية، وكما نقل عن مجاهد وقتادة وهما من التابعين، وبهذا يتبين للباحثة أن الإمام الواحدي صاحب التفسير بالرأي قد سار على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة.

- أما الإمام الشوكاني فقد فسر الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبذلك يكون صاحب التفسير بالرأي الجامع بين الرواية والدراية لم يسلك المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور .

نهاية الصراع بين الحق والباطل في قصة لوط عليه السلام:

نَجَّى اللهُ سَبْحَانَهُ لُوطًا عليه السلام وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي لَحِقَ بِقَوْمِهِمْ، وَهَذِهِ هِيَ سُنَّةُ اللهِ ﷻ الْجَارِيَةُ فِي صِرَاعِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْفُضِيلَةِ وَالرَّذِيلَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ 83 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: 83-84]، كما اقتضت حكمة الله سبحانه أن تكون عقوبته العادلة للمجرمين متناسبة مع جرائمهم وقبائحهم، ويؤكد ذلك، أن قوم لوط عليه السلام حين قلبوا الأوضاع، أي الفطرة السليمة، وتركوا ما أحله الله تعالى لهم، وانغمسوا فيما حرمه سبحانه، كانت العقوبة متناسبة مع قبائحهم، حيث عاقبهم الله ﷻ بأن جعل الأعلى من قريتهم هو الأسفل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ﴾ [هود: 81-83]، وهذه الآيات هي التي سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة.

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام البغوي في تفسيره للآيات: " قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ عذابنا، ﴿ جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا ﴾ وذلك أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قرى قوم لوط المؤتفكات وهي خمس مدائن، وفيها أربعمئة ألف، وقيل: أربعة آلاف ألف، فرفع المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة، ونباح الكلاب، فلم يكفأ لهم إناء ولم ينتبه نائم، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها. ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا ﴾ أي على شذاذها ومسافريها. وقيل: بعدما قلبها أمطر عليها، حجارة من سجيل، قال قتادة وعكرمة: السجيل الطين، دليله قوله عليه السلام: ﴿ لِئُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ ﴾ [الذاريات: 33] وقال مجاهد: أولها حجر وآخرها طين، وقال الحسن: كان أصل الحجارة طينا فشددت. أما قوله ﴿ مَنضُودٍ ﴾ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: متتابع، يتبع بعضها بعضاً، وهو وضع الشيء بعضه فوق بعض. ﴿ مُسَوَّمَةٌ ﴾ قال قتادة وعكرمة: عليها خطوط حُمر على هيئة الجزع. وقيل: مكتوب على كل حجر اسم من رمي به. ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ ﴾ يعني: تلك الحجارة، ﴿ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: من مشركي مكة، ﴿ بَعِيدٍ ﴾ قال قتادة وعكرمة: يعني ظالمي هذه الأمة، والله ما أجار الله منها ظالماً بعد. وروي: أن الحجر اتبع شذاذهم ومسافريهم أينما كانوا في البلاد، ودخل رجل منهم الحرم فكان الحجر معلقاً في السماء أربعين يوماً حتى خرج فأصابه فأهلكه" (1).

ونكر الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: فلما جاء أمرنا بإهلاك قوم لوط صيرنا عالي قراهم، وهي سدوم سافلها، كقوله: ﴿ فَعَشَّاهَا مَا عَشَّى ﴾ [النجم: 54] ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ أي حجارة من طين، قاله ابن عباس وغيره. وقد قاله في الآية الأخرى: ﴿ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ [الذاريات: 33] أي مستحجرة قوية شديدة، وقال بعضهم: مشوية، وقال البخاري: (2) ﴿ سِجِّيلٍ ﴾: الشديد الكبير، سجيل وسجين اللام والنون أختان، وقوله: " مَنضُودٍ " قال بعضهم: منضودة في السماء أي معدة لذلك. وقال آخرون: ﴿ مَنضُودٍ ﴾ أي يتبع بعضهم بعضاً في نزولها عليهم، وقوله: ﴿ مُسَوَّمَةٌ ﴾ أي معلمة كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه، فبينما أحدهم يكون عند الناس يتحدث، إذ جاءه حجر من السماء فسقط عليه من بين الناس فدمره، فنتبعهم الحجارة من سائر البلاد حتى أهلكتهم عن آخرهم، فلم يبق منهم أحد، وقال مجاهد: أخذ جبريل قوم لوط من سرهم ودورهم، وحملهم بمواشيهم وأمتعتهم ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم كفأها؛ وكان حملهم على خوافي جناحه الأيمن؛ ولما قلبها كان أول ما سقط منها

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج 4 / 193

(2) صحيح البخاري، البخاري، ج 6/73، رقم الحديث: 4684

شرفاتها. ومن لم يمت حتى سقط للأرض أمر الله عليه وهو تحت الأرض الحجارة، ومن كان منهم شاداً في الأرض يتبعهم في القرى، فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله؛ فذلك قوله ﷻ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: 84] أي في القرى حجارة من سجيل، وقوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي وما هذه النعمة ممن تشبه بهم في ظلمهم ببعيد عنه(1).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام أبو زهرة في تفسيره للآيات: "فلما جاء وقت العذاب الذي قدرناه وقضينا به، جعلنا عالي القرية التي كان يعيش فيها قوم لوط سافلها، فقلبناها، وأمطرنا عليهم في أثناء ذلك حجارة من طين حمى بالنار حتى تحجّر ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ أي معلّمة كل حجر معلّم عليه إشارة العذاب، ونرى أنه شبّهت الحجارة التي نزلت متتابعة بالمطر الذي ظنوا فيه غيثاً فإذا هو العذاب الأليم.

وأشار سبحانه إلى أن ذلك قريب من مشركي مكة لشركهم وكفرهم وعنادهم للنبي ﷺ ولذا ختم الله تعالى قصة صالح وthumb بقوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي أن ذلك ليس ببعيد عن كفار مكة، وأنه يترقبهم مثله إن لم يؤمنوا، وأن في قصص thumb وعاد وقوم نوح لعبرة لأولي الأبصار"(2).

وقال الإمام طنطاوي في تفسيره للآيات: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ "بإهلاك هؤلاء القوم

المفسدين، جعلنا أعلى بيوتهم أسفلها، بأن قلبناها عليهم، وهي عقوبة مناسبة لجريمتهم حيث قلبوا فطرتهم، فأتوا الذكران من العالمين وتركوا ما خلق لهم ربهم من أزواجهم، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ أي: من حجر وطين مختلط، قد تحجّر وتصلب ﴿مَنْضُودٍ﴾ أي: متتابع في النزول بدون انقطاع موضوع بعض على بعض، ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: معلّمة بعلامات من عند ربك لا يعلمها إلا هو، ومعدة إعداداً خاصاً لإهلاك هؤلاء القوم، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي: تلك القرى المهلكة من مشركي مكة ببعيد، بل هي قريبة منهم، ويمرون عليها في أسفارهم إلى الشام. قال تعالى: ﴿وَإِنكُمْ لَنَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: 138].

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 4 / 340 بتصريف يسير

(2) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج 7 / 3737

والمراد بالظالمين يشمل قوم لوط عليه السلام، ويشمل كل من عصى الله تعالى وتجاوز حدوده، ولم يتبع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. وهكذا كانت نهاية قوم لوط عليه السلام، فقد انطوت صفحاتهم كما انطوت من قبلهم صفحات قوم نوح وهود وصالح عليهم الصلاة والسلام" (1).

**مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيتين:
منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآيتين:**

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام البغوي وابن كثير للآيتين: أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل الإمام البغوي عن ابن عباس وهو من الصحابة، وقتادة وعكرمة وهما من التابعين، كما فسر ابن كثير بالقرآن، وبهذا يكون قد سلكا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيتين:

– كما تلاحظ الباحثة أن الإمام سيد طنطاوي فسر بالمأثور أيضاً حين استشهد بآية تفسيراً للآية، وبهذا يتبين للباحثة أن الإمام سيد طنطاوي صاحب التفسير بالرأي قد سار على المنهج الصحيح وذلك بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة.

– أما الإمام أبو زهرة فقد فسر الآيتين تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبذلك يكون أبو زهرة لم يسلك المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

المطلب السادس:

الصراع بين شعيب عليه السلام وقومه.

أولاً: نسب شعيب عليه السلام :

قبل الحديث عن طبيعة الصراع بين شعيب عليه السلام وقومه وما آلت إليه الأمور بينهم ترى الباحثة أن نتحدث بإيجاز عن نسب هذا النبي الكريم.

قال الإمام الثعلبي: "قال قتادة: هو شعيب بن نويب وقال عطاء: هو شعيب بن توبة بن مدين ابن إبراهيم، وقال الإمام البخاري: هو شعيب بن ميكيل بن إسحاق بن مدين بن إبراهيم عليه السلام" (2).

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، ج7/ 252-253

(2) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ج4/ 260

وقال الإمام ابن كثير: "قال الإمام البخاري: هم من سلالة مدين بن إبراهيم". وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر، واسمه بالسريانية: يثرون" (1).

وقال الإمام الرازي: "هو شعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن، وأمه ميكايل بنت لوط عليه السلام" (2).

وقال الإمام أبو السعود: هو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين، وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه (3).

يتضح للباحثة أن القرآن الكريم ذكر قصص أنبياء الله تعالى، ولم يتطرق إلى تفاصيل أنساب الأنبياء عليهم السلام، فهذا نبي الله تعالى شعيب عليه السلام قد ذكر اسمه في القرآن الكريم صراحة في عشرة مواضع، وفي جميع المواضع التي ذكر فيها لم يذكر نسبه، بل ذكر أنه من قبيلة مدين التي بعث إليها، قال تعالى: ﴿وَأَلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ [الأعراف: 85].

المقارنة بين التفاسير بالمأثور والرأي المحمود عند ذكرهم لنسب شعيب عليه السلام:

تلاحظ الباحثة أن رواية الإمام الثعلبي أخذت طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل الإمام الثعلبي عن قتادة وعطاء وهما من التابعين في حين أن كلاً من ابن كثير والرازي وأبي السعود لم يعتمد أي منهم على شيء من ذلك عند الحديث عن نسب نبي الله شعيب عليه السلام.

ثانياً: دعوة شعيب عليه السلام لقومه:

أرسل الله صلى الله عليه وسلم شعيباً عليه السلام إلى أهل مدين (4)، وكانوا قوماً مشركين بالله تعالى، ويتلاعبون بالكيل والميزان، ويقطعون الطريق، فدعاهم شعيب عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3/ 446

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، ج14/ 313

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، ج 4/ 231

(4) مدين على بحر القلزم محاذية لتبوك، ومدين أكبر من تبوك وبها البئر التي استسقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب، وهي مدينة شعيب عليه السلام. انظر: صورة الأرض، أبو القاسم، ج1/ 32، آكام

المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، المنجم، ص: 91

له، ونبذ عبادة الأصنام، وترك المنكرات، قال تعالى: كما أمرهم شعيب عليه السلام بالمعروف ونهاهم عن المنكر قال تعالى: ﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُّفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ * ... قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 89 - 90].

والقرآن الكريم يذكر قوم شعيب تارة باسم مدين وتارة باسم أصحاب الأيكة، والمرجح أن مدين وأصحاب الأيكة (1) اسمان لأمة واحدة، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُّفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحِيلَةَ الْأُولَىٰ﴾ [الشعراء: 183 - 184]

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة آيات سورة الأعراف والتي تتحدث عن دعوة نبي الله شعيب عليه السلام لقومه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ 85 وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَفَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ 86 وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ 87﴾ [الأعراف: 85-87]

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام البغوي في تفسيره للآيات: ﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أي وأرسلنا إلى ولد مدين وهو مدين بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، وهم أصحاب الأيكة: أخاهم شعيباً في

(1) الأيكة الشجر الملتف، المفردات في غريب القرآن، الأصبهاني، ص98

النسب لا في الدين. وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكان قومه أهل كفر ويخس للمكيال والميزان، فأمرهم بعبادة الله تعالى، فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ولم تكن لهم آية؟ قيل: قد كانت لهم آية إلا أنها لم تذكر، وليست كل الآيات المذكورة في القرآن، وقيل: أراد بالبينة مجيء شعيب عليه السلام. ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أتموا الكيل ولا تظلموا الناس؛ بعدم إعطائهم حقوقهم ولا تنقصوهم إياها، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ أي: لا تفسدوا في الأرض بالكفر وارتنكاب المعاصي بعد إصلاحها ببعثة الأنبياء من قبل، ذلك المذكور خير لكم وأنفع إن كنتم مصدقين بما أقول. ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ولا تقعدوا بكل طريق تهددون من سلته من الناس لتسلبوا أموالهم، وتصدوا عن دين الله من أراد الاهتداء به، ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ زيغاً، وقيل: تطلبون الاعوجاج في الدين والعدول عن القصد، وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيقولون لمن يريد الإيمان بشعيب عليه السلام، إن شعيباً كذاب فلا يفتنك عن دينك وبتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم، ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾ فكثر عددكم، وتأملوا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض من قبلكم، فإن عاقبتهم كانت الهلاك والدمار. ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ أي: إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين كاذبين ومصدقين، فانظروا حتى يحكم الله بين الفريقين بتعذيب المكذابين وإنجاء المصدقين، وهو خير الحاكمين (1).

أما الإمام ابن كثير ففسر الآيات: ﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ مدين من سلالة مدين ابن إبراهيم عليه السلام، ومدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة، وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: 23] وهم أصحاب الأيكة، ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وهذه دعوة الرسل كلهم، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي قد أقام الله الحجج والبيانات على صدق ما جئتم به، ثم وعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا المكيال والميزان ولا يبخسوا الناس أشياءهم، أي لا يخونوا الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه البخس، وهو نقص المكيال والميزان خفية وتدليساً، كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1] وهذا تهديد شديد ووعد أكيد، نسأل الله العافية منه، ثم قال تعالى إخباراً عن شعيب الذي يقال له خطيب الأنبياء؛ لفصاحة عبارته وجزالة مواظمه. كما نهاهم شعيب عليه السلام عن قطع الطريق الحسي والمعنوي ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج3/ 256-257 بتصرف

ثُوْعِدُونَ» أي تتوعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم، قال السدي : كانوا عشارين (1)، وقال ابن عباس ومجاهد: أي تتوعدون المؤمنين الآتين إلى شعيب ليتبعوه، والأول أظهر، لأنه قال : ﴿بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ وهو الطريق، وهذا الثاني هو قوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي وتودون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة، واذكروا نعمة الله عليكم لتشكروها له، فقد كان عددكم قليلاً فكثرتم، وتأملوا كيف كان عاقبة المفسدين من الأمم الخالية والقرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسله، وقوله: ﴿وَإِنْ كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾ أي قد اختلفتم علي ﴿فَاصْبِرُوا﴾ أي انتظروا ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أي حتى يحكم الله بين الفريقين وهو خير الحاكمين، فإنه سيجعل العاقبة للمتقين، والدمار على الكافرين (2).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

ذكر الإمام الحجازي في تفسيره للآيات: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا...﴾ لقد أرسلنا إلى قبيلة مدين شعيباً نبياً منهم، وهو من أشرفهم، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، ما لكم من إله غيره، وهو الذي خلقكم وخلق كل شيء لأجلكم. قد جاءتكم بينة من ربكم، وآية دالة على صدقي، فأوفوا الكيل والميزان في مبادلاتكم، ونهاهم عن نقص الناس شيئاً من حقوقهم بعد الأمر بعبادة الله مباشرة وذلك لأن هذه الخصلة كانت فاشية فيهم، كما فشت في قوم لوط عليه السلام الفاحشة، فقد كانوا من المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس وأخذوا حقهم يستوفون، وإذا كالوهم وباعوا إليهم شيئاً ينقصون ويبخسون، وهذا مرض نفسي وداء إذا نفشى في أمة قضى عليها وأزال ملكها وعزها.

ويواصل شعيب عليه السلام نصحهم فيقول: يا قوم لا تفسدوا في الأرض بأي نوع من أنواع الفساد، كالظلم والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل، وارتكاب الإثم والفواحش، وإفساد المجتمع بشيوع الانحلال الخلقي. فلا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، وقد أصلحها الله بما فطر الناس على حب الخير، وبما أودع فيهم من الميل إلى الرشاد، وبما أرسل فيهم من الرسل والهداة والمرشدين.

(1) العشارون: هم الذين يأخذون المكوس والضرائب من الناس، وكانوا يأخذون عُشْرَ أموالهم ولذا سماوا

بالعشارين. انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة عشر ج/4 568

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 3/ 446-447 بتصرف يسير

وذلك الذي أمرتكم به ونهيتكم عنه هو خير لكم في الدنيا والآخرة، إن كنتم مؤمنين حقا بي وبرسالتى، وهكذا العلم وحده لا ينفع في قمع النفس وردّها عن الشر بل لا بد معه من إيمان قلبي وتصديق روحي خالص، ومخالفة للنفس والهوى. وإياكم أن تقعدوا في الطرقات لصد الناس عن دين الله تعالى وتخوفونهم عاقبته، وتعدونهم بالشر إن آمنوا وقد كانت قريش تفعل ذلك، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : ولا تطلبوا اعوجاجا لسبيل الله ودينه، بما تصفون وبما تكذبون وبما تشوهون الحقائق، وتفترون على الله الكذب.

كما ذكرهم شعيب عليه السلام بنعم الله عليهم وقت أن كانوا قلة في المال والرجال والسطوة فبارك فيهم، وزاد مالهم ونما، وكثر عددهم وربا، مع الجاه والقوة، وانظروا نظرة عبرة وعظة كيف كان عاقبة المفسدين الظالمين من قوم عاد وثمود وقوم لوط.

وإن كان جماعة منكم آمنوا بما جئت به من ربي، وجماعة أخرى لم يؤمنوا بذلك فانظروا أيها المكذبون بما يفصل الله بينكم وهو خير من يفصل وأعدل من يقضي (1).

ونكر الإمام الزحيلي في تفسيره للآيات: أرسل الله تعالى شعيباً الملقب بخطيب الأنبياء عليه السلام، وهو من أنبياء العرب إلى بلد أو قطر مدين، وتميزت رسالته الإصلاحية الاجتماعية بمميزات كثيرة، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، فليس لكم إله غيره، وهو الذي خلقكم وخلق كل شيء لأجلكم، وهم أصحاب الأيكة في رأي ابن كثير.

قد جاءكم برهان من الله واضح، وحجة جلية على صدق ما جئتكم به من ربي، فأوفوا الكيل والميزان بالحق والعدل، ولا تنتقصوا الناس شيئاً من حقوقهم، في بيع أو شراء، أو حق مادي أو معنوي، وإياكم أن تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها بأي نوع من أنواع الفساد كالظلم والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل وارتكاب الفواحش وإشاعة الانحلال الخلقي، ذلك المذكور خير لكم وأنفع بشرط الإيمان والتوحيد، وإلا فلا ينفع عمل بدون إيمان.

وإياكم أن تقعدوا في الطرقات لصد الناس عن دين الله تعالى، فإنهم كما قال ابن عباس: كانوا يجلسون في الطريق، فيقولون لمن أتى إليهم: إن شعيباً كذاب، فلا يفتنكم عن دينكم، ويقولون أيضاً: ﴿لَيْنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:90].

(1) التفسير الواضح، الحجازي، ج1/ 737-738 بتصرف يسير

كما ذكرهم شعيب عليه السلام بنعم الله عليهم حين كانوا قلة في المال والرجال والسطوة، فكثروهم بعد قلة، وأغناهم بعد فقر، ومنحهم القوة والجاه بعد الضعف والمذلة، كما طلب منهم الاتعاظ بمن كان قبلهم، من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط .

وإذا كان جماعة منكم آمنوا برسالتي وصدقوا بنبوتي، واعتقدوا بوحداية الله تعالى، وجماعة آخرون لم يؤمنوا برسالتي، كما هو شأن أتباع كل نبي، إن كان هذا فاصبروا أيها الكفرة حتى يحكم الله بيني وبينكم، بأن ينصر المحقين على المبطلين، والله خير الحاكمين بالعدل، وهذا تهديد ووعد لهم بانتقام الله عز وجل منهم، وجعله العاقبة للمتقين والدمار للكافرين لأن حكم الله حق وعدل، لا يخاف فيه الجور أو الظلم⁽¹⁾.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

- من خلال ما تقدم تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام ابن كثير أخذ طابع التفسير بالمأثور حيث نقل عن الصحابة والتابعين، أما البغوي فلم يأخذ بالتفسير بالمأثور عند تفسيره للآية وإنما فسر الآية تفسيراً إجمالياً، وبذلك فهو لم يسلك المنهج الصحيح للتفسير بالمأثور في هذا الموضوع.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام الزحيلي قد فسر القرآن بالقرآن، وبهذا يكون صاحب التفسير بالرأي قد سار على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة.

أما الإمام الحجازي فقد فسر الآية بقول ابن عباس رضي الله عنهما.

ثالثاً: موقف قوم شعيب عليه السلام من دعوته :

لقد سلك قوم مدين طريق البغي والضلال فراحوا مع هذه الأعمال المشينة يشركون بالله تعالى ويتوعدون شعيباً والذين آمنوا معه بالعذاب والطرده من قريتهم، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج1/ 691 بتصرف يسير

وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ * وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَبِئْسَ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّا كُنَّا إِذَا لَحَّا سِرُونَ ﴿ [الأعراف: 88-90]

كما استهزؤوا بدعوته قائلين له كما أخبرنا القرآن عنهم: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: 87]

واتهموه بالضعف في منطقهم، وعدم فهم دعوته وهددوه في الرجم بالحجارة، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: 91]، كما رموه بما هو بريء منه وذلك بإتهامه بالكذب وبأنه مسحور، كما استعجلوا العذاب وفي ذلك يقول الله تعالى عنهم: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّلُكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء: 185 - 187].

وهذه الآيات هي التي سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة:

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ...﴾ قالوا: إنما أنت يا شعيب إلا واحد منا مساوٍ لنا في البشرية تأكل وتشرب، فكيف تتميز علينا بالرسالة، وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا إليه، إلا ممن يكذب فيما يقول، فإن كنت صادقاً فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعني قطعاً من السماء، وهي جمع كسفة، جمع كذلك كما تجمع تمرة: تمرًا. قال ابن عباس، كسفاً أي: قطعاً⁽¹⁾.

قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: "يخبر تعالى عن جواب قوم شعيب عليه السلام، وهو يمثل ما أجابت به ثمود لرسولها تشابهت قلوبهم حيث قالوا: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ يعنون من المسحورين، وتتعمد الكذب فيما تقوله لا أن الله ﷻ أرسلك إلينا، ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال قتادة: قطعاً من السماء، وقال السدي: عذاباً من السماء، وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر الله عنهم في قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتُمْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِئِهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: 92]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 19 / 391-393

مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال : 32]، وهكذا قال هؤلاء الكفار الجهلة فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء: 187]" (1).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

ذكر الإمام الشعراوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ...﴾ استمع قوم شعيب عليه السلام إلى النصائح الحكيمة، ولكن لم يتأثروا بها، بل اتهموا نبيهم في عقله وفي صدقه، وَتَحَدَّوه في رسالته فقالوا كما حكى القرآن عنهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ مُسْحَرٌ: أي سحره غيره، وهي صيغة مبالغة للدلالة على حدوث السحر ووقوعه عليه أكثر من مرة، فلو سُحِرَ مرة واحدة لَقُلْنَا: مسحور والمعنى: أنك مختلُّ العقل والتفكير، مجنون، لن نسمع لك وما دُمت أنت بشراً مثلنا، ولم تتميز عنَّا بشيء، فكيف تكون رسولا؟ وما نَظُنُّكَ إلا كذاباً، كالذين سبقوك أي: إن كنت صادقاً ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ يطلبون العذاب ويستعجلونه، كما قال سبحانه: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّكَ عَنِ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأحقاف: 22] .

ومن العجيب حين ينزل بهم العذاب يقولون انظرونا، كيف وأنتم الذين استعجلتم العذاب؟ ومعنى ﴿كِسْفًا﴾ مفردتها كِسْفَةٌ، مثل قِطْعٍ وقِطْعَةٌ، وقد وردت هذه الكلمة على السنة كثير من المكذِّبين، وقالها الكفار للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِلِأَلِ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء: 90-92] (2).

أما الإمام الزحيلي فيقول في تفسيره للآيات: "طعن قوم شعيب عليه السلام برسالة نبيهم قائلين: كما قال قوم صالح لنبيهم: إنما أنت من المغلوب على عقولهم، المسحور المخبول، فلا يُسمعُ قولك ولا لِنُصْحِكَ، ويغلب على الظن أنك تتعمد الكذب، ولست رسولا من عند الله تعالى، وإنما أنت بشر مثلنا لا ميزة لك علينا. ثم استخفوا بالتهديد، مطالبين بقولهم: إن كنت صادقاً في تهديدك ووعيدك لنا بالعذاب، فأنزل علينا قطعاً من السحاب، فيها نوازل العذاب" (3).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6/ 160

(2) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج 17 / 10677-10678 بتصرف

(3) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج 2 / 1851

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين الطبري وابن كثير للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسر الطبري بقول الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، أما ابن كثير ففسر الآية بقول التابعي قتادة رضي الله عنه وهذا ينسجم مع منهجهما في السير على التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام الشعراوي قد فسر القرآن بالقرآن، وبذلك يكون الشعراوي قد التزم بقواعد التفسير بالرأي المحمود الذي يقوم على التفسير بالمأثور أولاً.
- أما الزحيلي فقد فسر الآيات بالرأي المحمود دون التطرق إلى المأثور مع أن التفسير بالرأي المحمود يعتمد أولاً على التفسير بالمأثور إن أمكن، وبذلك يكون الزحيلي لم يسلك المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود.

رابعاً: نهاية الصراع بين شعيب رضي الله عنه وقومه:

بعد المحاولات والمجادلات التي تمت بين شعيب رضي الله عنه وقومه جاءت الخاتمة التي تؤكد نجاة أهل الحق، وخسارة أهل الباطل وهلاكهم، وهذه هي نهاية كل من انحرف عن الحق واتبع هواه. والناظر في كيفية عذاب قوم شعيب يرى أن القرآن الكريم ذكر صفة عذابهم بثلاثة ألفاظ ففي سورة الأعراف وصف بالرجفة، قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: 91-93]

وأما في سورة الشعراء فوصف بالظلة، قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابَ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: 190].

وأما في سورة هود والحجر فوصف عذابهم بالصيحة، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴾ [هود: 94-95]

وهذه الآيات هي التي سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة.

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام البغوي في تفسيره للآيات: "ولما وقع أمرنا بعذاب قوم مدين، نجينا شعبياً والذين آمنوا معه من العذاب والهلاك، وكانت نجاتهم بسبب رحمة منا لهم، وأخذت الظالمين من أهل مدين الصيحة، والرجفة المهلكة، قيل: إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم، وقيل: أنتهم صيحة من السماء فأهلكتهم، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾ ميتين، فانتهى أمرهم وزالت آثارهم، كأنهم لم يقيموا في ديارهم، ألا هلاكاً لمدين، وبعداً من رحمة الله كما بعدت ثمود من قبلهم" (1).

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: "يخبر الله تعالى عن نهاية مدين ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ 94﴾ أي: هامدين لا حراك بهم. ذكر في هذا الموضع من سورة هود أنها أنتهم صيحة، وفي الأعراف رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة، اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لما قالوا: ﴿لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾ [الأعراف:88]، ناسب أن يذكر هناك الرجفة، فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها، وأرادوا إخراج نبيهم منها، وهاهنا لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ناسب ذكر الصيحة التي أسكتتهم وأخمدتهم، وفي الشعراء لما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء:189]، قال ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:189]، وهذا من الأسرار الغريبة الدقيقة، فأصبح حالهم كأن لم يقيموا فيها من قبل، ألا طردت مدين من رحمة الله ﷻ بحلول نقمته عليهم، كما طردت منها ثمود بإنزال سخط الله عليهم" (2).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام المراغي في تفسيره للآيات: "أي ولما جاء أمرنا بعذاب مدين نجينا رسولنا شعبياً والذين آمنوا به وصدقوه فيما جاءهم به من عند ربهم برحمة خاصة بهم. ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾ أي: وأخذت أولئك الظالمين بسبب ظلمهم صيحة العذاب كالتي أخذت ثمود فأصبحوا جميعاً باركين على ركبهم مكبين على وجوههم في ديارهم،

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج 4 / 197

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 4 / 347

كانهم لم يقيموا في الأرض متصرفين في أطرافها متقلبين في أكنافها. ثم دعا عليهم بالهلاك فقال: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ أي هلاكاً لهم وبعداً من رحمة الله كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته بإنزال سخطه بهم.

والخلاصة: إن الله ﷻ أرسل على كل من ثمود ومدين صاعقة ذات صوت شديد فرجفت أرضها، وزلزلت من شدتها، وخرروا ميتين، وكانت صاعقتها أشد من الصاعقة التي أخذت بنى إسرائيل حين قالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: 153]، وقد أحياهم الله عقبها، لأن هذه تربية لقوم نبي في حضرته، وتلك صاعقة كانت عذاب خزي لمشركين ظالمين معاندين أنجى الله نبي كل منهما ومؤمنيها قبلها" (1).

وقال الإمام أبو زهرة في تفسيره للآيات: "﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ...﴾ أي ما قدرناه لهم عقاباً في الدنيا، وكانوا يستعجلون به ثم ذكر سبحانه وتعالى أمره بعد أن نجى شعبياً والذين آمنوا برحمة من الله ﷻ، وكانت رحمته في أن هداهم إلى الإيمان وأن أبعدهم عن العذاب، وفي أنه يستقبلهم النعيم المقيم يوم القيامة. ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ وأظهر في موضع الإضمار لبيان أن ما أنزل بهم من العذاب سببه الظلم بالشرك والظلم بنقص المكيال والميزان، والظلم بمنع الناس حقوقهم، وبخسهم حظوظهم، والصيحة تبعثها رجة في الأرض ماتوا بها، ولذا قال ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾، أي ميتين. وجائمون ملازمون أماكنهم لا يستطيعون حراكاً؛ لأن الموت الدايم أفقدهم الحركة. وانتهى أمرهم وزالت آثارهم، كأنهم لم يقيموا في ديارهم، وهذا يشير إلى أن متعة الدنيا إلى وقتنا هذا لا بقاء منها لشيء، ألا بعداً وطرذاً من رحمة الله تعالى، وهلاكاً لمدين، كما بعدت ثمود وهلكت (2).

وبهذا طويت صفحة سوداء من صفحات التاريخ، تاريخ الأمم المكذبة التي كابرت واغترت بعلمها وقوتها ورأيها، فلم تسمع لوعظ الأنبياء ولم ترهب من رب الأرض والسماء، فكانت العاقبة أليمة والرجفة شديدة، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، فيا لسعادة من آمن مع نبي الله شعيب عليه السلام ويا لتعاسة من صدَّ عن سبيل الله تعالى.

(1) تفسير المراغي، المراغي، ج 12 / 77

(2) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج 7 / 3745

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج صاحبي التفسير بالمأثور في تفسيرهما للآيات:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام ابن كثير والمراغي للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسرا القرآن بالقرآن، وهذا يدل على أن هذين المفسرين قد التزما بالمنهج الصحيح، للتفسير بالمأثور.

منهج صاحبي التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهما للآيات:

– تلاحظ الباحثة أن الإمامين البغوي والشعراوي قد فسرا الآيات تفسيراً إجمالياً دون التطرق إلى المأثور مع أن التفسير بالرأي المحمود يعتمد أولاً على التفسير بالمأثور إن أمكن، وبذلك يكون كل من البغوي والشعراوي لم يسلك المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

المطلب السابع:

الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون وملئه

قبل الحديث عن طبيعة الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون وملئه وما آلت إليه الأمور بينهم ترى الباحثة أن نتحدث بإيجاز عن نسب هذا النبي الكريم.

أولاً: نسب موسى عليه السلام وبعثته:

فعن نسبه قال الإمام الطبري: "هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله تعالى" (1).

وقال الإمام الثعلبي: "هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب" (2).

وقال الإمام النيسابوري: هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام (3).

وقال الإمام الرازي: هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام (4).

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 61/2

(2) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ج 1/195

(3) غرائب القرآن ورفائب الفرقان، النيسابوري، ج 1/407

(4) مفاتيح الغيب، الرازي، ج 3/510

يتضح للباحثة أن القرآن الكريم ذكر قصص أنبياء الله تعالى، ولم يتطرق إلى تفاصيل أنسابهم فهذا نبي الله موسى عليه السلام قد ذكر اسمه في القرآن الكريم صراحة مائة وستاً وثلاثون مرة، وفي جميع المواضع التي ذكر فيها لم يذكر نسبه، وهو أحد أولي العزم من الرسل، اصطفاه الله ﷻ برسالاته وبكلامه، وخصه من دون الرسل بأن كلمه تكليماً قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: 253].

ثانياً: دعوة موسى عليه السلام لفرعون وملئه:

لما أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى أرسله إلى فرعون قائلاً: ﴿اذهب إلى فرعون إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: 24]. فطلب موسى من ربه سبحانه وتعالى أن يعينه بأخيه هارون، فاستجاب الله له وأشركه معه، ووجه الأمر إليهما معاً بقوله: ﴿اذهبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: 43]. وكان الهدف من الرسالة يتمثل في أمرين: الأول: الدعوة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وتوحيده، وبدل على ذلك قوله: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ [النازعات: 18]. والثاني: أن يطلق بني إسرائيل لعبادة الله سبحانه وتعالى، وبدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: 16، 17]. وفي موضع آخر: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: 47، 48].

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿اذهب أنت وأخوك بإياتي ولا تنيا في ذكري 42 اذهبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه: 42-47].

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: اذهب يا موسى أنت وأخوك إلى فرعون وملئه إنه طغى وجاوز الحد المعقول في الشرك بالله، وتعذيب بني إسرائيل وقوله: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ قال ابن عباس: لا تبطنأ، وقال مجاهد عن ابن عباس: لا تضعفا، والمراد أنهما لا يفتران في ذكر الله بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه، وقوة لهما وسلطاناً كاسراً له، وقوله: ﴿اذهبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ أي تمرد وعتا، وتجبر على الله

وعصاه، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ وهذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهي أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفة الله من خلقه، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، وعن الحسن البصري ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أعذر إليه، قولا له : إن لك رباً ولك معاداً، وإن بين يديك جنة وناراً، والحاصل من أقوالهم أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين سهل رقيق، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : 125]، وقوله: ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ أي لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة، أو يخشى أي يوجد طاعة من خشية ربه.

ويقول تعالى إخباراً عن موسى وهارون عليهما السلام : أنهما قالوا مستجيرين بالله تعالى شاكيين إليه ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ يعنيان أن يبادر ويسارع إليهما بعقوبة، أو يعتدي عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك، ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ أي لا تخافا منه فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى علي من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا ينتفس ولا يببطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكم بحفظي ونصري، وتأبيدي. ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: مكثا على بابه حيناً لا يؤذن لهما، حتى أذن لهما بعد حجاب شديد. وقوله ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي بدلالة ومعجزة من ربك، والسلام عليك إن اتبعت الهدى (1).

ويقول الإمام السمرقندي في تفسير الآيات: "أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى وأرسله إلى فرعون قائلاً: اذهب يا موسى أنت وأخوك إلى حيث أمركما بآياتي التسع، ولا تفترا (2)،

ولا تضعفا ولا تعجزا عن أداء رسالتي، اذهبا إلى فرعون لتبلغاه دعوتي، ولتأمره بعبادتي، فإنه قد طغى أي تكبر وعلا، ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾، يعني: كلاماً باللين والشفقة والرفق، لأن الرؤساء بكلام اللين أقرب إلى الانقياد من الكلام العنيف. أي: قولا له: أيها الملك، ويقال: فقولا له قولاً ليئناً لوجوب حقه عليك بما رباك، وإن كان كافراً. وقوله: ﴿لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ أي: يتعظ أو يسلم، قال بعض الحكماء: إذا أردت أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، فعليك باللين لأنك لست بأفضل من موسى وهارون، ولا الذي تأمره بالمعروف بأسوأ من فرعون، وقد أمرهما الله

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج5/ 294 بتصرف

(2) فتر ففتر ففورا: لأن بعد شدة، أو سكتن بعد جدّة ونشاط، انظر: المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون، مادة

تعالى بأن يأمره باللين، فأنت أولى أن تأمر وتتهى باللين. فقال موسى وهارون عليهم السلام: إننا نخاف أن يبادر بعقوبتنا، أو أن يتجاوز الحد في ظلمنا بالقتل أو غيره. فقال الله لهما: لا تخافا؛ إنني معكما بالنصر والتأييد، أسمع وأرى ما يحدث بينكما وبينه، ثم قال ﷻ: فأتياه، يعني: فاذهبا إلى فرعون، فقولاً إنا رسولا ربك.

ثم قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبُهُمْ﴾، يعني: لا تستعبدهم. ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾، يعني: باليد والعصا. والسلام على من طلب الحق ورغب في الإسلام. قال الزجاج: إن من اتبع الهدى، فقد سلم من عذاب الله عز وجل وسخطه⁽¹⁾.

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الخازن في تفسيره للآيات: اذهب يا موسى أنت وأخوك هارون بآياتي الدالة على ألوهيتي وكمال قدرتي وصدق رسالتك، أي داريه وارفقا به. قال ابن عباس: لا تعنفا في قولكما، وكان هارون بمصر فأمر الله موسى أن يأتي هارون وأوحى الله إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه إلى مرحلة وأخبره بما أوحى إليه. وقوله تعالى: لعله يتذكر أو يخشى أي يتعظ ويخاف ويسلم فإن قلت كيف قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم. قلت معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما، وقيل هو إلزام الحجة وقطع المعذرة كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلُكُنَّاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَّذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: 134] قال ابن عباس: يعجل علينا بالقتل والعقوبة أو أن يطغى أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ وقال ابن عباس: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنع لست بغافل عنكما فلا تهتما، ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ يا فرعون فابعث معنا بني إسرائيل، ولا تعذبهم بقتل أبنائهم، واستحياء نسائهم، قد أتيناك ببرهان من ربك على صدقنا، والأمان من عذاب الله لمن آمن، واتبع هدى الله تعالى⁽²⁾.

ويقول الإمام السعدي في تفسيره للآيات: "امتن الله على موسى ﷺ بما امتن به، من النعم الدينية والدنيوية قال له: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾ هارون ﴿بِآيَاتِي﴾ أي: الآيات التي مني، الدالة على الحق وحسنه، وقبح الباطل، كاليد، والعصا ونحوها، قال تعالى: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج 2 / 400-401

(2) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج 3 / 205-206

فَرَعُونَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿النمل:12﴾، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا فِي دِينِكُمْ﴾ أي: لا تقفروا، ولا تكسلا عن مداومة ذكرى بل استمرا عليه، والزماء كما وعدتما بذلك ﴿كَيْ تَسْبَحَكَ كَثِيرًا وَتَذُكَّرَكَ كَثِيرًا﴾ فإن ذكر الله فيه معونة على جميع الأمور، يسهلها، ويخفف حملها. ويأمرهما الله ﷻ بقوله: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ أي: جاوز الحد، في كفره وطغيانه، وظلمه وعدوانه. ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ أي: سهلاً لطيفاً، برفق ولين، رجاء أن يتذكر، ويخاف الله فيتوب. وقد فُسر القول اللين في قوله: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات:18-19].

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَمْرُطَ عَلَيْنَا﴾ أي يبادرنا بالعقوبة والإيقاع بنا قبل أن نُبلغه رسالاتك ويُقيم عليه الحجة ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ أي يتمرد عن الحق ويَطغى بملكه وسلطانه وجنده وأعدائه، فطمأنهما الله بقوله: لا تخافا فرعون، إنني معكما بالرعاية والحفظ، سميع لما يقول، مبصر لما يفعل، فلا أمكنه من إيدائكما. فأتياه بهذين الأمرين، دعوته إلى الإسلام، وتخليص هذا الشعب الشريف بني إسرائيل من قيده وتعبيده لهم، ليتحرروا ويملكوا أمرهم، ويقوم فيهم موسى ﷺ شرع الله ودينه. ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ تدل على صدقنا ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّاطِرِينَ﴾ [الأعراف:107-108] ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ أي من اتبع الصراط المستقيم واهتدى بالشرع المبين حصلت له السلامة في الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام ابن كثير للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسر القرآن بالقرآن، كما أخذ عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو من الصحابة، وبهذا يكون قد سلك منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجه العام وهو التفسير بالمأثور، في حين أن الإمام السمرقندي لم يأخذ بشيء من ذلك عند تفسيره للآيات.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيات:

– تلاحظ الباحثة أن الإمامين الخازن والسعدي قد فسرا بالمأثور، حيث أخذ الإمام الخازن عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو من الصحابة، أما السعدي فقد استشهد بآية تفسيراً للآية، وبهذا يتبين للباحثة أن الإمامين سارا على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليهما من آرائهما المحمودة.

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: 506

ثالثاً: موقف فرعون وملائه من دعوة موسى ﷺ:

استخف فرعون بموسى ﷺ وذكره بما كان من حاله في صغره، كما حكى الله سبحانه وتعالى عنه قوله: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِئْتَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: 18 - 22]. وبعد هذا الحوار أخذ فرعون يتجاهل رب العالمين ويستخف بدعوة موسى ﷺ، كما في قوله سبحانه: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: 23 - 27]، وليصرف الناس عن كلام موسى يصفه بالجنون، ولكن موسى عليه السلام يواصل كلامه بالتعريف بربه سبحانه: ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: 28].

ولما عجز فرعون عن مواصلة الحوار مع موسى لجأ إلى التهديد والوعيد: ﴿ قَالَ لئن اتَّخَذتْ إِهْلًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: 29] ولم يخف موسى من ذلك التهديد والوعيد، ثقة بوعده الله له بالنصر والتأييد، فلفت نظر فرعون إلى ما معه من الآيات البينات: ﴿ قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْ بِشِيءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَاَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ ﴾ [الشعراء: 30 - 33].

وكان من موقفهم أيضاً مخادعتهم لموسى ﷺ ونقضهم لعهودهم، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ 134 فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ [الأعراف: 134، 135]

ولم يكتفوا بذلك بل رموه بالسحر قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: 13-14] وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة هاتين الآيتين.

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآيتين: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ أي: جاءهم موسى ﷺ بآياتنا التسع معاينة، ويقال: مبينة، يعني: علامة لنبوته، ويقال: مضبئة واضحة،

﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ أي: كذبوا بها منكرين لدالاتها على صدق الرسالة، وقد وقع اليقين في قلوبهم، ولكنهم لم يذعنوا لاستعلائهم بالباطل وطغيانهم، وفي الآية تقديم ومعناه: وجحدوا بها ظلماً يعني: شركاً وعلواً يعني: تكبراً وترفعاً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى ﴿وَأَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: وهم يعلمون أنها من الله تعالى. فانظر كيف كانت عاقبة الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي، فكانت عاقبتهم الغرق" (1).

ويقول الإمام السيوطي في تفسيره للآيتين: "فلما جاءتهم آياتنا التي أيدنا بها موسى ﷺ واضحة ظاهرة قالوا: هذا الذي جاء به موسى من الآيات سحر بين. ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ قال: كذبت القوم بآيات الله بعدما استيقنتها أنفسهم أنها حق والجحود لا يكون إلا من بعد المعرفة. قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ قال: تعظماً واستكباراً وقيل: تكبروا وقد استيقنتها أنفسهم وهذا من التقديم والتأخير" (2).

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

يقول الإمام النسفي في تفسيره للآيتين: "فلما جاءت فرعون وقومه هذه الآيات الواضحات، والمقصود معجزاتنا مبصرة حال أي ظاهرة بينة جعل الإبصار لها وهو في الحقيقة لتأملها لملابستهم إياها بالنظر والتفكر فيها أو جعلت كأنها تبصر فتهدى لأن الأعمى لا يقدر على الاهتداء فضلاً أن يهدي غيره؛ لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر لمن نأمله وقد قوبل بين المبصرة والمبين. وقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ قيل الجحود لا يكون إلا من علم من الجاحد وهذا ليس بصحيح لأن الجحود هو الإنكار وقد يكون الإنكار للشيء للجهل به وقد يكون بعد المعرفة تعنتاً ﴿وَأَسْتَيْقَنَتْهَا﴾ للحال وقد بعدها مضمة والاستيقان أبلغ من الإيقان ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ أي جحدوا بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضماؤهم " ظُلْمًا " حال من الضمير في جحدوا وأي ظلم أفحش من ظلم من استيقن أنها آيات من عند الله ثم سماها سحراً بيناً "وَعُلُوًّا" ترفعا عن الإيمان بما جاء به موسى ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ وهي الإغراق هنا" (3).

ويقول الإمام الزحيلي في تفسيره للآيتين: "فلما جاءت فرعون وقومه الآيات التسع بينة واضحة ظاهرة، دالة على صدق موسى وأخيه هارون، أنكروها، وقالوا: هذا سحر واضح ظاهر.

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج2/ 575

(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج6/ 343

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج2/ 594

وأنكروا وكذبوا بها في الظاهر، وتيقنوا في الحقيقة والباطن في أنفسهم أنها حق من عند الله تعالى، ظلماً من أنفسهم واستكباراً عن اتباع الحق، فانظر أيها الرسول كيف كان عاقبة أمر فرعون وقومه في إهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة. وفي هذا تحذير شديد لمكذبي الرسل الذين أرسلهم الله لهداية البشر، فليتعض المكدبون بدعوة محمد ﷺ (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيتين:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآيتين:

– من خلال ما تقدم تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام السيوطي أخذ طابع التفسير بالمأثور حيث أخذ عن ابن عباس رضي الله عنهما عند تفسيره للآيتين، أما السمرقندي فلم يأخذ بالتفسير بالمأثور عند تفسيره للآيتين وإنما فسر تفسيراً إجمالياً، وبذلك لم يسلك المنهج الصحيح للتفسير بالمأثور في هذا الموضوع.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيتين:

– تلاحظ الباحثة أن الإمامين النسفي والزحيلي لم يأخذا بالتفسير بالمأثور عند تفسيرهما للآيتين السابقتين وإنما اكتفيا بالتفسير الإجمالي .

– وترى الباحثة من خلال المقارنة بين أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود بأن كلا الفريقين لم يأخذا بالمأثور عدا السيوطي، وقد يرجع ذلك، إلى عدم وجود تفسير للآيتين بأية أو حديث أو بقول صحابي أو تابعي مما دفع كل مفسر أن يكتفي برأيه المحمود في تفسيره، باستثناء قول ابن عباس الذي استدل به الإمام السيوطي.

رابعاً: نهاية الصراع بين موسى ﷺ وفرعون وملئه:

لما ينس موسى ﷺ من إيمان فرعون وملئه دعا عليهم وأمن على دعائه أخوه هارون عليهما السلام فقال في دعائه: ﴿رَبَّنَا اظْمِسْ عَلَيَّ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾ [يونس 88-89]، فأوحى الله تعالى إلى موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يخرجوا مع بني إسرائيل بليل فساروا مستمرين ذاهبين إلى بلاد الشام كما أخبر الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى * فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ * وَأَصْلُ فِرْعَوْنُ قَوْمُهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه 77-79].

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج/2 1868

يُستدرج فرعون إلى البحر ليكون مقبرته، بل ليطفو على السطح جثة، وهو الذي ادعى الألوهية بالأمس، وقد قال تعالى على لسانه: ﴿أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: 90-92] وقد بين ﷺ أن الإنسان لن ينفعه الإيمان في حال الغرغرة، ولن تقبل التوبة، وكما قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النساء: 18]

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿فَأَحْذَنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ 40 وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ 41﴾ [القصص: 40 - 41]

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن عطية في تفسيره للآيتين: "يخبر الله ﷻ عن قوم فرعون واستدراجهم إلى اليم، وإغراقهم، بسبب ظلمهم، فتدبر يا محمد، وحذر قومك كيف كانت نهاية الظالمين. وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ﴾ وجعلنا فرعون وقومه قادة إلى النار، يقتدي بهم أهل الكفر والفسق، ينصرون، وذلك بسبب كفرهم وتكذيبهم رسول ربهم وإصرارهم على ذلك، أي هم بذلك كالداعين إلى النار وهم فيه أئمة من حيث اشتهروا وبقي حديثهم، فهم قدوة لكل كافر وعات إلى يوم القيامة⁽¹⁾.

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره للآيتين: "أغرق الله ﷻ فرعون وجنوده في البحر في صبيحة واحدة، فلم يبق منهم أحد. فانظر أيها الرسول كيف كان نهاية هؤلاء الذين كفروا بربهم، وظلموا أنفسهم، ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ أي جعل الله ﷻ فرعون وقومه أئمة: لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم، في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولاً بذل الآخرة، كما قال تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: 13]⁽²⁾.

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج 4/ 289

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 6/ 238

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

ذكر الإمام الشعراوي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاَهُمْ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ...﴾

"كأن الحق سبحانه لم يمهلهم إلى أن يعودوا إليه يوم القيامة، إنما عاجلهم بالعذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة، فأخذهم جميعاً في قبضة واحدة، التابع والمتبوع، فألقينا بهم في البحر، وهذا الأخذ الذي يشمل الجميع في قبضة واحدة يدل على قدرة الآخذ، وهذه مسألة لا يقدر عليها إلا الله القوي العزيز، كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود : 102] تأمل أيها الرسول كيف كان مآل الظالمين ونهايتهم، فقد كان مآلهم ونهايتهم الهلاك، فالبحر والماء جُند من جنود الله، تنصر الحق وتهزم الباطل، فأنجى الله موسى عليه السلام وأهلك فرعون حين أمر الله صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر، فصار كل فِرْق كالطود العظيم، فلما أن جازه موسى وقومه إلى الناحية الأخرى أراد أن يضرب البحر مرة أخرى؛ ليعود الماء إلى سيولته واستطرقه فيصُحَّح الله له ويأمره أن يدعه على حاله، ولما رأى فرعون الطريق اليابس أمامه عبر بجنوده، فأطبقه الله عليهم، فصاروا آية وعبرة، كما قال سبحانه: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس : 92] .

وتأمل قدرة الله التي أنجّت موسى من الغرق، وقد ألقته أمه بيديها في الماء، وأغرقت فرعون ويقول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ فهم أسوة سيئة وقدوة للشر، فكان فرعون وملؤه أسوة في الشر، وأسوة في الضلال والإرهاب والجبروت، وكذلك سيكونون في الآخرة أئمة وقادة، لكن إلى النار، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ وذلك بسبب كفرهم وتكذيبهم رسول ربهم وإصرارهم على ذلك" (1).

ويقول الإمام الزحيلي في تفسيره للآيتين: أبان الله تعالى عقاب فرعون وجنوده العاجل

في الدنيا بعد تهديدهم بعقاب الآخرة. فقال عنهم: فأغرقتناهم في البحر في صبيحة واحدة، فلم يبق منهم أحد، فانظر أيها المتأمل في قدرة الله وعظمته وآياته كيف كان مصير هؤلاء الظالمين الذين ظلموا أنفسهم، وكفروا بربهم، وادعى كبيرهم الألوهية من دون الله. ثم ذكر الله تعالى ما يوجب مضاعفة عذابهم فقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي وجعلنا فرعون وأشرف قومه قادة ضلال في تكذيب الرسل وإنكار وجود الإله الصانع، فلم يكتفوا

(1) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ص 6858-6859 بتصرف يسير

بضلال أنفسهم، بل قاموا بإضلال غيرهم، فاستحقوا جزاءين: جزاء الضلال والإضلال، ولا أمل لهم في النجاة ونصرة الشفعاء، فهم يوم القيامة لا نصير ولا شفيع لهم ينصرهم من بأس الله ويدفع عنهم عذاب الله، فاجتمع عليهم خزي الدنيا وذل الآخرة (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيتين:
منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآيتين:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير ابن كثير للآيتين، قد أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسر القرآن بالقرآن، في حين أن ابن عطية قد اكتفى برأيه، ولم يسلك منهجه العام وهو التفسير بالمأثور في هذا الموضوع .

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيتين:

– كما تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام الشعراوي قد أخذ طابع التفسير بالمأثور، حين فسر آية بآية، في حين أن الإمام الزحيلي لم يسلك المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم على التفسير بالأثر أولاً، مكتفياً بتفسير الآيتين برأيه.

المطلب الثامن:

الصراع بين موسى عليه السلام وبنو إسرائيل.

أولاً: دعوة موسى ﷺ لبني إسرائيل:

أمر الله سبحانه وتعالى موسى ﷺ بدعوة قومه، وهدايتهم، وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5]

فدعا موسى ﷺ قومه إلى توحيد الله ﷻ قال تعالى: ﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ

فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 140]

وتناولت الباحثة الآية الأخيرة بالتفسير والمقارنة .

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج 20 / 109

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام الطبري في تفسيره للآية: قال موسى عليه السلام لقومه: أغير الله أطلب لكم معبوداً تعبدونه لا ينفعكم ولا يضركم، والله هو الذي خلقكم، وفضلكم على عالمي زمانكم بكثرة الأنبياء فيكم، وإهلاك عدوكم وما خصكم به من الآيات؟ إن هذا منكم لجهل (1).

وقال الإمام البغوي في تفسيره للآية الكريمة: "قال موسى عليه السلام لبني إسرائيل أغير الله أبغي لكم وأطلب، إلهها وهو الذي فضلكم على عالمي زمانكم. وفي الحديث: عن أبي واقد الليثي (2)، قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل حنين، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما كان للكفار ذات أنواط، وكان الكفار يعلقون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام "اجعل لنا إلهها كما لهم آلهة إنكم تركبون سنن من قبلكم" (3)(4).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام البيضاوي في تفسيره للآية الكريمة: قال نبي الله موسى عليه السلام لقومه: أسوى الله أطلب لكم معبوداً وهو فضلكم على العالمين والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم، وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قصدوا أن يشركوا به أحسن شيء من مخلوقاته وهي الأصنام (5).

ويقول الإمام حومد في تفسيره للآية الكريمة: "قال موسى لقومه بعدما طلبوا منه أن يعين لهم أصناماً وتمثالين يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى، قال: إن الله أكرمكم وأنعم عليكم، وفضلكم على العالمين، وأراكم المعجزات الكثيرة، فكيف تريدونني أن أبحث لكم عن إله غيره؟ وهو رب السماوات والأرض؟ إن هذا لا يمكن أن يكون أبداً" (6).

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 13 / 84-85، بتصرف

(2) الحارث بن عوف، مختلف في اسمه، واسم أبيه فقيل: الحارث بن مالك، وقيل: عوف بن مالك، والأول أصح، وهو مشهور بكنيته أبو واقد الليثي، له صحبة، إسلامه قبيل الفتح، وقيل: من مسلمة الفتح، مات سنة ثمان وستين. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ج 1 / 296، معرفة الصحابة، أبي نعيم، ج 2 / 757

(3) سنن الترمذي، الترمذي، في أبواب الفتن/ باب لتركين سنن من كان قبلكم، 4 / 475 رقم الحديث: 2180 وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، الألباني، ج 5 / 180

(4) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج 3 / 274

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج 3 / 32

(6) أيسر التفاسير، حومد، ص: 1095

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

- ترى الباحثة من خلال المقارنة بين أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود بأن كلا الفريقين لم يأخذ بالمأثور عدا البغوي فقد فسر بذكر حديث، وقد يرجع ذلك، إلى عدم وجود تفسير للآية المذكورة بآية أو بقول صحابي أو تابعي مما دفع كل مفسر أن يكتفي برأيه المحمود في تفسيره.

ثانياً: موقف بني إسرائيل من دعوة موسى ﷺ:

تمثل موقف بني إسرائيل من دعوة موسى ﷺ فيما يلي:

1. ميل نفوسهم إلى عبادة الآلهة رغم عظم النعم، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 138 - 139].

2. عبادتهم للعجل من دون الله ﷻ أثناء غيبة موسى ﷺ لتلقي التوراة، كما بين الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: 148]

3. كفرهم بنعم الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: 141]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 160].

4. تبديلهم القول والكلم غير الذي أمروا به، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَتَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ 161 فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 161، 162].

5. مخالفتهم لنبيهم فيما يأمرهم به، قال تعالى: ﴿يَأْقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ 21 قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ 22 قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ 23 قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 21 - 24].

6. امتناعهم عن الأخذ بتعاليم الله وتهديدهم برفع الطور على رؤسهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 171].

7. تعديهم على محارم الله تعالى وذلك باصطيادهم في اليوم الذي حرم عليهم الصيد فيه، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 163] ولما أصروا على معصيتهم مسخهم الله ﷻ إلى قردة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: 166]

8. تحريف التوراة وتزييف كلام الله والافتراء عليه: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75]

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 138 - 139].

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآيتين: مر قوم موسى ﷺ على قوم يعبدون الأصنام ويقومون على عبادتها، وكل من يلزم شيئاً ويواظب عليه يقال: عكفه، ولهذا سمي الملازم للمسجد معتكفاً ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ قاله الجهال من بني إسرائيل لموسى، فرد عليهم موسى ﷺ: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي: تكلمتم بغير علم وعقل، وجهلتم الأمر .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ﴾ أي مهلك مفسد ما هم فيه من عبادة الأصنام وسبب للخسران والهلاك، والتبار: الهلاك كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّْ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح : 28] أي: هلاكاً. ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي هذا العمل الشاق لا يفيدهم نفعاً في الدنيا والدين. (1).

أما الإمام ابن كثير فيقول في تفسيره للآيتين: يخبر الله تعالى عن ما قاله جهلة بني إسرائيل لموسى ﷺ حين جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا ﴿فَأَتَوْا﴾ أي فمروا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾. قال بعض المفسرين: كانوا من الكنعانيين، قال ابن جرير: وكانوا يعبدون أصناماً على صور البقر، فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ وبطلبهم هذا جهل بعظمة الله وجلاله وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ﴾ أي هالك ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وزوي عن أبي واقد الليثي قال: " خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حين فمررنا بسدرة، فقلت: يا نبي الله، اجعل لنا هذا ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة ويعكفون حولها، فقال النبي ﷺ: الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ إنكم تركبون سنن من قبلكم" (2). وهذا يدل على أن هؤلاء الذين ترونهم يعبدون الأصنام، هالك ما هم فيه من الدين الباطل، وزائل عملهم لا بقاء له (3).

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام البيضاوي في تفسيره للآيتين: ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن من الله عليهم بالنعم الجسام، وأراهم من الآيات العظام تسليية لرسول الله ﷺ مما رأى منهم، وإيقاظاً للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم. روي: أن موسى ﷺ عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكراً.

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج2/ 141

(2) سنن الترمذي، الترمذي، في أبواب الفتن/ باب لتركين سنن من كان قبلكم، 4/ 475 رقم الحديث: 2180 وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال الألباني: صحيح، صحيح وضعيف سنن الترمذي، الألباني،

ج5/ 180

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3/ 467

فمروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يقيمون على عبادتها، قيل إنها كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل، والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم. وقيل من لحم، قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً تمثالاً نعبده. كما لهم آلهة يعبدونها، قال إنكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق؛ لجهلهم ما يجب لله من تعظيم وتوحيد، وما لا يليق به من شرك وعبادة لغيره. ثم قال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هؤلاء إشارة إلى القوم. متبر مكسر ومدمر. ما هم فيه يعني: يهدم الله ﷻ دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها باطلاً مضمحلاً ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله تعالى (1).

أما الإمام النسفي فيقول في تفسيره للآيتين: روي أنهم عبر بهم موسى ﷺ يوم عاشوراء بعدما أهلك الله ﷻ فرعون وقومه، فصاموه شكراً لله تعالى فمروا على قوم ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ أي يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقر، فطلبوا من موسى ﷺ صنماً يعكفون عليه. قال عليّ ﷺ ليهودي اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلتم: اجعل لنا إلهاً ولم تجف أقدامكم ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ نعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكدته، ثم قال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إن هؤلاء المقيمين على عبادة أصنامهم مُهْلَكٌ ما هم فيه من عبادة غيره، وباطل جميع ما كانوا يعملون من طاعة لإشراكهم في العبادة مع الله غَيْرُهُ (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيتين:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآيتين:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام السمرقندي وابن كثير للآيتين أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسر الإمام البخوي القرآن بالقرآن، أما الإمام ابن كثير فقد فسر القرآن بالسنة، وبهذا يكون قد سلكا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام في التفسير بالمأثور.

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج 3/ 32

(2) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج 1/ 600

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيتين :

- تلاحظ الباحثة أن الإمامين البيضاوي والنسفي قد فسرا الآيتين تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبذلك لم يسلكا المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور .

ثالثاً: نهاية الصراع بين موسى ﷺ وبني إسرائيل:

قبل الحديث عن نهاية الصراع بين موسى ﷺ وبني إسرائيل كان لا بد من ذكر بعض ذنوبهم وما استحقوه من عذاب في الدنيا:

1. اتخذهم العجل وعبادتهم له من دون الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿ وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلِيلِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ * وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَیَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: 148، 149]

وقد عاقبهم الله بعقوبتين، هما الغضب والذلة في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: 152]

2. نقضهم للميثاق الذي أخذه الله ﷻ عليهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: 83] فكانت عقوبتهم على نقضهم الميثاق، بأن رفع عليهم جبل الطور وصار كالمظلة ليحملهم على الالتزام بالميثاق، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: 171]

3. تعديهم على محارم الله تعالى وذلك باصطيادهم في اليوم الذي حرم عليهم الصيد فيه، قال تعالى: ﴿ وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: 163] ولما أصروا على معصيتهم مسخهم الله ﷻ إلى قردة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف: 166]

4. كفرهم بآيات الله ﷻ وقتلهم الأنبياء، وعصيان الأوامر الإلهية:

فكانت العقوبة غضب الله عليهم وتسليط الأعداء والذل وكثرة القتل والحروب ودبّ الرعب والخوف في قلوبهم: وهذا النوع من العذاب عذب الله به بني إسرائيل فجعلهم فرقا كثيرة، وأضاف إلى ذلك الهوان والذلة إلى يوم القيامة ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يُسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: 167].

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ أَيْنَ مَا تُلْقُوا إِلَّا يَحِبُّ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 112].

5. إن بني إسرائيل لم يدعوا أي جناية أو جريمة إلا فعلوها فقد تعدوا على مقام الألوهية

وقتلوا أنبيائهم، وحرفوا كتبهم، وأكلوا الربا وأثاروا نار العداوة والتفرقة بين الأمم فحقت عليهم لعنة أنبيائهم وسخط ربهم، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ 78 كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ 79 تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة: 78 - 80]

6. عقوبتهم بسبب تبديلهم ما أمر الله ﷻ من القول والفعل عند دخولهم الأرض المقدسة، وذلك أن الله ﷻ أمرهم بأن يقولوا حطة فاستهزأوا وقالوا حنطة في شعيرة، وأمروا بالدخول سجداً فدخلوا يزحفون على أستنائهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 161] وقد عاقبهم الله ﷻ على ذلك بأن أنزل عليهم رجلاً من السماء لاستمرارهم في الظلم، والفسق قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 162].

7. لما عصى بنو إسرائيل أمر الله ﷻ بدخول الأرض المقدسة في عهد موسى ﷺ، قضى الله عليهم بالتيه أربعين سنة، فتأهوا في صحراء سيناء تلك المدة كاملة، قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ

* قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿المائدة: 21 - 24﴾

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة دعاء نبي الله موسى على بني إسرائيل وتحريم دخول الأرض المقدسة عليهم، وتيهيم أربعين سنة وبها يكون نهاية الصراع، كما ترى الباحثة.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ 25 قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 25 - 26]

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره: غضب موسى عليه السلام من قولهم فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ هارون. قال الزجاج: يحتمل قوله معنيين، أحدهما: لا أملك إلا نفسي، وأخي لا يملك إلا نفسه. ويحتمل: لا أملك إلا نفسي وأخي؛ لأن أخاه كان مطيعاً له فهو يملك طاعته. ثم قال: فاقض بيننا وبين القوم العاصين. ثم قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ يعني الأرض المقدسة، دخولها محرم عليهم ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ثم قال: ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ ضلالاً أي: يتحيرون فيها ولا يعرفون وجه الخروج منها ضلالاً في التيه. وقوله ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ يعني لا تحزن على قوم سميتهم فاسقين. وقال بعضهم: هذا الخطاب لمحمد ﷺ لا تحزن على قومك إن لم يؤمنوا. ويقال: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ صار نصباً بمعنى يتيهون لأن في التفسير، إن دخلوها لم يكن محرماً عليهم أبداً، كذا قاله ابن عباس رضي الله عنهما. وإنما دخلها أولادهم. وقال قوم: حرمت أربعين سنة فكانوا يتيهون أربعين سنة (1).

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيتين: لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال داعياً عليهم: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ أي: ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله تعالى، ويجب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون، ﴿فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ قال العوفي، عن ابن عباس: يعني اقض بيني وبينهم.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ استجاب الله ﷻ دعاء موسى حين نكلوا عن الجهاد فحكم الله عليهم بتحريم دخولها مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسيرين دائماً لا يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة، وخوارق كثيرة، من تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم، ومن إخراج الماء الجاري من صخرة صماء تحمل معهم

(1) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج1/ 467

على دابة، فإذا ضربها موسى بعصاه انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عيناً تجري لكل شعب عين، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله تعالى بها موسى بن عمران. وهناك أنزلت التوراة، وشرعت لهم الأحكام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: تاهوا في الأرض أربعين سنة، يصبحون كل يوم يسيرون ليس لهم قرار، ثم ظل عليهم الغمام في النية، وأنزل عليهم المن والسلوى، ثم كانت وفاة هارون عليه السلام ثم بعده بمدة ثلاثة سنين مات موسى عليه السلام، وأقام الله فيهم يوشع بن نون عليه السلام، نبيا خليفة عن موسى بن عمران، ومات أكثر بني إسرائيل هناك في تلك المدة، ويقال: إنه لم يبق منهم أحدٌ من القادة سوى يوشع وكالب، فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام، أو بمن بقي منهم وبسائر بني إسرائيل من الجيل الثاني، فقصدهم بيت المقدس فحاصرها، فكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر، فلما تضيفت الشمس للغروب، وخشي دخول السبت عليهم قال: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علي، فحبسها الله تعالى حتى فتحها، وأمر الله يوشع بن نون أن يأمر بني إسرائيل، حين يدخلون بيت المقدس، أن يدخلوا بابها سجداً، وهم يقولون: حطة، أي: حط عنا ذنوبنا، فبدلوا ما أمروا به، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وهم يقولون: حبة في شعرة.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ تسلية لموسى عليه السلام أي: لا تتأسف ولا تحزن عليهم فمهما حكمت عليهم به، فإنهم يستحقون ذلك. وهذه القصة تضمنت تقريع اليهود وبيان فضائحهم، ومخالفتهم لله ولرسوله ونكولهم عن طاعتها، فيما أمرهم به من الجهاد، فضغفت أنفسهم عن مصابرة الأعداء ومجالدتهم، ومقاتلتهم، مع أن بين أظهرهم رسول الله عليه السلام وكليمه وصفيه من خلقه في ذلك الزمان، وهو يعدهم بالنصر والظفر بأعدائهم، هذا وقد شاهدوا ما أحل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنكال والغرق له ولجنوده في اليم، وهم ينظرون لتقر به أعينهم وما بالعهد من قدم، ثم ينكلون عن مقاتلة أهل بلد هي بالنسبة إلى ديار مصر لا توازي عشر المعشار في عدة أهلها وعددهم، فظهرت قبائح صنيعهم للخاص والعام، وافتضحوا فضيحة لا يغطيها الليل، ولا يسترها الذيل، هذا وهم في جهلهم يعمهون، وفي غيهم يترددون، وهم البغضاء إلى الله وأعداؤه، ويقولون مع ذلك: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: 18] فبجح الله وجوههم التي مسخ منها الخنازير والقروء، وألزمهم لعنة تصحبهم إلى النار ذات الوقود، ويقضي لهم فيها بتأييد الخلود⁽¹⁾.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 3/79

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قالا صاحب الجلالين في تفسيرهما للآيتين السابقتين: "قال موسى ﷺ لما رأى منهم ما رأى من العناد: ﴿رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ لا أملك غيرهما فأجبرهم على الطاعة، فافصل بيننا وبين القوم الفاسقين، فاستجاب الله لموسى ﷺ وحرّم على أولئك المخالفين دخول الأرض المقدسة طيلة أربعين عاماً، يضلّون في الصحراء لا يهتدون إلى جهة ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يتحيرون في الأرض وهي تسعة فراسخ قاله ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ لا تحزن على ما أصابهم، فإنهم فاسقون خارجون عن أمر الله تعالى. روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدأوا منه ويسرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين قيل وكانوا ستمائة ألف ومات هارون وموسى في التيه وكان رحمة لهما وعذاباً لأولئك وسأل موسى ربه عند موته أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر فأدناه، ونبي يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقي معه وقاتلهم، ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وروى أحمد في مسنده حديث إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس (1).

أما الإمام القطن فقال في تفسيره للآيتين: "لما يئس موسى من قومه وأصروا على العناد قال مناجياً ربه: يارب، لا سلطان لي إلا على نفسي وأخي، فافصل بيننا وبين هؤلاء القوم المنحرفين عن طاعتك، بقضاء تقضيه بيننا، فاستجاب الله لموسى ﷺ ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقضونها تائهين في الصحراء. ثم ودّ الله أن يواسي موسى، فأمر ألا يحزن على ما أصابهم، لأنهم عصوا أمري إليك، فاستحقوا عذابي هذا تأديباً لرؤوسهم" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيتين:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيتين:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام السمرقندي وابن كثير للآيتين أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث أخذوا عن ابن عباس وهو من الصحابة، وأضاف ابن كثير لذلك تفسيره القرآن بالقرآن.

(1) تفسير الجلالين، السيوطي، المحلي، ص: 140

(2) تيسير التفسير، القطن، ج1/ 392

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيتين:

- تلاحظ الباحثة أن صاحبي الجلالين قد فسرا بالمأثور حين نقلا عن الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، وبهذا يكونا قد سارا على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليهما من آرائهما المحمودة.
- في حين أن الإمام القطان لم يعتمد على المأثور عند تفسيره لهاتين الآيتين، وبذلك يكون صاحب التفسير بالرأي المحمود في هذا الموضع لم يسلك المنهج الصحيح الذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد.

المطلب التاسع:

الصراع بين عيسى عليه السلام وبنو إسرائيل.

أولاً: نسب عيسى عليه السلام :

قبل الحديث عن طبيعة الصراع بين عيسى عليه السلام وبنو إسرائيل وما آلت إليه الأمور بينهم ترى الباحثة أن نتحدث بإيجاز عن نسب هذا النبي الكريم.

ذكر الله سبحانه وتعالى اسم عيسى ونسبه في كتابه العزيز ولم يزد نسبه على كونه ابن مريم، في قوله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: 45]، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، وذكر اسمه في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة.

قال الإمام ابن عاشور: "هو عيسى ابن مريم⁽¹⁾، ولد من غير أب، وهو رسول بشرع ناسخ لبعض أحكام التوراة. ودامت دعوته إلى الله ثلاث سنين، ورفع إلى السماء"⁽²⁾.

وقال الإمام محمد طنطاوي: "هو عيسى عليه السلام ابن مريم ابنة عمران وهي من سلالة داود عليه السلام"⁽³⁾.

(1) ابن مريم إما بدل من عيسى أو خبر مبتدأ محذوف وتقديره: هو ابن مريم، ولا يجوز أن يكون وصفا لعيسى لأن اسمه عيسى فقط، وليس اسمه: عيسى بن مريم. وإذا كان كذلك وجب إثبات الألف في الخط من قوله: ابن مريم لأن الألف من ابن إنما تسقط إذا وقعت وصفاً بين علمين، ولا يجوز أن يكون هاهنا وصفاً، فوجب أن تثبت، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج 3 / 229

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج 6 / 33

(3) التفسير الوسيط، طنطاوي، ج 9 / 23

وقال الإمام الزحيلي: "هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، ذكر اسمه في القرآن بلفظ المسيح وهو لقب له، ولفظ عيسى وهو اسمه، وهو بالعبرية يشوع أي المخلص، أي يخلص النصارى في زعمهم من الخطيئة، وذكر بلفظ ابن مريم، وإنما قيل: ابن مريم، مع أن الخطاب لها، إشارة إلى أنه ينسب لها، لولادته من غير أب، وليظل هذا الوصف ثابتاً مقررّاً في الأذهان في كل زمان، وأمه مريم بنت عمران الذي كان رجلاً عظيماً من علماء بني إسرائيل، وقد حملت زوجه، فنذرت أن تجعل الحمل محرراً لخدمة الهيكل، وتوفي عمران، وكانت ابنته صغيرة تحتاج إلى كافل يقوم بشأنها، فألقى رعاة الهيكل قرعة، فكان كافلها زكريا عليه السلام" (1).

المقارنة بين التفاسير بالمأثور والرأي المحمود عند ذكرهم لنسب نبي الله عيسى عليه السلام:

تلاحظ الباحثة أن كلاً من ابن عاشور ووطنطاوي والزحيلي لم يعتمد على المأثور عند الحديث عن نسب نبي الله عيسى عليه السلام إذ لم يذكر نسبه لا في السنة النبوية، ولا على لسان صحابي أو تابعي.

ثانياً: دعوة عيسى عليه السلام:

إن توحيد الله تعالى هو غاية الأنبياء العظمى، كما كان الركيزة الأولى في دعوة عيسى عليه السلام، وهذا ما أعلنه عيسى عليه السلام منذ اللحظة الأولى لولادته، حيث أعلن عن عبوديته لله تعالى وتكليف الله له بالنبوة، وكان ذلك أول ما نطق به وهو في المهد قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾
آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: 30]

وقد أرسل الله تعالى عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل نبياً ورسولاً، فقامت دعوته على توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، والإيمان بأنه عبد الله ورسوله، كما أيده الله تعالى بجملة من الآيات البينات كما قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: 49 - 51]، ولما لم تُجد مع تلك الطائفة من اليهود هذه الآيات البينات صداها، ووُجد منهم

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج16/ 89

الصدِّ والإعراض، والكفر بالله سبحانه وتعالى، اتخذ عيسى عليه السلام وسيلة أخرى في دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك بأن جعل له أعواناً وأنصاراً منهم، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه بقوله: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَكْرُوهًا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 52 - 54] ،

كما دعاهم إلى عبادة الله وحذرهم من الشرك وبين لهم أن الجنة محرمة على المشركين وأنَّ النار مأواهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72].

كما جاء عيسى عليه السلام مقرراً لشريعة موسى عليه السلام في التوراة، مع ما جاءه في الإنجيل والبشارة بالنبي الذي يأتي من بعده، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: 6]

والبشارة بالرسول ﷺ تتضمن الدعوة إلى الإيمان به وبما جاء به ﷺ، فهي دعوة للنصارى الذين يدركون محمداً ﷺ إلى الإيمان به وعدم البقاء على نصرانيتهم.

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ 63 إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ 64﴾ [الزخرف: 63-64]

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام البغوي في تفسيره للآيات: "لما جاء عيسى عليه السلام قومه بالأدلة الواضحة على أنه رسول، قال لهم: قد جئتكم من عند الله بالحكمة، ولأوضح لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور دينكم، أو من أحكام التوراة، قال قتادة: يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى عليه السلام. قال الزجاج: الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه، وبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ فانقوا الله بامتثال أوامره، واجتتاب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به وأناهاكم عنه، إن الله هو ربي وربكم، لا رب لنا غيره، فأخلصوا له وحده العبادة وهذا التوحيد هو الطريق المستقيم" (1).

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج7/ 220

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: "حينما أرسل عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل بالمعجزات الواضحات والآيات البيّنات قال لهم: قد جنّتكم بالنبوة، قال ابن جرير: يعني من الأمور الدينية لا الدنيوية، وهذا الذي قاله حسن جيد، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي فيما أمركم به ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما جنّتكم بهن ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ وأنا وأنتم عبيد له فقراء إليه مشتركون في عبادته وحده لا شريك له، وهذا الذي جنّتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب عز وجل وحده" (1).

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الحجازي في تفسيره للآيات: "ولما جاء عيسى عليه السلام بالآيات التي تدل على صدقه، وأنه رسول الله إلى بنى إسرائيل قال لهم: قد جنّتكم بالحكمة وأصول الدين العامة كتوحيد الله، وإثبات اليوم الآخر، والتصديق بكتب الله ورسله، وجنّت لأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام فيحل حلالها، ويحرم حرامها، ويقضى بالعدل بين بنى إسرائيل، إن الله عز وجل هو خالقي وخالقكم، فاعبدوه دون سواه، وحافظوا على شريعته، وهذا هو الصراط المستقيم الذي نزل به عيسى فكيف يكون إليها فكيف يكون حالكم يا كفار مكة وهذا عيسى ابن مريم دعا إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراف به" (2).

وقال الإمام الزحيلي في تفسيره للآيات: "أي لما جاء عيسى بالمعجزات والآيات الدالة على صدقه، وبالشرائع في الإنجيل قال لبنى إسرائيل: جنّتكم بالشرائع الصالحة التي تُرغّب في الجميل وتكف عن القبيح، وبأصول الدين العامة، من توحيد الله والإيمان بكتبه ورسله واليوم الآخر، وجنّتكم أيضاً لأوضح لكم بعض ما تختلفون فيه من أحكام التوراة، فاتقوا المعاصي، وأطيعوني فيما أمركم به من توحيد الله وشرائعه وتكاليفه، فالله عز وجل هو خالقي وخالقكم، فاعبدوه دون سواه، وحافظوا على شريعته، وهذا الذي أدعوكم إليه طريق مستقيم وهو دين الله الحق الذي لا يقبل من أحد سواه" (3).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 7 / 237

(2) التفسير الواضح، الحجازي، ج 3 / 402-403

(3) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج 25 / 176

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

ترى الباحثة من خلال المقارنة بين أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود بأن كلا الفريقين لم يأخذ بالمأثور، وقد يرجع ذلك، إلى عدم وجود تفسير للآيات المذكورة بآية أو حديث أو بقول صحابي أو تابعي، مما دفع كل مفسر أن يكتفي برأيه المحمود في تفسيره للآيات.

ثالثاً: موقف بني إسرائيل من دعوة عيسى عليه السلام:

وإذا تابعنا أحداث الدعوة بعد تلك الخطوة التي اتخذها عيسى عليه السلام، نجد من الآيات التي أخبرت بذلك أن اليهود لم يزدادوا بعد ذلك إلا جحوداً وعناداً، فقال عنهم المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَمَكْرُوهَا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 54] يعني كفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر.

كما طلب بنو إسرائيل من عيسى عليه السلام مائدة من السماء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أُوحِيَ إِلَى الْخَوَارِجِينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَضْمِينَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: 111 - 113].

كما اختلف بنو إسرائيل في عيسى عليه السلام فمنهم من آمن به، وهم قليل، وكفر الباقي، قال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: 65] وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: 65]

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن عطية في تفسيره للآية: "قال جمهور المفسرين أراد: اختلف بنو إسرائيل وتحزبوا، فمنهم من آمن به، وهم قليل، وكفر الغير، وهذا إذا كان معهم حاضراً. وقال قتادة: الْأَحْزَابُ هم الأربعة الذين كان الرأي والمناظرة صرفت إليهم في أمر عيسى عليه السلام. وقيل: الْأَحْزَابُ النصارى اختلفت مذاهبهم فيه بعد رفعه عليه السلام، فقالت فرقة: هو الله، وهم اليعقوبية قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 17]. وقالت فرقة: هو ابن الله، وهم النسطورية قال الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30]،

وقالت فرقة: هو ثالث ثلاثة، وهم الملكانية قال الله تعالى فيهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: 73] تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقوله: ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ بمعنى من تلقائهم ومن أنفسهم ثار شرهم، ولم يدخل عليهم الاختلاف من غيرهم، ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾⁽¹⁾ فويل لهم من عذاب موجع ينتظرهم يوم القيامة.

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره للآية: "اختلفت الفرق وصاروا شيعاً في عيسى عليه السلام، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ومنهم من يدعي أنه ولد الله، ومنهم من يقول: إنه الله -تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً- ولهذا قال تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ ما أشد حزن الظالمين وما أعظم خسارتهم في ذلك اليوم"⁽²⁾.

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الألويسي في تفسيره للآية: "اختلفت فرق اليهود والنصارى الذين بعث الله إليهم عيسى، في شأنه، وقيل: المراد النصارى وهم أمة إجابته عليه السلام، وقد اختلفوا فرقاً ملكانية ونسطورية ويعقوبية فويل للذين ظلموا من المختلفين وهم الذين لم يقولوا: إنه عبد الله ورسوله من عذاب يوم أليم هو يوم القيامة وأليم صفة عذاب أو يوم على الإسناد المجازي"⁽³⁾.

وقال الإمام أبو السعود في تفسيره للآية: "اختلفت الفرق في أمر عيسى عليه السلام، وصاروا فيه شيعاً: ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي من بين من بُعث إليهم من اليهود والنصارى، ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من المختلفين ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ وهو يوم القيامة"⁽⁴⁾.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام ابن عطية للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسر القرآن بالقرآن، وكذلك أخذ الإمام ابن عطية عن قتادة وهو من التابعين، أما ابن كثير فلم

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج 5 / 62-63

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 7 / 237

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألويسي، ج 13 / 96

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، ج 8 / 53

يأخذ بالتفسير بالمأثور عند تفسيره للآية وإنما فسر الآية تفسيراً إجمالياً، فيكون في هذا الموضوع لم يلتزم بمنهجه وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الألويسي وأبا السعود لم يعتمد أي منهما على المأثور عند تفسيرهما للآية وبذلك فهما لم يسلكا في هذا الموضوع المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود الذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد.

رابعاً: نهاية الصراع بين عيسى عليه السلام وبني اسرائيل:

لما تأمر أعداء الله من اليهود على قتل عيسى عليه السلام والخلص منه ومن دعوته، نجاه الله سبحانه وتعالى منهم ورد كيدهم في نحورهم، فرفعه إليه، ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: 49 - 57].

وما دبره اليهود من القتل والصلب وقع على شبيهه له، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا 157 بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 157-158]

وتناولت الباحثة الآيتين السابقتين بالتفسير والمقارنة:

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن حاتم في تفسيره للآيتين: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ قال قتادة: أولئك أعداء الله ابتهروا (1) بقتل نبي الله عيسى عليه السلام، وزعموا أنهم قتلوه وصلبوه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى إلى السماء، خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين يعني فخرج عيسى من

(1) ابتهر: تتابع نفسه وادعى الشيء كذباً وفي الشيء بالغ فيه واستفرغ جهده، والمعنى ادعوا قتل عيسى كذباً،

المعجم الوسيط، مصطفى وأخرون، مادة بهر، ج/1 73

عين في البيت ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، قال: أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي، فقام شاب من أحدثهم سناً، فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشاب، فقال: أنا، فقال: أنت هو ذلك فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى من روزنة⁽¹⁾ في البيت إلى السماء قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه، فقتلوه ثم صلبوه، فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، فهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله عيسى ما شاء الله ثم رفعه إليه، فهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء هم المسلمون.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ شُبَّهَ لَهُمْ﴾ قال مجاهد: صلبوا رجلاً غير عيسى يحسبونه إياه.

وقوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾

قال قتادة: أولئك أعداء الله اليهود الذين ائتمروا بقتل نبي الله عيسى عليه السلام وزعموا أنهم قتلوه وصلبوه، وما قتلوه كما ادعوا وما صلبوه، ولكن قتلوا رجلاً ألقى الله شبهة عيسى عليه وصلبوه، ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ قال الحسن رضي الله عنه: ما استيقنته أنفسهم ولكن ظناً منهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ يعني: لم يقتلوا ظنهم يقيناً.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ قال ابن عباس: حتى إذا بلغ أشده قال: ثلاثاً وثلاثين سنة، وهو الذي رفع عليه عيسى ابن مريم عليها السلام. وقال مجاهد: رفع الله إليه عيسى حياً. وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ قال ابن عباس: كذلك كان ولم يزل وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن⁽²⁾.

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره للآيتين: وكان من خبر اليهود عليهم لعنة الله وسخطه وغضبه وعقابه أنه لما بعث الله صلى الله عليه وسلم عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسدوه على ما آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات، حيث كان يبصر الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ويصور من الطين طائراً ثم ينفخ فيه فيكون طائراً يُشاهد طيرانه بإذن الله صلى الله عليه وسلم، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمها الله بها وأجراها على يديه ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل نبي الله عيسى عليه السلام لا يساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة

(1) الرُّوزْنَةُ: الخزقُ في أعلى السَّقْفِ وتستعمل اليوم بمعنى فجوة تترك في جانب السقف لينشل التراب منها ثم تسد متى انتهى العمل، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ج35/89، تكملة المعاجم

العربية، دُوزي، 5/131

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم، ج4/1110

هو وأمه عليهما السلام، ثم لم يقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان وكان رجلاً مشركاً من عبدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته اليونان، وأنهوا إليه أن في بيت المقدس رجلاً يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه، فغضب الملك من هذا وكتب إلى نائبه بالمقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ويكف أذاه عن الناس، فلما وصل الكتاب امتثل والي بيت المقدس ذلك وذهب هو طائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام وهو في جماعة من أصحابه اثني عشر أو ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر نفرًا وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت فحصره هنالك، فلما أحس بهم وأنه لامحالة من دخولهم عليه أو خروجه إليهم، قال لأصحابه : أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبْهِي وَهُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟ فانتدب لذلك شاب منهم فكانه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة، وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب، فقال : أنت هو! وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو، وفتحت روزنة من سقف البيت وأخذت عيسى عليه السلام سَنَةً من النوم فرفع إلى السماء وهو كذلك كما قال الله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَتَوَيْتُكَ وَرَافَعْتُكَ إِلَىٰ مَطَهْرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [آل عمران:55] فلما رفع خرج أولئك النفر، فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه، وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك، وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك، لجهلهم وقلة عقولهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقيون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح بن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت، ويقال إنه خاطبها والله أعلم، وهذا كله من امتحان الله عباده لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وقد أوضح الله الأمر في القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم، المؤيد بالمعجزات والبيانات والدلائل الواضحات، فقال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي رأوا شبهه فظنوه إياه ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ يعني ذلك من ادعى أنه قتله من اليهود ومن سلمه إليهم من جهال النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال، ولهذا قال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ وكان الله عزيزًا في ملكه، حكيماً في تدبيره وقضائه (1).

تلاحظ الباحثة أن القصة التي ذكرها ابن كثير أنفاً غير مسنده والله أعلم بصحتها، غير أنها من القصص التي لا توافق ولا تخالف ما جاء في ديننا، فننتوقف عندها فلا نصدقها

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج2/ 448

ولا نكذبها، ونتوقف عند معنى الآية وحدودها حيث يقول سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: 157]

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قالت لجنة من علماء الأزهر في تفسير الآيات: "غضب الله ﷻ على اليهود بسبب قولهم مستخفين: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾، والحق المستيقن أنهم ما قتلوه، كما زعموا وما صلبوه كما ادعوا، ولكن شُبِّهَ لهم، فظنوا أنهم قتلوه وصلبوه، وإنما قتلوا وصلبوا من يشبهه، وقد اختلفوا من بعد ذلك في أن المقتول عيسى أم غيره، وأنهم جميعاً لفي شك من أمره، والواقع أنهم يقولون ما لا علم لهم به إلا عن طريق الظن، وما قتلوا عيسى قطعاً، بل رفع الله ﷻ عيسى إليه وأنقذه من أعدائه، ولم يصلبوه، ولم يقتلوه والله غالب لا يقهر، حكيم في أفعاله" (1).

وذكر الإمام الزحيلي في تفسيره للآيتين: زعم اليهود أنهم قتلوا عيسى ابن مريم، ووصفوه بأنه رسول الله تهكماً واستهزاء بدعوته، ووصفه القرآن بأنه: ابن مريم للرد على النصارى القائلين بأنه ابن الله، ورد الله ﷻ عليهم: والحال أنهم ما قتلوه وما صلبوه كما ادعوا، ولكن ألقى الله الشبه على رجل آخر فصلبوه، وما قتلوه متيقنين أنه عيسى ذاته بعينه لأن الجند الذين قتلوه وصلبوه ما كانوا يعرفونه، والمعروف في الأناجيل أن الذي أسلمه إلى الجند هو يهوذا الأسخريوطي.

وأن الذين اختلفوا في صلب المسيح، أهو المصلوب أم غيره؟ لفي شك وتردد من حقيقة أمره، وليس لهم علم يقيني مقطوع به، وإنما هم يتبعون الظن والقرائن والأمارات غير المؤدية إلى الحق. وإنما أنجاه الله تعالى من أيدي اليهود ورفعاه إليه، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ وَاللَّيْلَةَ نَزَلْنَاهُ عَلَيْكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: 55] قال ابن عباس: إني متوفيك أي مميتك. وقال وهب: أماته الله ثلاثة أيام ثم بعثه ثم رفعه. وقال ابن جرير: توفيه هو رفعه، وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: 60]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: 42].

(1) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، ص: 139

والمشهور بين المفسرين أن الله تعالى رفع عيسى بروحه وجسده إلى السماء، وقال الرازي: المراد رافعك إلى محل كرامتي، وجعل ذلك رفعاً إليه للتفخيم والتعظيم، ومثله قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: 99] وإنما ذهب إبراهيم عليه السلام من العراق إلى الشام، والمراد من كل ذلك التفخيم والتعظيم، وتدل الآية ورافعك إلي على أن الرفعة بالدرجة والمنقبة، لا بالمكان والجهة، كما أن الفوقية في قوله: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: 55] ليست بالمكان، بل بالدرجة والرفعة، ثم دلت سبحانه وتعالى على قدرته على حماية عيسى من الصلب وإنقاذه من اليهود والروم الظالمين ورفعته إليه بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي إن الله عزيز لا يغلب، حكيم في صنعه وفي جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها، ويجازي كل عامل بعمله، ومن جزائه لليهود في الدنيا ما أحل بهم من الذلة والمسكنة والتشريد في الأرض.

هذه هي عقيدتنا في صلب المسيح ورفعته مستقاة من القرآن الكريم، فلا مجال لتصديق روايات أخرى لم تثبت صحتها، بل إن ما فيها من تناقض واختلاف كثير يدل على الشك فيها ثم القطع بأنها ليست محل ثقة. ثم إن القول بعدم الصلب أكرم وأفضل لكرامة عيسى عليه السلام، وأما القول بأنه صلب ليجعل نفسه فداء للبشرية والعالم، وليكفر عن خطيئة آدم عليه السلام وخطايا أبنائه، فهو من أوهام المسيحية، ومن القصص الروائية في الأنجيل التي دونتها أيدي البشر (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيتين:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآيتين:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين ابن أبي حاتم وابن كثير للآيتين أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل الإمام ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن بن علي رضي الله عنهم وهما من الصحابة، كما فسّر ابن كثير القرآن بالقرآن، بغض النظر عن الرواية الإسرائيلية التي ذكرها وبهذا يكون قد سلكا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيتين:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام الزحيلي فسّر الآيتين بالمأثور حين استشهد بآية تفسيراً للآية، وبهذا يتبين للباحثين أن الإمام الزحيلي صاحب التفسير بالرأي قد سار على المنهج

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج6/ 20-21 بتصرف يسير

الصحيح وذلك بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة.

– أما أصحاب تفسير المنتخب فقد فسروا الآيتين تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبذلك لم يسلكوا المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور .

المطلب العاشر:

الصراع بين النبي محمد ﷺ وقومه

أولاً: نسب النبي محمد ﷺ :

قبل الحديث عن طبيعة الصراع بين نبينا محمد ﷺ وما آلت إليه الأمور بينهم ترى الباحثة أن نتحدث بإيجاز عن نسب هذا النبي الكريم.

فمن نسبه قال الإمام السمعاني: "هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان" (1).

وقال الإمام السيوطي: "هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار" (2).

وقال الإمام الجزائري: "هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي العدناني" (3).

ذكر النبي محمد ﷺ بلفظ صريح في مجمل آيات القرآن الكريم أربع مرات، ومرة ذكر أحمد وهو أحد أسمائه، فيما ذكر ضمناً مرات كثيرة بألفاظ أخرى مثل الرسول والنبي والأمين، وورد في القرآن الكريم سورة محمد ﷺ .

المقارنة بين التفاسير بالمأثور والرأي المحمود عند ذكرهم لنسب محمد ﷺ:

تلاحظ الباحثة أن كلاً من السمعاني والسيوطي والجزائري لم يعتمد أي منهم على المأثور عند الحديث عن نسب النبي الله محمد ﷺ.

(1) تفسير القرآن، السمعاني، ج 3 / 207

(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج 4 / 328

(3) أيسر التفاسير، الجزائري، ج 3 / 172

ثانياً: دعوة النبي محمد ﷺ لقومه:

1. دعا سيدنا محمد ﷺ قومه إلى التوحيد وهجر الأصنام التي كانت منتشرة بين قبائل العرب كما دعاهم إلى الإيمان بالقرآن الكريم ليخرجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى:
﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 3].
 2. كما لفت أنظارهم إلى الظواهر الكونية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: 54].
 3. دعوته إلى الإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 57].
 4. ودعاهم إلى مكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ 28 قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف 28-29].
 5. كما حذرهم من مكاييد الشيطان وفتنته، قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: 27].
 6. كما ذكرهم بنعم الله عليهم التي تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ 10 وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الأعراف: 10-11]، فأخذ الرسول ﷺ يدعو الناس إلى الله ﷻ وهو يقول: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: 108].
- وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [الأعراف: 29]

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآية: "قل يا محمد لهؤلاء المشركين: إن الله أمر بالعدل والصواب وكلمة التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله، ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي حوّلوا وجوهكم إلى الكعبة عند كل صلاة. وقيل: يعني إذا حضرت الصلاة وأنتم في مسجد فصلوا فيه، فلا يقولن أحدكم أصلي في مسجدي. وإذا لم يكن في مسجد فليأت أي مسجد شاء. قال مقاتل: حوّلوا وجوهكم إلى القبلة في أي مسجد كنتم، ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: وحدوه واعبُدوه بالإخلاص. ويقال: إنّ أهل الجاهلية كانوا يشركون في تليبتهم، ويقولون: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فأمرهم الله أن يوحدوه في التلبية مخلصين له الدين" (1).

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره للآية: "قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: أمر ربي بالعدل والاستقامة كما أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها، وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله ﷻ وما جاءوا به من الشرائع، وبالإخلاص له في عبادته، فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين: أن يكون صواباً موافقاً للشريعة، وأن يكون خالصاً من الشرك" (2).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: القسط هو: لا إله إلا الله، وقيل: القسط العدل، أي أمر الله ﷻ بالعدل فأطيعوه. ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي توجهوا في كل صلاة إلى القبلة في أي مسجد كنتم، ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي وحدوه ﷻ ولا تشركوا به" (3).

ويقول الإمام طنطاوي في تفسيره للآية: "قل لهم يا محمد إن الذي أمر الله به هو العدل في الأمور كلها، لأنه هو الوسط بين الإفراط والتفريط، كما أنه ﷻ قد أمركم بأن تتوجهوا إليه وحده في كل عبادة من عباداتكم، وأن تكثر من التضرع إليه بخالص الدعاء وصالحه، فإنه مخ العبادة" (4).

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج2/ 105

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3/ 402

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7/ 188

(4) التفسير الوسيط، طنطاوي، ج5/ 263

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام السمرقندي للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل عن مقاتل وهو من التابعين، أما ابن كثير فقد فسر الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور، فلم يلتزم في هذا الموضوع منهجه وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام القرطبي أخذ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبهذا يتبين أن صاحب التفسير بالرأي قد سار على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم بإثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة.

- أما الإمام طنطاوي فقد فسر الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور، وبذلك لم يسلك المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

ثالثاً: موقف الكافرين من دعوته ﷺ:

منذ أن جهر النبي ﷺ بدعوته، بعد أمر الله تعالى له بقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94] وبقوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، انفجرت بمكة مشاعر الغضب، وظلت ثلاثة عشر عاماً تعتبر المسلمين عصاةً متمردين على دين الآباء والأجداد، ورأت قريش أنه لا بد من مواجهة هذه الدعوة، فاتخذوا لذلك أساليب شتى وطرقاً متعددة منها:

1. السخرية والاستهزاء بالرسول ﷺ ورسالته، ورميه بشتى التهم والأوصاف، بغرض صد الناس عنه، فتارة يتهمونه بالجنون، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: 6]، وتارة يصمونهم بالسحر والكذب، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: 4].

2. تكذيبه فيما جاء به، قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام: 5]

3. إثارة الشكوك والشبهات حول الرسول ﷺ والقرآن الكريم، حتى لا يبقى هناك مجال للآخرين للتفكير في الدعوة، فضلاً عن قبولها، كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ

هَذَا إِلَّا إِنْكَ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا 4 وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
اُكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: 4، 5].

4. إثارة الشبه حول قضية الإيمان والبعث بعد الموت فكانوا يقولون: ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ 16 أَوْ آبَاءُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات 16-17]

5. الحيلولة بين الناس وبين سماع القرآن الكريم، فكانوا يثيرون الشغب كلما أراد النبي ﷺ تلاوة
القرآن وإسماعه للناس، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ
لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: 26]

6. تعنتهم بطلب المعجزات والآيات الدالة على صدق رسالته ﷺ بعد أن تبين لهم إعجاز
القرآن، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا 90 أَوْ تَكُونَ لَكَ
جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا 91 أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا
كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِغًا وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا 92 أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ
نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾
[الإسراء: 90 - 93]

7. انكارهم بشريته ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا
أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: 94]

8. استعجالهم العذاب، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا
حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ارْتِنَّا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: 32]

9. كيد المشركين بالنبي ﷺ وتأمرهم عليه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِتُوكَ أَوْ
يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، مما اضطر
النبي ﷺ إلى الهجرة إلى المدينة حيث أقام عليها نواة دولة الإسلام وقد حدث أثناء وجوده
في المدينة صراعات بين المسلمين وأهل الكفر والباطل، من خلال غزوات عديدة انتهت
هذه الغزوات بفتح مكة وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة الآية السابقة.

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام الثعالبي في تفسيره للآية السابقة: "امتنان الله ﷻ على نبيه وتذكيره بحال
مكة وضيقها مع الكفرة، وجميل صنع الله تعالى في جميع ذلك، والمكر: المخاتلة والتداهي،

وهذا المكر الذي ذكر الله تعالى في هذه الآية هو بإجماع من المفسرين: إشارة إلى اجتماع قريش في دار الندوة، بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدى، وهو الذي كان خروج رسول الله ﷺ بسببه، ولا خلاف أن ذلك كان بعد موت أبي طالب، ففي القصة: أن أبا جهل قال: الرأي أن نأخذ من كل بطن في قريش فتى قوياً جليداً، فيجتمعون ثم يأخذ كل واحد منهم سيفاً، ويأتون محمداً في مضجعه، فيضربونه ضربة رجل واحد، فلا تقدر بنو هاشم على قتال قريش بأسرها، فيأخذون العقل، ونستريح منه، فقال النجدي: صدق الفتى هذا الرأي: لا رأي غيره، فافترقوا على ذلك، فأخبر الله تعالى بذلك نبيه ﷺ، وأذن له في الخروج إلى المدينة، فخرج رسول الله ﷺ من ليلته، وقال لعلي بن أبي طالب: التف في بردي الحضرمي، واضطجع في مضجعي فإنه لا يضرك شيء، ففعل، فجاء فتیان قريش، فجعلوا يرصدون الشخص، وينتظرون قيامه، فيثورون به، فلما قام رأوا علياً، فقالوا له: أين صاحبك؟ فقال: لا أدري، وفي السير أن رسول الله ﷺ خرج عليهم، وهم في طريقه، فطمس الله أعينهم عنه، وجعل على رأس كل واحد منهم تراباً، ومضى لوجهته، فجاءهم رجل، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمداً، قال: إني رأيته الآن آتياً من ناحيتكم، وهو لا محالة، وضع التراب على رؤوسكم، فمد كل واحد يده إلى رأسه، فإذا عليه التراب، وجأوا إلى مضجع رسول الله ﷺ فوجدوا علياً، فركبوا وراءه حينئذ كل صعب وذلول، وهو بالغار، ومعنى: ليثبتوك: ليسجنوك قاله عطاء وغيره، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ليوثقوك⁽¹⁾.

ويذكر الإمام السيوطي في تفسيره للآية: عن ابن عباس رضي الله عنهما قصة تأمر قريش في دار الندوة بنحو ما ذكر الثعالبي في تفسيره للآية أنفة الذكر، ويضيف الإمام السيوطي في تفسيره: فأذن الله ﷻ لرسوله والصديق في الخروج وأمرهم بالهجرة وافترض عليهم القتال فأنزل الله ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: 39] قال ابن عباس رضي الله عنهما "ليثبتوك" يعني ليوثقوك، وقال مجاهد في قوله: ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ هم كفار قريش أرادوا ذلك بمحمد ﷺ قبل أن يخرج من مكة⁽²⁾.

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام المراغي في تفسيره للآية: يذكر الله ﷻ نعمته على رسوله خاصة بدفع كيد المشركين ومكر الماكرين بنصره عليهم وخيبة مساعهم في إيقاع الأذى به بعدما تأمروا

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج 3 / 127-128

(2) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج 4 / 50

عليه وقطعوا برأي معين فيه. فإنّ في ذلك القصاص على المؤمنين والكافرين في عهدك ومن بعدك لأكبر الحجج على صدق دعوتك ووعد ربك بنصرتك.

وقوله: ﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ أي إن كلمتهم قد اتفقت على إيقاع الأذى بك:

إما بالحبس الذي يمنعك من لقاء الناس ودعوتهم إلى الإسلام، وإما بالقتل بطريق لا يكون ضررها عظيماً عليهم، وإما الإخراج والنفي من الوطن. وقد روى أن أبا طالب قال للنبي ﷺ: ما يأتّمرك قومك؟ قال: يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني، قال من حدّثك بهذا؟ قال ربي، قال نعم الرب ربك فاستوص به خيراً. قال أنا أستوصي؟ بل هو يستوصي بي فنزلت الآية.

وقد تحدثوا بهذا الحديث فسمعه أبو طالب فبلّغه للنبي ﷺ، ولكن إجماع الرأي عليه والشروع في تنفيذه قد وقع بعد موت أبي طالب.

وقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أي إن دأبهم معك ومع من اتبعك من المؤمنين تدبير الأذى ولكن الله ﷻ محبب ما دبّروا، فقد أخرجك من بينهم إلى دار الهجرة، ووطن السلطان والقوة، والله خير الماكرين، لأن مكره نصر للحق، وإعزاز لأهله، وخذلان للباطل وحزبه (1).

ويقول الإمام الجزائري في تفسيره للآية: "يذكر تعالى رسوله والمؤمنين بنعمة من نعمه

تعالى عليهم فيقول لرسوله ﷺ: اذكر نعمة الله عليك، إذ يمكر المشركون للإيقاع بك فقد اجتمعت قريش في دار الندوة وأتمرت في شأن النبي ﷺ وفكرت ومكرت فأصدرت حكماً بقتله ﷺ وبعثوا من ينفذ جريمة القتل فطوقوا منزلة فخرج النبي ﷺ بعد أن رماه بحثية من تراب قائلًا شامت الوجوه، فلم يره أحد وخرج مهاجراً إلى المدينة وهذا معنى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ فكان في نجاته ﷺ من يد قريش نعمة عظيمة على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين الثعالبي والسيوطي للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل كلاهما عن ابن عباس، كما نقل السيوطي عن مجاهد وهو من التابعين، كما فسر السيوطي القرآن بالقرآن، وبذلك يكون قد سارا على منهجهما وهو التفسير بالمأثور.

(1) تفسير المراغي، المراغي، ج9/ 197-198

(2) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، ج2/ 302

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين المراغي والجزائري قد فسرا الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور، وبذلك فهما لم يسلكا المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

رابعاً: نهاية الصراع بين نبينا محمد ﷺ وكفار قريش:

وعد الله رسوله ﷺ بالنصر والتمكين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27].

والذي تعتبره الباحثة نهاية للصراع بين النبي ﷺ وقومه وفي ذلك يبشر الله ﷻ نبيه ﷺ بالنصر على العرب قاطبة، وتذكير بنعمة الله ﷻ على نبيه ﷺ وعلى المؤمنين بفتح مكة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ 1 وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا 2 فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 1-3]، وتناولت الباحثة هذه الآيات بالتفسير والمقارنة:

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآيات: قال سعيد بن جبير: كان أناس من المهاجرين قد وجدوا عمر وفي إدناؤه ابن عباس رضي الله عنهما دونهم وكان يسأله فقال عمر ﷺ: أما إنني سأريكم منه اليوم ما تعرفون به فضله فسأله عن هذه السورة إذا جاء نصر الله والفتح قال بعضهم: أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ إذا رأى الناس يدخلون في دين الله أفواجا أن يحمده ويستغفره فقال لابن عباس رضي الله عنهما تكلم، فقال أعلمه الله ﷻ متى يموت فقال: إذا جاء نصر الله والفتح فهي آيتك من الموت فسبح بحمد ربك، قال مقاتل: لما نزلت هذه السورة قرأ رسول الله ﷺ على أصحابه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فاستبشروا فسمع بذلك ابن عباس فبكى فقال النبي ﷺ ما يبكيك فقال نعتت نفسك فقال: صدقت فعاش بعد هذه السورة سنتين. وكان ﷺ يكثر من قول: "سبحانك ربي وبحمدك اللهم اغفر لي" وقال علي ﷺ لما نزلت هذه السورة مرض النبي ﷺ فخرج إلى الناس فخطبهم وودعهم ثم دخل المنزل وتوفي بعد أيام. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الفتح يعني: فتح مكة والطائف وغيرها. ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي رأيت الناس يدخلون في الإسلام وفداً بعد وفد فاعلم أن ذلك علامة على قرب انتهاء المهمة التي بُعِثت بها، فسبح بحمد ربك؛ شكرًا له على نعمة النصر والفتح، واطلب منه المغفرة، فهو سبحانه يقبل توبة عباده، ويغفر لهم⁽¹⁾.

(1) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج3/ 631

ويقول الإمام ابن عطية في تفسيره للآيات: قرأ ابن عباس: إذا جاء نصر الله والفتح، وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمعاً من الصحابة الأشياخ وبالحضرة لابن عباس عن معنى هذه السورة وسببها، فقالوا كلهم بمقتضى ظاهر ألفاظها، إن رسول الله ﷺ أمر عند الفتح التي فتحت عليه مكة وغيرها بأن يسبح ربه ويحمده ويستغفره، فقال لابن عباس: ما تقول أنت يا عبد الله؟ فقال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله بقربه إذا رأى هذه الأشياء، فقال عمر ما أعلم منها إلا ما ذكرت، وهذا المنزع الذي ذكره ابن عباس ذكره ابن مسعود وأصحابه رضي الله عنهم ومجاهد وقتادة والضحاك، وروت معناه عائشة عن النبي ﷺ وأنه عليه السلام لما فتحت مكة وأسلمت العرب جعل يكثر أن يقول «سبحان الله ويحمده، اللهم إني أستغفرك» والفتح: هو فتح مكة والطائف ومدن الحجاز وكثير من اليمن ودخول الناس في الإسلام أفواجاً، وكان بين فتح مكة إلى موته ﷺ، وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ يعقب ترجية عظيمة للمستغفرين، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: النصر هو صلح الحديبية، والفتح هو فتح مكة، وقال ابن عمر: نزلت هذه السورة على النبي ﷺ بمنى في وسط أيام التشريق في حجة الوداع وعاش بعدها ثمانين يوماً أو نحوها ﷺ (1).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال جماعة من علماء التفسير: "إذا تحقق نصر الله والفتح لك وللمؤمنين، ورأيت الناس يدخلون في دين الله ﷻ جماعات، فاشكر ربك، وسبح بحمده. واطلب مغفرته لك ولأمتك. إنه كان تَوَّابًا كثير القبول لتوبة عباده" (2).

وقال الإمام طنطاوي في تفسيره للآيات: "أعان الله تعالى نبيه ﷺ على أعدائه، حيث حقق له النصر عليهم، وفتح مكة، فإن أحياء العرب كانت تنتظر بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة، دخلوا في دين الله أفواجاً، فلم تمض سنتان حتى اجتمعت جزيرة العرب على الإيمان، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام، وإذا علمت ورأيت كل ذلك، فداوم على تسبيح ربك، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به .

إنه ﷻ كان وما زال كثير القبول لتوبة عباده التائبين إليه، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: 25] نسأل الله أن يجعلنا من عباده التائبين" (3).

(1) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج5/ 532

(2) انظر: المنتخب، جماعة من علماء التفسير، ج3/ 108

(3) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، ج15/ 531-532

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج صاحبي التفسير بالمأثور في تفسيرهما للآيات:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام السمرقندي وابن عطية للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل كلاهما عن الصحابة والتابعين، وذلك انسجاماً مع منهجهما العام وهو التفسير بالمأثور.

منهج صاحبي التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهما للآيات:

– كما تلاحظ الباحثة أن الإمام طنطاوي فسر بالمأثور حين استشهد بآية تفسيراً للآية، وبهذا يتبين للباحثة أن صاحب التفسير بالرأي قد سار على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم بإثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة.

– أما أصحاب تفسير المنتخب فقد فسروا الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور، وبذلك يكون أصحاب التفسير بالرأي لم يسلكوا المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

المبحث الثاني:

الصراع بين الأفراد كما يصوره القرآن الكريم.

مقارنة بين كتب التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود

من صور الصراع بين الحق والباطل في القرآن الكريم الصراع بين الأفراد، وقد تتبعته الباحثة آيات القرآن الكريم، وحصرته الصراع بين الأفراد، في المطالب الآتية.

المطلب الأول:

الصراع بين آدم عليه السلام وإبليس

تعد قصة آدم مع إبليس أول صورة من صور الصراع بين الحق والباطل، وقد رصدت الباحثة تسلسل هذا الصراع وحصرته في النقاط الآتية:

1. إخبار من الله سبحانه للملائكة أنه سيجعل في هذه الأرض من يكون خليفة عنه، يقيم أمرها، ويصلح شأنها فأشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30]
2. دعوة الله ﷻ للملائكة للسجود لآدم عليه السلام، واستجابتهم لأمره، وامتناع إبليس عن السجود قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:34]، وقد علل إبليس امتناعه عن السجود بعلم واهية، كقوله: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف:12]
3. وصية الله سبحانه لآدم عليه السلام، وتحذيره من إغواء إبليس اللعين، قال سبحانه: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه:117].
4. اسكان آدم وحواء الجنة، والنهي الإلهي له ولزوجته عن الاقتراب من الشجرة، قال ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:35]
5. وسوسة الشيطان لآدم عليه السلام بالأكل من الشجرة كانت سبباً في المعصية والغواية، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى 120 فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه:120-121]

6. عتاب الله ﷻ لآدم وزوجه لاستجابتهما لإغواء إبليس، قال ﷻ: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 22]، وهنا التمس آدم وحواء من ربهما الصبح والمغفرة، ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23].

7. إخراج آدم ﷻ وزوجه من الجنة، وتحذيره وذريته من إغواء إبليس وكيدته، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: 123].

8. الحكم الإلهي بحق إبليس بالطرد من الجنة، قال تعالى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: 13]، ولم يتقبل إبليس هذا الحكم، بل عقب عليه بقوله: ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: 16]، بيد أنه سبحانه رد عليه جراته ووقاحته، بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 42].

وكان نهاية الصراع أن أزلهما الشيطان، فأخرجهما من الجنة، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: 36] وهذه الآية التي سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة والتي تعتبرها نهاية الصراع بين آدم وزوجه مع إبليس.

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن عطية في تفسيره للآية: "قلم يزل الشيطان يوسوس لآدم وزجه ويزين لهما؛ حتى أوقعهما في الزلل والخطيئة بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها، قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وجمهور العلماء: أغواهما مشافهة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: 21] والمقاسمة: ظاهرها المشافهة، فكان جزاؤهما أن أخرجهما الله من الجنة التي كانا فيها، وقال الله لهما وللشيطان: انزلوا إلى الأرض، ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ جملة في موضع الحال، بعضكم أعداء بعض، ولكم في تلك الأرض استقرار وبقاء وتمتع بما فيها من خيرات من أكل ولبس وحياة، وحديث، وأنس، وغير ذلك، إلى أن تنتهي آجالكم، وتقوم الساعة⁽¹⁾.

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (ج1/ 128-129)

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ "يصح أن يكون الضمير في عنها عائداً إلى الجنة، فيكون معنى الكلام فأزالهما، أي: فنجاهما، ويصح أن يكون عائداً على أقرب المذكورين، وهو الشجرة، فيكون معنى الكلام كما قال الحسن وقتادة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أي: من قبيل الزلل، فعلى هذا يكون تقدير الكلام، ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ أي: بسببها، كما قال تعالى: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: 9] أي: يصرف بسببه من هو مأفوك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ أي: من اللباس والمنزل والرحب والرزق الهنيء والراحة، وأمرهما الله تعالى بالنزول إلى الأرض ليعيشا هما وذريتهما فيها، وقد نشأت بعدها العداوة بين البشر والشيطان، ولكم في الأرض قرار وأزاق وآجال إلى وقت مؤقت ومقدار معين، ثم تقوم القيامة" (1).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الواحدي في تفسيره للآية: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ "فأوقعهما في الخطيئة: بأن وسوس لآدم وزوجه حتى أكلا من الشجرة، فتسبب في إخراجهما من الجنة ونعيمها، وأمرهما الله ﷻ بالهبوط إلى الأرض ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: آدم وذريته، أعداء لإبليس وذريته، ولكم في الأرض استقرار وإقامة، ﴿وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ما تتمتعون به مما تُثبته الأرض إلى حين الموت" (2).

ويقول الإمام حومد في تفسيره للآية: "فأغرى الشيطان آدم ﷺ وزوجه بالشجرة، وحملهما على الوقوع في الزلل، وقيل إن معنى ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ نجاهما عن الجنة وعمّا كانا فيه من الحياة السعيدة برضا الله وفضله، فقال تعالى مخاطباً آدم وزوجه وإبليس: اهبطوا جميعاً من الجنة إلى الأرض، وسيكون لكم في الأرض قرار وأزاق وآجال إلى وقت معين هو يوم القيامة" (3).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج1/ 235-236)

(2) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، (ص: 100)

(3) أيسر التفاسير، حومد، ص43

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين ابن عطية وابن كثير للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسرا الآية بآية أخرى، كما فسرا بقول الصحابييين ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين الواحدي وحومد، لم يعتمد أي منهما على التفسير بالمأثور، عند تفسيرهما للآية، وبذلك لم يسلكا في هذا الموضوع المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود، والذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد، ثم اتباع ذلك بما فتح الله عليهم من آرائهم المحمودة.

المطلب الثاني:

الصراع بين ابني آدم عليه السلام

قصة ابني آدم عليهما السلام تمثل بداية الصراع بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، على الأرض، وقد صور القرآن الكريم، هذا الصراع في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة: 27-30] وتناولت الباحثة، هذه الآيات بالتفسير والمقارنة.

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

ذكر الإمام السمرقندي في تفسيره للآيات: قول الله ﷻ لنبيه ﷺ اقصص على بني إسرائيل خَبَرَ ابْنَيْ آدَمَ بالصدق ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ وذلك أن حواء عليها السلام ولدت غلاماً وجارية في بطن واحد قابيل وأخته إقليما، ثم ولدت في بطن آخر هابيل وأخته ليودا، فلما كبروا أمر الله تعالى بأن يزوج كل واحد منهما أخت صاحبه، وكانت أخت قابيل أحسن، فأبى قابيل وقال: بل زوج كل واحد منا أخته، فقال آدم ﷺ: إن الله تعالى أمرني بذلك، فقال له قابيل: إن

الله تعالى لم يأمرك بهذا، ولكنك تميل إلى هابيل، فأمرهما بأن يقربا قرباناً، فأيكما تُقبل قربانه كان أحق بها، فعمد قابيل وكان صاحب زرع إلى شر زرعه ووضعه عند الجبل، وعمد هابيل وكان صاحب مواشي إلى خير غنمه فوضعها عند الجبل، وكان قابيل يضمير في قلبه أنه إن تقبل منه أو لم يتقبل لا يسلم إليه أخته، فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل، وكان ذلك علامة القبول، وتركت قربان قابيل فذلك قوله: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ يعني وضعا قرباناً، ﴿فَتُضَلَّ مِنَ أَحَدِهِمَا...﴾ أي فتقبل الله قربان هابيل؛ لأنه كان تقياً، ولم يتقبل قربان قابيل؛ لأنه لم يكن تقياً، فحسد قابيل أخاه، وقال: لأقتلنك، فردَّ هابيل: إنما يتقبل الله ممن يخشونه، وإنما لم يتقبل منك، لعدم إخلاصك، فتوعد أخاه بالقتل، حقداً عليه، وقال بعض الحكماء: العاقل من يخاف على حسناته، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ والخاسر من يأمن من عذاب الله لأن الله تعالى قال: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99].

وقوله تعالى: ﴿لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ يعني هابيل قال لقابيل: لئن مددت يدك إليّ تقصد قتلي فلست مجازيك بمثل صنيعك، ذلك ليس جبناً مني، ولكني أخاف الله رب المخلوقات. فقال له مرهباً: إني أريد أن ترجع بإثم قتلي ظلماً وعدواناً إلى آثامك السابقة، فتكون من أصحاب النار الذين يدخلونها يوم القيامة، ذلك الجزاء جزاء المعتدين، وأنا لا أريد أن أرجع بإثم قتلك فأكون منهم. ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ يعني تابعت له نفسه على قتل أخيه ويقال: انقادت له طاعة نفسه (1).

ويقول الإمام الثعالبي في تفسيره للآيات: "يقول ﷺ لنبيه ﷺ قص على الناس وأخبرهم بقصة ابني آدم: وهما هابيل وقابيل، وكان سبب التقريب أن حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى، وكان الذكر يتزوج أنثى البطن الآخر، ولا تحل له أخته توعمته، فولدت مع قابيل أختاً جميلة، ومع هابيل أختاً ليست كذلك، فلما أراد آدم أن يزوجه من هابيل، قال قابيل: أنا أحق بأختي، فأمره آدم، فلم يآتمر، فاتفقوا على التقريب، فتقبل قربان هابيل، ووجب أن يأخذ أخت قابيل فحينئذ قال: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ وقول هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ كلام، قبله محذوف، تقديره: ولم تقتلني، وليس لي ذنب في قبول الله قرباني، وإنما يتقبل الله من المتقين، وقال له محذراً: لئن أغواك الشيطان فمددت يدك نحوي لنقتلني، فلن أعاملك بالمثل، ولن أمد يدي إليك لأقتلك، لأنني أخاف عذاب ربي، إني أريد أن ترجع حاملاً إثم قتلي، وإثمك الذي عليك قبل

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج1/ 468

ذلك، فتكون من أهل النار وملازميها، **﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾** يحتمل: أن يكون من قول هابيل لأخيه، ويحتمل: أن يكون إخباراً من الله تعالى لمحمد ﷺ، **﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾** أي: سهلت له نفسه قتل أخيه، فقتله، **﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾** الذين باعوا آخرتهم بدنياهم⁽¹⁾.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال " ليس من نفس تُقتل ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل " (2)

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال صاحب الجلالين في تفسيرهما للآيات: "يأمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ بأن يتلو على قومه خبر ابني آدم هابيل وقابيل بالحق، إذ قريا قرياناً، وهو كبش هابيل وزرع لقابيل، فتقبل من هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قريانه، ولم يتقبل من قابيل فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم قال له لأقتلنك قال لم؟ قال لتقبل قريانك دوني، فقال هابيل: إنما يقبل الله قُريان من اتقاه بامتنال أوامره واجتتاب نواهيه. وقال هابيل واعظاً أخاه: لئن مددت إلي يدك لتقتلني لا تجد مني مثل فعلك، وإني أخشى الله رب الخلائق أجمعين، في قتلك إنني أريد أن ترجع بإثم قتلي وإثمك الذي ارتكبته من قبل، فتكون من أصحاب النار، ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلنك فأكون منهم، وذلك جزاء المعتدين، فزينت لقابيل نفسه أن يقتل أخاه، فقتله، فصار من الخاسرين" (3).

ويقول أصحاب المنتخب في تفسيرهم للآيات: "إن حب الاعتداء في طبيعة بعض الناس، فاقراً أيها النبي على اليهود خبر هابيل وقابيل ابني آدم، حين تقرب كل منهما إلى الله بشيء، فتقبل الله قريان أحدهما لإخلاصه، ولم يتقبل من الآخر لعدم إخلاصه، فحسد أخاه وتوعده بالقتل حقداً عليه، فرد عليه أخوه مبيناً له أن الله لا يتقبل العمل إلا من الأتقياء المخلصين في تقربهم. وقال له محذراً: لئن أغواك الشيطان فمددت يدك نحوى لتقتلني، فلن أعاملك بالمثل،، لأنني أخاف عذاب ربي سبحانه، ولن أقاومك حين تقتلني، لتحمل ذنب قتلك لي، مع ذنبك في عدم إخلاصك لله من قبل، وبذلك تستحق أن تكون في الآخرة من أهل النار،

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج2/ 370-372

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب إثم من دعا إلى ضلالة، أو سن سنة سيئة، ج 9/ 103، رقم الحديث: 7321

(3) تفسير الجلالين، المحلي، السيوطي، ص 141

وذلك جزاء عادل من الله لكل ظالم. فسَهِّلت له نفسه أن يخالف الفطرة، وأن يقتل أخاه، وقتله، فصار في حكم الله من الخاسرين، إذ خسر إيمانه وخسر أخاه (1).

ملاحظة: هذه التسمية لابني آدم: قابيل، هابيل إنما هي من نقل العلماء عن أهل الكتاب، لم يرد بها نص في القرآن، ولا جاءت في سنة ثابتة، فيما نعلم، فلا علينا أن لا نجزم بها ولا نرجحها، وإنما هي قول قيل (2).

وأما حول أصل الخلاف الذي وقع بين الأخوين بسبب الزواج من الأخت لا أصل له فيما نعلم لا من قرآن أو سنة وإنما هو من الإسرائيليات، وإنما كان سبب الخلاف هو تقبل القرين من أحدهما، وعدم تقبله من الآخر، كما ورد في سياق الآيات .

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

– ترى الباحثة من خلال المقارنة بين أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود بأن كلا الفريقين لم يأخذا بالمأثور عدا الإمام الثعالبي، فقد استشهد بحديث، وقد يرجع ذلك، إلى عدم وجود تفسير للآيات المذكورة بآية أو بقول صحابي أو تابعي مما دفع كل مفسر أن يكتفي برأيه المحمود في تفسير الآيات. باستثناء الحديث الذي استشهد به الثعالبي، وفسر به الآية الكريمة.

المطلب الثالث:

الصراع بين إبراهيم عليه السلام والذي حاجه في ربه

من نماذج الصراع بين الأفراد، الصراع الذي دار بين إبراهيم عليه السلام والذي حاجه، فقد كان هذا الرجل مثلاً للتكبر والجحود والعصيان وادعاء الربوبية من دون الله تعالى، فلم يسبقه أحد من العالمين في جحوده وتجبره على الخلق، حيث عمّ في زمانه الكفر وطمّ؛ إذ كان قومه ينقلبون في دياجير (3) الجهل والضلالة منذ عبادتهم للأصنام والكواكب التي لا تسمع ولا تبصر ولا تملك لهم نفعاً ولا ضرراً، فاستخف قومه فنصب نفسه إلهاً من دون الله عز وجل، داعياً قومه إلى عبادته، فما كان منهم إلا أن أجابوه وأطاعوه (4).

(1) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، ص 150-151

(2) عمدة التفسير، شاكر: 4 / 123

(3) الديجور: الظلمة وجمعها دياجير، انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج4/ 278 مادة/ دجر، مجمع بحار الأنوار، الكجراتي، ج2/ 219

(4) مفاتيح الغيب، الرازي، ج 3/ 462

لم يكن إبراهيم عليه السلام يخاف في الله لومة لائم، ولذلك لما وصلت القضية إلى الطاغية المستنيد، قام إبراهيم لله بالحجة بين يديه فأمره ونهاه وقد سجل القرآن الكريم، ما دار بينهما من مناظرة أدت إلى إفحام وإسكات ذلك الطاغية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258]. وهذه الآية سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة.

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره للآية: "الذي حاج إبراهيم في ربه هو: نمرود بن كنعان⁽¹⁾، قال قتادة: هو جبار، اسمه نمرود بن كنعان، وهو أول من تجبر في الأرض، حاج إبراهيم في ربه. قال السدي: أخرجوا إبراهيم عليه السلام من النار فأدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه، فكلمه وقال: من ربك؟ قال: ربي الذي يحيي ويميت. قال نمرود: أنا أحيي وأميت، أنا آخذ أربعة نفر، فأدخلهم بيتاً، فلا يُطعمون ولا يُسقوا، حتى إذا هلكوا من الجوع، أطعمت اثنين وسقيتهما، فعاشا، وتركت الاثنين، فماتا فعرف إبراهيم أن له قدرة وتسلطاً في ملكه على أن يفعل ذلك. قال له إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وقال: إن هذ إنسان مجنون، فأخرجوه ألا ترون أنه مجنون، اجترأ على آهتكم فكسرهما، وأن النار لم تأكله، وخشي أن يفتضح في قومه.

وقال عكرمة في قوله: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ أي أنا أقتل من شئت، وأترك من شئت، وقال زيد بن أسلم: إن أول جبار كان في الأرض نمرود، وكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام. قال: فخرج إبراهيم عليه السلام، يمتار مع من يمتار، فإذا مر به ناس قال: من ربكم؟ قالوا: أنت. حتى مر به إبراهيم. قال: من ربك؟ قال: الذي يحيي ويميت. قال أنا أحيي وأميت. قال إبراهيم عليه السلام: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر فرده بغير طعام، فبهت الذي كفر: أي سكت، فلم يجبه بشيء، وقيل: وقعت عليه الحجة وتحير وانقطعت حجته، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يهديهم في الحجة عند الخصومة، بما هم عليه من الضلالة⁽²⁾.

(1) البداية والنهاية، ابن كثير، ج 1/ 342

(2) تفسير ابن أبي حاتم، أبي حاتم، ج 2/ 498-499

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره للآية: "الذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل: نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح. ويقال: نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح والأول هو قول مجاهد وغيره، وقال مجاهد: ملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة: مؤمنان وكافران فالمؤمنان: سليمان بن داود وذو القرنين. والكافران: نمرود بن كنعان وبختنصر.

ومعنى قوله: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾** أي: هل رأيت يا محمد أعجب من جرأة الطاغية الذي جادل إبراهيم عليه السلام في ربوبية الله وتوحيده، وذلك أنه أنكر أن يكون ثم إليه غيره كما قال بعده فرعون لملئه: **﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾** [القصص:38] وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ والمعاندة الشديدة إلا تجبره، وطول مدته في الملك؛ وذلك أنه يقال: إنه مكث أربعمئة سنة في ملكه؛ ولهذا قال: **﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾** وكأنه طلب من إبراهيم دليلاً على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم عليه السلام: **﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾** أي: الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها. وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له، فعند ذلك قال النمرود: **﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾** قال قتادة وغيره: وذلك أني أوتى بالرجلين قد استحقا القتل فأمر بقتل أحدهما فيقتل، وبالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة.

والظاهر أنه ما أراد هذا؛ لأنه ليس جواباً لما قال إبراهيم ولا في معناه؛ لأنه غير مانع لوجود الصانع. وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عناداً ومكابرة ويوهم أنه الفاعل لذلك وأنه هو الذي يحيي ويميت، كما اقتدى به فرعون، ولهذا قال له إبراهيم عليه السلام لما ادعى هذه المكابرة: **﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾** أي: إذا كنت كما تدعي من أنك أنت الذي تحيي وتميت، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود، في خلق ذواته، وتسخير كواكبه وحركاته فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلهاً كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب. فلما علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت أي: أحرص فلا يتكلم، وقامت عليه الحجة. فقال الله تعالى: **﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** أي: لا يلهمهم حجة ولا برهاناً بل حجتهم داحضة عند ربهم، وعليهم غضب ولهم عذاب شديد، وقال زيد بن أسلم ⁽¹⁾ بعث الله إلى ذلك الملك الجبار ملكاً يأمره بالإيمان بالله فأبى عليه ثم دعاه

(1) زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي، تابعي، الإمام، الحجة، القدوة، أبو عبد الله العدوي، العمري، المدني، الفقيه، حدث عن: والده؛ أسلم مولى عمر، كان من العلماء العاملين، ظهر لزيد من المسند أكثر من مائتي حديث، توفي سنة ست وثلاثين ومائة انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 5/316

الثانية فأبى ثم الثالثة فأبى وقال: اجمع جموعك وأجمع جموعي، فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس، وأرسل الله عليهم باباً من البعوض بحيث لم يروا عين الشمس وسلطها الله عليهم، ودخلت واحدة منها في منخري الملك فمكثت في منخريه أربعمئة سنة، عذبه الله بها فكان يضرب رأسه بالمطرقة الكبيرة، في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله بها⁽¹⁾.

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الصابوني في تفسيره للآية: في المحاجة تعجيب للسامع من أمر هذا الكافر، المجادل في قدرة الله أي ألم ينته علمك إلى ذلك المارد وهو النمرود بن كنعان الذي جادل إبراهيم عليه السلام في وجود الله؟ وقد وقع منه ذلك لأن الله آتاه الملك فطغى، فقابل الجود والإحسان بالكفر والطغيان، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: حين قال له إبراهيم عليه السلام مستدلاً على وجود الله إن ربي هو الذي يخلق الحياة والموت في الأجساد فهو وحده رب العالمين ﴿قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ أي قال ذلك الطاغية: وأنا أيضا أحيي وأميت، روي أنه دعا برجلين حكم عليهما بالإعدام فأمر بقتل أحدهما فقال: هذا قتلته، وأمر بإطلاق الآخر وقال: هذا أحبيته، ولما رأى الخليل حماقته في الدليل عدل إلى دليل آخر أجدى وأروع وأشد إfachماً ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ أي إذا كنت تدعي الألوهية وأنت تحيي وتميت كما يفعل رب العالمين، فإن ربي الذي أعبده يأتي بالشمس من جهة المشرق، فأت بها أنت من جهة المغرب، فما كان من الطاغية إلا أن تحير وانقطع، أي أخرس ذلك الفاجر بالحجة القاطعة، وأصبح مبهوراً دهشاً لا يستطيع الجواب، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يلهمهم الحجة والبيان في مقام المناظرة والبرهان بخلاف أوليائه المتقين⁽²⁾.

ويقول الإمام الزحيلي في تفسيره للآية: "ألم تعلم يا محمد قصة النمرود الملك المتجبر ملك بابل في العراق، الذي عارض إبراهيم عليه السلام وجادله في ربوبية الله تعالى، بسبب ملكه وسلطانه وما أعقبه من كبرياء وغرور، فكفر بأنعم الله، حين قال: يا إبراهيم من ربك؟ فقال: ربي هو الذي يحيي الناس ويميتهم، فهو المتفرد بالإحياء والإماتة، فقال النمرود: أنا أيضا أحيي وأميت، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أتى برجلين، فقتل أحدهما وعفا عن الآخر، وادعى أنه أحيا وأمات، وذلك مغالطة، لأن إبراهيم أراد أن الله هو الذي يخلق الحياة والموت في الأشياء، فقال له إبراهيم عليه السلام: إن الله يطلع الشمس من المشرق، فأطلعها من المغرب، وتلك

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 1/ 686

(2) صفوة التفاسير، الصابوني، ج 1/ 149

حجة لا تقبل المغالطة، فتحير ودهش الكافر، والله لا يوفق الكافرين إلى طريق الهداية، لابتعادهم عنه" (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين ابن أبي حاتم وابن كثير للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث أخذ الإمام ابن أبي حاتم عن قتادة، وزيد بن أسلم وهما من التابعين، أما ابن كثير فقد فسر القرآن بالقرآن، كما نقل عن مجاهد وقاتادة وهما من التابعين أيضاً.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن الزحيلي صاحب التفسير بالرأي قد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، فيكون الزحيلي قد سار على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة، أما الصابوني فلم يعتمد على شيء من ذلك عند تفسيره للآية، وبذلك لم يسلك في هذا الموضوع المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود الذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد.

المطلب الرابع:

الصراع بين يوسف عليه السلام وإخوته.

في قصة يوسف عليه السلام مثال واضح على وقوع الصراع بين الخير والشر، بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال، ولا يُحسم هذا الصراع لصالح الحق والخير إلا بالإيمان الصادق، واتخاذ كل الأسباب اللازمة الضرورية لمواجهة الباطل، فقد رأى يوسف عليه السلام في المنام رؤياه المشهورة، التي قال عنها سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:4] فكان موقف يعقوب عليه السلام كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف:5]، فوسوس الشيطان للإخوة فاتفقوا على أن يقتلوه، أو يطرحوه في أرض بعيدة حتى يغيب عن وجه أبيه، وكان إجماعهم على طرحه بالبئر، وبدأ الصراع بين يوسف عليه السلام وإخوته وبيصور الله سبحانه وتعالى، هذا الصراع بقوله: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي

(1)التفسير الوسيط، الزحيلي، ج1/ 150-151

غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ * فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿يوسف: 9 - 15﴾ وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة هذه الآيات.

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآيات: بدأت مؤامرة إخوة يوسف فقال بعضهم لبعض: اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً بعيداً من أبيكم، حتى يخلص لكم حب أبيكم وإقباله عليكم، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، وإذا غاب عنكم صلحت أحوالكم عند أبيكم، بعد ذهاب يوسف. ويقال: وتكونوا من بعد هلاكه قوماً تائبين إلى الله تعالى، وقال بعض الحكماء: هكذا يكون المؤمن، يهيب أمر التوبة قبل المعصية. ثم قال قائل من إخوة يوسف: لا تقتلوا يوسف فإن قتله عظيم، ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ يعني اطرحوه في أسفل البئر، يأخذه بعض من يمر عليه من المسافرين إن كنتم عازمين على فعل ما تقولون، ثم قال إخوة يوسف بعد اتفاقهم على إبعاده، يا أبانا ما لك لا تأمنا ما لك لا تأمنا على يوسف بأن ترسله معنا، وإنا له لحافظون ومحبون ومشفقون، ثم قالوا لأبيهم أرسله معنا غداً عندما نخرج إلى مراعيينا يسع وينشط ويفرح، ويلعب بالاستباق ونحوه من اللعب المباح، وإنا لحافظون له. قال مجاهد: يحفظ بعضنا بعضاً، وقال قتادة: ننشط ونسعى ونلهو، فقال لهم يعقوب عليه السلام: إني ليحزنني أن تذهبوا به يعني: إن ذهابكم به ليحزنني، وأخاف أن تضيعوه فيأكله الذئب، وأنتم عنه مشغولون بأمركم، قال إخوة يوسف لوالدهم: لئن أكله الذئب، ونحن جماعة قوية إنا إذاً لعاجزون. فلما قالوا ذلك رضي بخروجه معهم، فبعثه معهم، وأوصاهم عند خروجه أن يحسنوا إليه، ويتعاهدوا أمره، ويردوه إذا طلب الرجوع. فقبلوا ذلك منه. فلما ذهبوا به واجمعوا على إلقائه في جوف البئر، ثم أظهروا له العداوة، فجعل أحدهم يضربه فيستغيث بالآخر، فيضربه الآخر، فجعل لا يرى منهم رحيماً، فضربوه حتى كادوا أن يقتلوه وأوحينا إلى يوسف لتخبرن إخوتك مستقبلاً بفعلهم هذا الذي فعلوه بك، وهم لا يجسسون بذلك الأمر ولا يشعرون به⁽¹⁾.

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: "ذكر الله تعالى مؤامرة إخوة يوسف عليه السلام بقوله: ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم﴾ أي هذا الذي يراحمكم في محبة أبيكم

(1) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج2/ 181-182

لكم، أعدموه من وجه أبيكم، ليخلو لكم وحدكم، إما بأن تقتلوه، أو أن تلقوه في أرض من الأراضي تستريحوا منه وتخلوا بأنتم بأبيكم، ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾، فأضرموا التوبة قبل الذنب ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ قال قتادة: كان أكبرهم واسمه روبيل، وقال السدي، الذي قال ذلك يهوذا، وقال مجاهد: هو شمعون ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ أي لا تصلوا في عداوته وبغضه إلى قتله، ولم يكن لهم سبيل إلى قتله، لأن الله تعالى كان يريد منه أمراً لا بد من إتمامه وإتمامه، من الإيحاء إليه بالنبوة، ومن التمكين له ببلاد مصر والحكم بها، فصرفهم الله عنه بمقالة روبيل فيه، وإشارته عليهم بأن يلقوه في أسفل البئر ﴿يَلْتَقِظُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ أي المارة من المسافرين فتستريحوا منه بهذا، ولا حاجة إلى قتله، إن كنتم عازمين على ما تقولون، قال محمد بن إسحاق: لقد اجتمعوا على أمر عظيم من طبيعة الرحم، وعقوق الوالد، وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، وليفروا بينه وبين أبيه وحببيه على كبر سنه ورقة عظمه، مع مكانه من الله من أحبه طفلاً صغيراً، وبين ابنه على ضعف قوته وصغره وحاجته إلى لطف والده وسكونه إليه، يغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين، فقد احتملوا أمراً عظيماً لما تواطأوا على أخذه وطرحه في البئر كما أشار به عليهم أخوهم الكبير، وجاءوا أباهم يعقوب عليه السلام فقالوا: ما بالك ﴿لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ وهذه توطئة ودعوى وهم يريدون خلاف ذلك لما له في قلوبهم من الحسد لحب أبيه له، ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي ابعته معنا يسعى وينشط، ونحن نحفظه ونحوطه ولهذا قال تعالى مخبراً عن نبيه يعقوب عليه السلام أنه قال لابنيه في جواب ما سألوا من إرسال يوسف معهم إلى الرعي في الصحراء: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ أي يشق عليّ مفارقتهم مدة ذهابكم به إلى أن يرجع، وأخشى أن يأكله الذئب، وأنتم عنه غافلون منشغلون، فأخذوا من فمه هذه الكلمة وجعلوها عذرهم فيما فعلوه، وقالوا مجيبين له عنها في الساعة الراهنة: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ أي: لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا ونحن جماعة، إنا إذا لهالكون، فلما ذهب به إخوته من عند أبيه بعد مراجعتهم له في ذلك، وأجمعوا رأيهم في إلقائه في غور البئر، ونفذوا ما عزموا عليه، فأوحى الله ﷻ إلى يوسف في ذلك الحال الضيق تطيباً لقلبه، وتثبيتاً له: إنك لا تحزن مما أنت فيه، فإن لك من ذلك فرجاً ومخرجاً حسناً، وسينصرك الله عليهم ويعليك ويرفع درجتك، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا التصنيع، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال مجاهد وقاتادة: بإيحاء الله إليه، وقال ابن عباس: ستنبئهم بصنيعهم هذا في حقلك وهم لا يعرفونك ولا يشعرون بك" (1).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج4/ 372-374

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا...﴾ أي: اقتلوا يوسف أو غيبوه عن أبيه في أرض بعيدة لا يتمكن من رؤيته فيها، حتى يتفرغ لكم، ويقبل عليكم بالشفقة والمحبة، ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد هذا الصنيع ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ أي: تتوبون إلى الله، وتستغفرون من بعد ذنبكم، فقدموا العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهياً لفعله، وإزالة لشناعته، وتنشيطاً من بعضهم لبعض، فقال قائل من إخوة يوسف الذين أرادوا قتله أو تبعيده: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ فإن قتله أعظم إثماً وأشنع، والمقصود يحصل بتبعيده عن أبيه من غير قتل، وألقوه فيما يغيب عن العيون من غور البئر، يلتقطه بعض السائرين في الطريق، إذا ألقى دلوه في البئر، فيذهب به بعيداً عنكم وعن أبيه، إن كنتم مصرين على إبعاده وتحقيق غرضكم بالفعل، فقالوا بعد أن تم اتفاقهم على إبعاد يوسف: ﴿يَا أَبَاتَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ أي: لأي شيء يدخلك الخوف منا على يوسف، من غير سبب ولا موجب؟ ونحن ناصحون له بحفظه ورعايته حتى يعود إليك سالماً، وهذا يدل على أن يعقوب عليه السلام لا يترك يوسف يذهب مع إخوته للبرية ونحوها، فلما نفوا عن أنفسهم التهمة المانعة من عدم إرساله معهم، ذكروا له من مصلحة يوسف وأنسه الذي يحبه أبوه له، ما يقتضي أن يسمح بإرساله معهم، فقالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ﴾ أي: يبتزه في البرية ويستأنس. ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أي: سنراعيه، ونحفظه من أي أذى يريده، فأجابهم بقوله: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ أي: مجرد ذهابكم به يحزني ويشق علي، لأنني لا أقدر على فراقه، ولو مدة يسيرة، فهذا مانع من إرساله، ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الدِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ أي: في حال غفلتكم عنه، لأنه صغير لا يمتنع من الذئب. ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الدِّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة، حريصون على حفظه، ﴿إِنَّا إِذَا لَحَايَرُونَ﴾ أي: لا خير فينا ولا نفع يرجى منا إن أكله الذئب وغلبنا عليه.

فلما مهدوا لأبيهم الأسباب الداعية لإرساله، وعدم الموانع، سمح حينئذ بإرساله معهم لأجل أنسه. فأرسله يعقوب معهم، فلما ذهبوا به، وعزموا على رميه في قعر البئر، أوحينا إلى يوسف وهو في تلك الحال الحرجة، ﴿لَنُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: سيكون منك معاتبة لهم، وإخبار عن أمرهم هذا، وهم لا يشعرون بذلك الأمر، ففيه بشارة له، بأنه سينجو مما وقع فيه، وأن الله سيجمعه بأهله وإخوته على وجه العز والتمكين له في الأرض (1).

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: 394-395

ويقول الإمام الصابوني في تفسيره للآيات: "يجتمع إخوة يوسف فيقولون: أقتلوا يوسف أو ألقوه في أرض بعيدة مجهولة، فعند ذلك يخلص ويصفو لكم حب أبيكم، فيقبل عليكم، وتتوبوا من بعد هذا الذنب وتصبحوا قوماً صالحين، فقال لهم أخوهم يهوذا وهو أكبر ولد يعقوب: لا تقتلوا يوسف بل ألقوه في قعر الجب وغوره، يأخذه بعض المارة من المسافرين، أي إن كان لا بد من الخلاص منه فاكتفوا بذلك، وكان رأيه فيه أهون شراً من رأي غيره، ولما اتفقوا على إبعاده قالوا لأبيهم يعقوب عليه السلام: أي شيء حدث لك حتى لا تأمنا على أختنا يوسف، ونحن جميعاً أبناءك؟ ونحن نشفق عليه ونريد له الخير قال المفسرون: لما أحكموا العزم ذكروا هذا الكلام وأظهروا عند أبيهم أنهم في غاية المحبة ليوسف، وفي غاية الشفقة عليه، ليستنزلوه عن رأيه في تخوفه منهم وكأنهم قالوا: لم تخافنا عليه ونحن نحبه ونريد الخير به، أرسله معنا غداً إلى البادية، يتسع في أكل ما لذ وطاب ويلهو ويلعب بالاستباق وغيره، ونحن نحفظه من كل سوء ومكروه، قال لهم يعقوب عليه السلام: إنه ليؤلمني فراقه لقلّة صبري عنه، وأخاف أن يفترسه الذئب في حال غفلتكم عنه، وكأنه لفتهم الحجة قال الزمخشري: اعتذر إليهم بشيئين: أحدهما: أن ذهابهم به ومفارقتهم إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة، والثاني: خوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم، وقالوا لأبيهم: لئن أكل الذئب يوسف ونحن جماعة إنا في هذه الحال لا خير فينا، فنحن خاسرون إذ لم نمنعه من الذئب، فأرسله معهم فلما أخذوه وابتعدوا به عن أبيه وعزموا واتفقوا على إلقائه في غور الجب، أوحينا إلى يوسف عليه السلام لتخبرن إخوانك بفعلهم هذا الذي فعلوه بك وهم لا يشعرون في ذلك الوقت أنك يوسف، قال الرازي: وفائدة هذا الوحي تأنيسه، وتكسين نفسه، وإزالة الغم والوحشة عن قلبه، بأنه سيحصل له الخلاص من هذه المحنة: (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين السمرقندي وابن كثير للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث أخذوا عن التابعين، أمثال: قتادة ومجاهد .

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم الآيات:

– تلاحظ الباحثة أن الإمامين السعدي والصابوني لم يعتمد أيّ منهما على المأثور عند تفسيرهما للآيات، وبذلك لم يسلكا في هذا الموضوع المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود، الذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد.

(1) صفة التفاسير، الصابوني، ج2/ 38

المطلب الخامس:

الصراع بين موسى عليه السلام والسحرة.

دعا فرعون جماعته واستشارهم في أمر موسى عليه السلام وما رأى منه، فأشاروا عليه بجمع السحرة ليبتلوا حسب زعمهم ما جاء به موسى، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿قَالُوا أُرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا ثُؤُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الأعراف 111-112] فذهب فرعون يجمع السحرة حتى اجتمع له خلق كثير منهم، ولما اجتمعوا عنده طلب منهم أن يجمعوا قواهم ويوحدوا هدفهم وجهودهم ليبتلوا على زعمه سحر موسى، وأخذ يُغريهم بالمال والمنصب، إذا تمكنوا من موسى وغلبوه بسحرهم، كما قال تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ 38 لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْعَالِيِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء 38-42] وكان موعد اللقاء يوم عيد لفرعون يجتمع فيه مع الرعية في وضح النهار من الضحى قال تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسَ صُحًى﴾ [طه 57-59]، فجاء موسى عليه السلام حاملاً عصاه في يده ومعه أخوه هارون في الموعد المحدد، فبدأت المباراة بين موسى عليه السلام والسحرة وانتهت بإعلان السحرة إيمانهم بالله تعالى: ﴿وَيَلْكُمُ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه: 61] فكان ردهم كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: 65-70] وهذه الآيات هي التي سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة:

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآيات: "خير السحرة موسى عليه السلام في أن يبتدئ بالإلقاء أو يتأخر بعدهم، وكان عددهم بالآلاف، بقولهم: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى﴾ أي تطرح عصاك على الأرض، وإما أن نبدأ نحن فنلقي ما معنا، قال لهم موسى عليه السلام: بل ألقوا أنتم ما معكم أولاً فألقوا حبالهم وعصيهم، فتراعت إلى موسى عليه السلام من قوة سحرهم أنها

حيات تسعى، فخاف موسى ﷺ أن لا يظفر بالنصر إن صنع القوم مثل ما صنع؛ ويقال :
خاف من الحيات من جهة الطبع . فأوحى الله تعالى إلى موسى ﷺ أن لا تخف فأنت الغالب
المنتصر على باطلهم، واطرح العصا التي بيمينك لتبتلع ما عملوا من السحر، إن صنيعهم لا
يجاوز تمويه السحر، وإن الساحر لا يفوز حيثما كان وذهب .

فألقي موسى عصاه، فإذا بها تتقلب حقاً بقدرة الله حية كبيرة مخيفة، وابتلعت كل ما
أعدوه، ﴿قَالَ لِي السِّحْرَةُ سُجْدًا﴾ من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا قائلين: ﴿أَمَّا رَبِّ هَارُونَ
وَمُوسَى﴾ أي صدقنا بالله ﷻ" (1).

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: "يقول تعالى مخبراً عن السحرة حين توافقوا هم
وموسى ﷺ، فقالوا لموسى: إما أن تبدأ فتلقى عصاك، أو أن نكون نحن البادئين أولاً، قال
موسى ﷺ بل ألقوا أنتم أولاً؛ لنرى ماذا تصنعون من السحر، وليظهر للناس جلية أمرهم، فإذا
فرغ من بهرجهم ومحالهم، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلب له وانتظار لمجيئه، فيكون
أوقع في النفوس، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: خيلوا إلى
الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال، كما قال تعالى:
﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ تُجَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ
وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ﴾ [الشعراء:44] قال ابن عباس رضي الله عنهما:
ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طويلاً. قال: فأقبلت يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى، فإذا حيات، قد
ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً، وجاءوا بسحر قوي في أعين الناظرين، فأوحى الله ﷻ إلى
موسى ﷺ في ذلك الموقف العظيم، الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل، يأمره بأن يلقي
ما في يمينه وهي عصاه، فإذا هي تأكل ما يلقونه ويوهمون أنه حق، وهو باطل، قال ابن
عباس رضي الله عنهما: فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا من خشبهم إلا التقمته، فعرفت
السحرة أن هذا أمر من السماء، وليس هذا بسحر، فخرروا سجداً وقالوا: ﴿أَمَّا رَبِّ هَارُونَ
وَمُوسَى﴾ لو كان هذا سحرًا ما غلبنا" (2).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي:

قال الإمام الزحيلي في تفسيره للآيات: "لما بدأت المبارزة، والتقى الفريقان، قالت
السحرة لموسى حين تقابلوا معه: اختر أحد الأمرين: إما أن تلقي أنت أولاً ما تريد، وإما أن نلقي

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج3/102

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج5/301-303

نحن ما معنا من العصي والحبال على الأرض، وهذا التخيير مع تقديمه في الكلام أدب حسن وتواضع له، ألهمهم الله به، ورزقوا الإيمان ببركته، فقابل موسى ﷺ أدبهم بأدب، فقال:

بل ألقوا أنتم أولاً، لنرى سحركم وتظهر حقيقة أمركم، ولتكون معجزته أظهر، وليظهر عدم المبالاة بسحرهم، فألقوا ما معهم من الحبال والعصي، فتوهم لموسى ولمن رآهم من الناس أنها تتحرك بسرعة كالأفاعي، وجاء في آية أخرى قال تعالى: ﴿فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ﴾ [الشعراء:44] وذلك أنهم حشوها بالزئبق الذي يتأثر بحرارة الشمس، أو بمادة أخرى تتأثر بالحرارة، فيخيل للناظر أنها تسعى باختيارها، وكأن الوادي امتلاً حيات يركب بعضها بعضاً، فأحس موسى بالخوف من أن يغلب، متأثراً بالطبيعة البشرية. وابتهج فرعون وقومه، وظنوا أنهم قد نجحوا، وأن السحرة فازوا على موسى وهارون عليهما السلام.

فقال الله ﷻ لموسى ﷺ: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ لا تخف، فإنك أنت المستعلي عليهم بالظفر والغلبة، وألق يا موسى العصا التي في يمينك، تبتلع بعد أن تصير حية جميع ما صنعوه من الحبال والعصي، وسحروا بها أعين الناس، إن الذي صنعوه ليس إلا سحراً خيالياً لا حقيقة له ولا بقاء، ولا يفوز الساحر حيث أتى من الأرض، أو حيث احتال، وأنه لا يحصل مقصوده بالسحر، خيراً كان أو شراً. وأبهم العصا تهويلاً لأمرها، ولأنها ليست من جنس العصي المعروفة. فقامت المعجزة، واتضح البرهان، وظهر الحق، وبطل السحر، ودهش الناس الذين ينظرون، وأدرك السحرة أن السحر لا يفعل هذا أبداً، وأن هذا خارج عن طاقة البشر، وأنه من فعل الإله خالق الكون، فأمنوا كما قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ فسجدوا لله وآمنوا برسالة موسى ﷺ، قائلين: آمنا برب العالمين، رب هارون وموسى، ولم يقولوا برب العالمين فقط لأن فرعون ادعى الربوبية في قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات:24] وادعى الألوهية في قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:38] فلو أنهم قالوا: آمنا برب العالمين فحسب، لقال فرعون إنهم آمنوا بي، لا بغيري، فاختراروا هذه العبارة لإبطال قوله، مفضلين الآخرة على الدنيا، والحق على الباطل، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء ببرة⁽¹⁾.

ويقول الإمام الجزائري في تفسيره للآيات: "قال السحرة بأمر فرعون: ياموسى إما أن تبدأ بإظهار ما عندك من فنون السحر، وتلقيه أمام الناس والملك، وإما أن نكون نحن البادئين. فقال لهم موسى ﷺ: بل ألقوا، فالفوا عندئذ فإذا حبالهم وعصيتهم وكانت ألوفاً فغطت الساحة

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج16/242-243

وهي تتحرك وتضطرب لأنها مطلية بالزئبق فلما سخنت بحر الشمس صارت تتحرك وتضطرب الأمر الذي خيل فيه لموسى أنها تسعى فشعر موسى بخوف في نفسه فأوحى الله ﷻ إليه في نفس اللحظة: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ أي الغالب القاهر لهم. واطرح العصا التي بيدك اليمنى تنقلب حية تبتلع ما صنعوه من السحر، فما صنعوه ليس إلا كيدا سحرياً، ولا يفوز الساحر بما أراد ولا يظفر به أبداً لأنه مجرد تخيلات يريها غيره، وليس لها حقيقة ثابتة لا تتحول، ولما شاهد السحرة ابتلاع العصا لكل حبالهم وعصيهم عرفوا أن ما جاء به موسى ليس سحراً وإنما هو معجزة سماوية، فألقوا بأنفسهم على الأرض ساجدين لله رب العالمين، من عظمة المعجزة وقالوا بوضوح ﴿أَمَّا رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ ورب كل شيء " (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام ابن كثير، فسر القرآن بالقرآن، ويقول الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، فيكون بذلك قد التزم منهجه وهو التفسير بالمأثور، أما الإمام السمرقندي فقد فسر الآيات تفسيراً إجمالياً فيكون في هذا الموضوع لم يسير على منهجه وهو التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام الزحيلي فسر القرآن بالقرآن، ويقول الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، فيكون قد سار على المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود.
- أما الإمام الجزائري فقد فسر الآيات تفسيراً إجمالياً ولم يسلك في هذا الموضوع المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يعتمد على التفسير بالمأثور أولاً.

(1) أيسر التفاسير، الجزائري، ج3/ 361

المطلب السادس:

الصراع بين طالوت عليه السلام وجالوت.

قصة طالوت وجالوت من القصص القرآنية، التي وقع فيها الصراع بين الحق والباطل،

ويستفاد من القصة ما يلي:

1. تعنت بني إسرائيل مع أنبيائهم، فقد طلبوا من نبي لهم أن يختار لهم ملكاً يقودهم في المعارك، ف جاء اختيار طالوت من الله تعالى، في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ 246 وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ [البقرة: 246-247]

2. اعتراض بني إسرائيل اعتراضوا وجعل أحقية الملك لهم تكبراً واستخفافاً بغيرهم، ولكونه لم يؤت ثروة مادية، قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 247] ولكنه قبل أن يعينه قال لهم: {هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا} [البقرة: 246] فكان ردهم ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: 246].

وبعد أن اختار الله تعالى طالوت ملكاً، قام طالوت بتجهيز جيش قادر على مواجهة العماليق بقيادة جالوت، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَبِيرَةً يَا ذَنُ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: 249-251] وهذه هي الآيات التي سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة:

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام الثعلبي في تفسيره للآيات: "لما خرج طالوت بالجنود، من بيت المقدس وهم يومئذ سبعون ألف مقاتل، وقيل: ثمانون ألفاً ولم يتخلف عنه إلا كبير لهرمه، أو مريض لمرضه، أو ضرير لضعفه، أو معذور لعدوه، وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا: قد أتانا التابوت وهو النور لا شك فيه، فتسارعوا إلى الجهاد، فقال طالوت: لا حاجة لي في كل ما أرى، لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه، ولا صاحب تجارة مُشْتَغَل بها، ولا رجل عليه دين، ولا رجل تزوج بامرأة لم يذن لها ولا أبتغي إلا الشاب النشط الفارع، فاجتمع ثمانون ألفاً ممن شرطه وكان في حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم، وقالوا: إن المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجري لنا نهراً، فقال طالوت: إن الله مختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم بنهر، قال ابن عباس رضي الله عنهما هو نهر فلسطين، وقال قتادة: نهر بين الأردن وفلسطين عذب.

وقوله: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي ليس من أهل ديني وطاعتي، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ فإنه مني نظير قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: 93] ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ إلا من اضطر فشرب مقدار غرفة بكف يده فلا شيء عليه، فشرب الجنود إلا قليلاً منهم صبروا على عدم الشرب مع شدة العطش، واختلفوا في القليل الذين لم يشربوا، فقال السدي: كانوا أربعة آلاف، وقال غيره: ثلاث مائة وبضعة عشر وهو الصحيح، يدل عليه قال البراء ابن عازب رضي الله عنه، حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرًا: أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت، الذين جازوا معه النهر، بضعة عشر وثلاث مائة قال البراء: "لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن" (1). ثم يبين الله ﷻ أن من اغترف غرفة كما أمر الله سبحانه، قوي قلبه، وصح إيمانه، وعبر النهر سالماً، وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه ودوابه، والذين شربوا وخالفوا أمر الله، سودت شفاههم، وغلبهم العطش، فلم يروا وبقوا على شط النهر، وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح، فلما جاوز طالوت والذين آمنوا معه النهر، قال الذين شربوا وخالفوا أمر الله ﷻ وكانوا أهل شك ونفاق لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت، قال الذين يوقنون ويعلمون أنهم ملاقوا الله وهم الذين ثبتوا مع طالوت، كم من طائفة مؤمنة قليلة العدد غلبت طائفة كافرة كثيرة العدد بإذن الله وعونه، فالعبرة في النصر بالإيمان لا بالكثر، والله مع الصابرين من عباده يؤيدهم وينصرهم، ولما خرجوا ظاهرين لجالوت

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي/ باب عدة أصحاب بدر، ج5/ 73، رقم الحديث: 3957

وجنوده توجهوا إلى الله بالدعاء قائلين: ربنا صُبَّ على قلوبنا الصبر صبًّا، وثبت أقدامنا وقو قلوبنا وانصرنا على القوم الكافرين وفي الآية إضمار تقديره: فأَنْزَلَ اللهُ عليهم صبراً ونصراً فهزمهم بإذن الله وقتل داود جالوت" (1).

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: "يقول تعالى مخبراً عن طالوت ملك بني إسرائيل حين خرج في جنوده ومن أطاعه من ملأ بني إسرائيل وكان جيشه يومئذ فيما ذكره السدي ثمانين ألفاً فالله أعلم، أنه قال: إن الله مختبركم بنهر، قال ابن عباس وغيره: وهو نهر بين الأردن وفلسطين يعني: نهر الشريعة المشهور، فمن شرب منه فليس على طريقتي، ولا يصاحبني في قتال، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ أي: فلا بأس عليه فشرب الجنود إلا قليلاً منهم صبروا على عدم الشرب مع شدة العطش، قال ابن عباس: من اغترف منه بيده روي، ومن شرب منه لم يُرَوْ. قال البراء بن عازب رضي الله عنه، حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرًا: "أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت، الذين جازوا معه النهر، بضعة عشر وثلاث مائة" قال البراء: "لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن" (2).

قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾

أي: استقلوا أنفسهم عن لقاء عدوهم لكثرتهم فشجعهم علماءهم العالمون بأن وعد الله حق فإن النصر من عند الله ليس عن كثرة عدد ولهذا قالوا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: لما واجه حزب الإيمان من أصحاب طالوت عدوهم أصحاب جالوت فزعوا إلى الله بالدعاء والضراعة قائلين: ربنا أنزل على قلوبنا صبراً عظيماً، وثبت أقدامنا، واجعلها راسخة في قتال العدو، لا تفر من هول الحرب، وانصرنا بعونك وتأيدك على القوم الكافرين. فاستجاب الله دعاءهم فغلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم، وقتل داود ﷺ جالوت قائد الجبابرة، وأعطى الله عز وجل داود بعد ذلك الملك والنبوة في بني إسرائيل، وعلمه مما يشاء من العلوم" (3).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الواحدي في تفسيره للآيات: "فلما خرج طالوت بالجنود من الموضع الذي كانوا فيه إلى جهاد العدو، قال لهم طالوت مرشداً: إن الله تعالى مختبركم بنهر فلسطين ليتميز

(1) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ج2/ 215-217

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي/ باب عدة أصحاب بدر، ج5/ 73، رقم الحديث: 3957

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/ 668-669

المُحَقُّ الصادق ومن له نية في الجهاد من المعذر_ الذي تكلف العذر وهو كاذب_ فمن شرب من مائه، فليس من أهل ديني، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمُهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ أي: مرة واحدة أي: أخذ منه بجرة أو قربة وما أشبه ذلك مرة واحدة قال لهم طالوت: من شرب من النهر وأكثر فقد عصى الله ﷻ ومن اغترف غرفة بيده فلا لوم عليه، فهجموا على النهر بعد عطش شديد، فوقع أكثرهم في النهر، وأكثروا الشرب فهؤلاء جبنوا عن لقاء العدو، وأطاع قوم قليل عددهم فلم يزيدوا على الاعتراف فقويت قلوبهم وعبروا النهر، فذلك قوله: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فلما جاوز طالوت النهر هو والذين آمنوا معه، قال الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ فأجاب الذين يوقنون بلقاء الله ﷻ، يُذَكِّرُونَ إِخْوَانَهُمْ بِاللَّهِ وَقَدْرَتِهِ قَائِلِينَ: كم من جماعة قليلة مؤمنة صابرة، غلبت بإذن الله وأمره جماعة كثيرة كافرة باغية. والله مع الصابرين بتوفيقه ونصره، وحسن ثوابه، ولما تقدم المؤمنون لقتال جالوت وجيشه اتجهوا إلى الله داعين: بَأَنْ يُقَوِّى عَزَائِمَهُمْ وَيَثْبِتَهُمْ فِي مِيدَانِ الْقِتَالِ، وينصرهم على أعدائهم الكافرين، فهزموا عدوهم بإذن الله تعالى وقتل داود ﷺ جالوت قائد الكفار، وأعطى الله ﷻ لداود ﷺ الحكم بعد طالوت والنبوة والعلم (1).

ويقول الإمام حومد في تفسيره للآيات: "لما خرج طالوت بجيشه من البلد متجهاً إلى حرب الأعداء، وكان الوقت حاراً، سأل بنو إسرائيل طالوت الماء، فقال لهم إن الله مختبركم بنهر ستمرون به، وهو نهر الأردن، فمن شرب منه فلا يصاحبني، ومن لم يشرب منه فليصاحبني، ولكن لا بأس في أن يغترف الواحد غرفة بيديه يبل بها ريقه، فتمرد أكثرهم، وشربوا من النهر، وبقي طالوت في فئة قليلة من جنوده، فاجتاز بهم النهر، فلما نظر أصحاب طالوت إلى قلة عددهم، وكثرة عدوهم، قالوا: إنهم لا يستطيعون محاربة جالوت وجنوده لقلة عددهم، فشجعهم علماؤهم، بأن وعد الله حق، والنصر من عنده، وليس بكثرة العدد والعدة، وكثيراً ما غلبت قوة صغيرة مؤمنة مخلصه في قتالها، فئة كثيرة العدد بإذن الله، والله يؤيد الصابرين وينصرهم .

ولما تقدم المؤمنون المتوكلون على الله مع طالوت لقتال جالوت وجنوده، دعوا الله ﷻ أن ينزل عليهم الصبر على الشدة، وأن يثبت أقدامهم عند لقاء أعدائهم، وأن يجنبهم العجز والفرار، وأن يمن عليهم بالنصر على القوم الكافرين، فهزم المؤمنون الذين كانوا مع طالوت

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدى، ص: 180

أعداءهم الكافرين بإذن الله ﷻ، وقتل داود عليه السلام جالوت ملك الكفار، ومن الله على داود بأن آتاه الملك_ الذي كان بيد طالوت_ والنبوة، وعلمه الله من العلم الذي اختصه به⁽¹⁾.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين الثعلبي وابن كثير للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث أخذ الإمام الثعلبي عن مقاتل وهو من التابعين، كما استشهد هو وابن كثير بحديث صحيح، كما أخذ ابن كثير عن ابن عباس.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن الإمامين الواحدي وحومد، قد فسرا الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبذلك لم يسلكا المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور .

المطلب السابع:

الصراع بين الصاحبين في قصة أصحاب الجنتين.

يضرب الله ﷻ مثلاً لرجلين في الماضي، كان بينهما صلة وصحبة، أحدهما مؤمن والآخر كافر، واكتفى القرآن بذكر قصتهما، فلم يذكر لنا أسماءهما، ولا مكانهما، ولا زمانهما، مكتفياً بأخذ العبرة والعظة، فقد ابتلى الله ﷻ الرجل الكافر بأن بسط له الرزق، ووسع عليه في دنياه، وآتاه من نعمه التي تعدُّ ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا 32 كَلِمَاتٍ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ [الكهف:32-33].

فأعجب الرجل بجننتيه، وامتلأت نفسه بهما، فلم يؤمن، ولم يشكر الله على النعمة، وهنا يبدأ الصراع بين الصاحبين، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا *

(1) أيسر التفاسير، حومد ص: 257-258

وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا* فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿ [الكهف:34-42] وهذه الآيات هي التي سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة:

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام البغوي في تفسيره للآيات: "كان لصاحب البستان أموال وثمار أخرى، فقال لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ليؤثر فيه مُغْتَرًا: أنا أكثر منك أموالاً، وأعرُّ منك جانباً، وأقوى عشيرة ورهطاً، قال قتادة: خدماً وحشماً⁽¹⁾، وقال مقاتل: ولداً تصديقه قوله تعالى: ﴿إِنَّ تَرَنَ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [الكهف-39]، ودخل الكافر حديقته في صحبة المؤمن ليريه إياها وهو ظالم لنفسه بالكفر وبالعُجب، قال الكافر: ما أظنُّ أن تفنى هذه الحديقة؛ راقه حسننها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفنى أبداً وأنكر البعث فقال: وما أظنُّ أن القيامة حادثة، إنما هي حياة مستمرة

﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾ خيراً من الجنة التي دخلها في الدنيا. وإن قيل: كيف قال: ﴿ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي ﴾ وهو منكر البعث؟ قيل: معناه ولئن رددت إلى ربي على حسب زعم صاحبه، فسيعطيني الله هنالك خيراً منها فإنه لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ليعطيني في الآخرة أفضل منها. قال له صاحبه المؤمن وهو يراجع الكلام: أكفرت بالذي خلق أباك آدم من تراب، ثم خلقك، ثم صيِّرك إنساناً ذكراً، لكن الله هو ربي المتفضل بنعمه علينا، لا أشرك به أحداً في العبادة فهلا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله، أي: الأمر ما شاء الله تعالى، وقيل: جوابه مضمّر أي: ما شاء الله كان، وقوله: لا قوة إلا بالله، أي: لا أقدر على حفظ مالي أو دفع شيء عنه إلا بحول الله وقوته، فعسى ربي أن يعطيني أفضل من حديقتك، ويسلبك النعمة بكفرك، ويرسل على حديقتك عذاباً من السماء، فتصبح أرضاً ملساء جرداء لا تثبت عليها قدم، ولا ينبت فيها نبات، أو يصير مأوها الذي تُسقى منه غائراً في الأرض، فلا تقدر على إخراجها. فكانت النتيجة كما قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: أحاط العذاب بثمر جنته وذلك أن الله تعالى أرسل

(1) حشم الرجل: خاصته وخدمه وأتباعه الذين يغضبون بغضبه، ولما يصيبه من مكروه، انظر: جمهرة

اللغة، الأزدي ج/1/538، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس، ج/1/137

عليها ناراً فأهلكتها وغار ماؤها، فأصبح صاحبها الكافر يصفق بيده على الأخرى ويقلب كفيه ظهراً لبطن تأسفاً وتلهفاً، على ما أنفق فيها وهي ساقطة على سفوفها ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾⁽¹⁾.

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: "وكان لصاحب الحديقتين أموال وثمار أخرى، فقال لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه وبخاصمه، ليؤثر فيه مُغْتَرًّا: أنا أكثر خدماً وحشماً وولداً.

قال قتادة: تلك أمنية الفاجر: كثرة المال وعزة النفس، ودخل الكافر حديقته في صحبة المؤمن ليريه إياها وهو ظالم لنفسه، بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد، فقال: ما أظن أن تفنى هذه الحديقة التي تشاهدها؛ بما اتخذت لها من أسباب البقاء، وذلك لقلّة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة؛ ولهذا قال: وما أظن الساعة قائمة: أي: كائنة، ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله، ليكونن لي هناك أحسن من هذا لأنني مَحْطِيٌّ عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت:50]، أي: في الدار الآخرة، أقسم على الله ﷻ.

يقول تعالى مخبراً عما أجابه صاحبه المؤمن، واعظاً له وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاعتزاز: ﴿أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ ؟ وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه، الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أي: أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالربوبية والوحدانية، ولا أشرك بربي أحداً أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له. ثم قال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرِنًا أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ هذا تحضيض وحث على ذلك، أي: هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، وقلت: "ما شاء الله لا قوة إلا بالله"؛ ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده، فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله وهذا مأخوذ من هذه الآية الكريمة. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال له: "ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله"⁽²⁾.

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج5/170-173

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب القدر/ باب لا حول ولا قوة إلا بالله، (ج8/125)، رقم الحديث: 6610 ، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب استحباب خفض الصوت بالذكر (ج4/2078)، رقم الحديث: 2704

وقوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ...﴾ أي: في الدار الآخرة ويرسل على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبيد ولا تنفى عذاباً من السماء، أو مطراً عظيماً مزعجاً، يقلع زرعها وأشجارها؛ ولهذا قال: ﴿فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ أي: تراباً أملساً، لا يثبت فيه قدم.

وقال ابن عباس: كالجُرْزِ⁽¹⁾ الذي لا يثبت فيها شيئاً، أو يصبح ماؤها غائراً في الأرض.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ بأمواله، أو بثماره على القول الآخر، والمقصود أنه وقع بهذا الكافر ما كان يحذر، مما خوفه به المؤمن من إرسال الحساب على جنته، التي اغتر بها وألهمه عن الله ﷻ ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفْمِهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ قال قتادة: يصفق كفيه متأسفاً متلهفاً على الأموال التي أذهبها عليه، ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾⁽²⁾.

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الواحدي في تفسيره للآيات: "كان للأخ الكافر أموال كثيرة فقال لأخيه وهو يراجع في الكلام ويجاذبه وذلك أنه سأله عن ماله فيما أنفقه؟ فقال: قدمته بين يدي لأقدم عليه فقال: أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً أي رهطاً وعشيرة، ودخل الكافر حديقته في صحبة المؤمن ليريه إياها وهو ظالم لنفسه بالكفر وبالعجب، قال الكافر: ما أظن أن تنفى هذه الحديقة التي تشاهدها؛ بما اتخذت لها من أسباب البقاء، وما أظن أن القيامة حادثة، إنما هي حياة مستمرة، وعلى فرض وقوعها فإذا بُعِثت وأُرْجِعت إلى ربي لأجدن بعد البعث لماً أرجع إليه أجد مما هو أفضل من حديقتي هذه، فكوني غنياً في الدنيا يقتضي أن أكون غنياً بعد البعث، فقال له أخوه المسلم: وهو يحاوره واعظاً له: كيف تكفر بالله الذي خلقك من تراب، ثم من نطفة الأبوين، في رحم أمك، ثم سَوَّكَ وَجَعَلَكَ رجلاً معتدلاً الخلق والقامة، لكن أنا لا أقول بمقالتك الدالة على كفرك، وإنما أقول: المنعم المتفضل هو الله ربي وحده، ولا أشرك في عبادتي له أحداً غيره، وهلا حين دخلت جنتك فأعجبتك حمدت الله، وقلت هذا ما شاء الله لي، لا قوة لي على تحصيله إلا بالله ولا يقوى أحد على ما في يديه من ملك ونعمة إلا بالله، وهذا توبيخ من المسلم للكافر على مقالته وتعليم له ما يجب أن يقول ثم رجع إلى نفسه فقال: إن كنت تراني أقل منك مالاً وأولاداً، فعسى ربي أن يعطيني في الآخرة أو في الدنيا ويسلبك النعمة بكفرك، ويرسل على حديقتك عذاباً من السماء، فتصبح أرضاً لا نبات فيها، أو يصير ماؤها الذي تُسقى منه غائراً في

(1) الجرْزُ من الأرض: التي لا تُنْبِتُ، وقيل: التي لم يُصِبْها مَطَرٌ، أو التي أُكِلَ نَبَاتُهَا، والجمع أجزارٌ، انظر: بحوث ودراسات في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، نخبة من العلماء،

الأرض، فلا تقوى على إخراجها، وتحقق ما قاله المؤمن، ووقع الدمار بالحديقة، وأهلكت الأشجار المثمرة، فصار الكافر يضرب يديه واحدة على الأخرى ندامة، وهي خاوية قد سقط بعضها على بعض، ويقول: يا ليتني عرفت نعم الله وقدرته وتتمى أنه كان موحداً غير مشرك حين لم ينفعه التمني⁽¹⁾.

ويقول الإمام النسفي في تفسيره للآيات: "كان لصاحب الجنتين الأموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما، فقال لصاحبه وهو يراجع الكلام، وأخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه، ويقول "أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً" أي أنصاراً وحشماً، أو أولادا ذكورا لأنهم ينفرون معه دون الإناث، ودخل إحدى جنتيه أو سماها جنة لا تخاد الحائط وجنتين للنهر الجاري بينهما "وهو ظالم لنفسه" وضارٌ لها بالكفر، قال ما أظن أن تهلك هذه الجنة شك في بيدودة⁽²⁾. وهلاك جنته، لطول أمله وتمادي غفلته، وما أظن القيامة حاصلة، أو كائنة، والله لأجدن خيراً من هذه الجنة عاقبة لي، إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على سبيل الفرض كما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا ادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده منقلباً تمييز أي مرجعاً وعاقبة، قال له صاحبه المؤمن: "وهو يحاوره": **(أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا)** أكفرت بالذي خلق أباك آدم من تراب، ثم خلقك أنت من نطفة، ثم صيرك إنساناً ذكراً، وعدل أعضائك فأقامها وسواها، وجعلك كاملاً، فالذي قدر على ذلك كله قادر على بعثك، لكن أنا لا أقول بقولك هذا، وإنما أقول: هو الله سبحانه ربي المتفضل بنعمه علينا، ولا أشرك به أحداً في العبادة. وهلا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله: أي شيء شاء الله كان والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر ما شاء الله اعترافاً بأنها وكل ما فيها إنما حصل بمشيئة الله وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها، "لا قوة إلا بالله" والكائن ما قدره الله، ليكون ذلك دليلاً على عبوديتك والاعتراف بالعجز، ثم قال: **(فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ)** في الدنيا أو في الآخرة، والمرجع إلى الله **(وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ)** عذاباً من السماء، **(فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا)** أرضاً بيضاء يزلق عليها لملاستها، أو يصبح ماؤها غائراً ذاهباً في الأرض، فلا يتأنى منك طلبه فضلاً عن الوجود والمعنى إن ترن أقرر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيراً من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بساتينك، **(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ)** هو عبارة عن

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي ص: 661-662

(2) باد الشيء بييداً وبياداً وبيوداً وبيوددة، أي انقطع وذهب وهلك، وانقرض، أي شك في هلاك جنته،

انظر: لسان العرب، ابن المنصور، ج1/ 394، إعراب القرآن وبيانه، درويش، ج5/ 600

إهلاكه وأصله من أحاط به العدو؛ لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك، فأصبح الكافر يقرب كفيه، يضرب إحداهما على الأخرى ندماً وتحسراً وإنما صار تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر؛ لأن النادم يقرب كفيه ظهراً لبطن، فأصبح الكافر يندم على ما أنفق في عمارتها، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم، ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة كفره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه حين لم ينفعه التمني ويجوز أن يكون تمنيه توبة من الشرك وندماً على ما كان منه ودخولاً في الإيمان (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تناولهم لتفسير الآيات:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين البغوي وابن كثير للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث أخذ الإمام البغوي عن مقاتل وهو من التابعين، أما ابن كثير فقد فسر بعضاً من هذه الآيات بالقرآن وبحديث صحيح، كما أخذ عن ابن عباس.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

- تلاحظ الباحثة أن الإمامين الواحدي والنسفي، لم يعتمد أيّ منهما على التفسير بالمأثور، عند تفسيرهما للآيات، وبذلك لم يسلكا في هذا الموضع المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود، والذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد، ثم اتباع ذلك بما فتح الله عليهما من آرائهما المحمودة.

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج2/ 301-302

الفصل الرابع:

نماذج من أهل الحق وأهل الباطل كما
يصورها القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة

المبحث الأول:

نماذج من أهل الحق كما يصورها القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة

لقد تحدث القرآن الكريم عن أهل الحق وضرب لهم أحسن الأمثال ليحسن الاقتداء بهم، والقرآن الكريم مليء بنماذج لأهل الحق، لاحتوائها على كثير من العبر والدلالات وستتحدث الباحثة عن بعض منهم، والذين خلد ذكرهم القرآن الكريم، وستقسم الباحثة نماذج أهل الحق إلى ثلاثة مطالب

المطلب الأول:

نماذج من أهل الحق من النساء

أولاً: زوجة فرعون

زوجة فرعون نموذج من نماذج أهل الحق الذين ذكرهم القرآن الكريم، إنها آسيا بنت مزاحم⁽¹⁾ الملكة التي حيزت لها الدنيا فأثرت، ما عند الله ﷻ، وهي من النساء الكوامل، وقد أخبرنا رسولنا ﷺ بقوله: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون،..."⁽²⁾. وقد ذكرها القرآن الكريم وسطر ذكرها، كأنموذج من نماذج أهل الحق، بدأت قصتها مع نبي الله موسى ﷺ حينما وجدته الجوازي في تابوت صغير فحملته إليها، فلما رأته استبشرت، كما يصور ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقُلُّوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فرد عليها فرعون يكون لك أما لي فلا حاجة لي في ذلك.

ثم يذكرها الله ﷻ ويجعلها مثلاً للمؤمنين يحتذى به في صبرها، وثباتها، رغم شدة البلاء⁽³⁾، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: 11]، وهذه الآية سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة، حيث إن امرأة فرعون نموذج من نماذج أهل الحق.

(1) آسيا: هي آسيا بنت مزاحم رضي الله عنها، آمنت بموسى ﷺ فعذبها فرعون بالأوتاد، ينظر: مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، الترياني، ص 249.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحریم: 11]، ج4/ 158، رقم الحديث: 3411، صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة/

باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ج4/ 1886، رقم الحديث: 2431

(3) انظر: مشاهير النساء المسلمات، النيسابوري، ص 17.

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام الطبري في تفسيره للآية الكريمة: "ضرب الله مثلاً للذين صدقوا الله وَعَدُوا وحده، امرأة فرعون التي آمنت بالله وَوَدَّعَتِ بِمُوسَى، وصدقت بموسى وَوَدَّعَتِ، رغم أنها كانت في عصمة أشد الكافرين بالله وَوَدَّعَتِ، فلم يضرها كفر زوجها، إذ كانت مؤمنة بالله، وكان من قضاء الله في خلقه أن لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن لكل نفس ما كسبت، إذ قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾، فاستجاب الله لها فبنى لها بيتاً في الجنة، قال قتادة، كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعدهم من الله تعالى، فو الله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربه، لتعلموا أن الله حكم عدل، لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه. وقوله: ﴿وَتَجَنَّبْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ أي: وأنقذني من عذاب فرعون، ومن أن أعمل عمله، وذلك كفره بالله تعالى. وقوله: ﴿وَتَجَنَّبْ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: أنقذني من عمل القوم الكافرين ومن عذابهم" (1).

ويقول الإمام الشنقيطي في تفسيره للآية: "جاء المثل لبيان أن المؤمن لا تضره معاشرته الكافر، فقد كانت امرأة فرعون مؤمنة مخلصه الله وَوَدَّعَتِ، وكان فرعون طاغية جباراً فقد اختارت امرأة فرعون في طلبها حسن الجوار قبل الدار في قولها: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ وأنقذني من فرعون وعمله، المسرف في الظلم، وأنقذني من الطغاة الظالمين" (2).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام ابن عاشور في تفسيره للآية: "كانت امرأة فرعون مثلاً لمتانة إيمان المؤمنين ومريم مثلاً للقانتين لأن المؤمنين تبرأوا من ذوي قراباتهم الذين بقوا على الكفر بمكة. قال وَوَدَّعَتِ: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون" (3).

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 23 / 499

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج 8 / 225

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ ﴾ [التحریم: 11]، ج 4 / 158، رقم الحديث: 3411، صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ج 4 / 1886، رقم الحديث: 2431

وأرادت بعمل فرعون ظلمه، أي نجني من تبعة أعماله ومن صحبته، ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ والقوم الظالمون: هم قوم فرعون، وظلمهم: هو إشراكهم بالله تعالى.

والظاهر أن قولها: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ مؤذن بأن فرعون وقومه صدوها عن الإيمان أو أن فرعون وعظها بأنها إن أصرت على ذلك تقتل، فكان قولها: كقول السحرة الذين آمنوا، عندما قالوا لفرعون: ﴿لَنْ نُؤْمِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: 72] (1).

ويقول الإمام الزحيلي في تفسيره للآية: "هذا المثل الذي ضربه أو جعله الله للمؤمنين: هو حال امرأة فرعون آسية بنت مزاحم، وعمة موسى عليه السلام، آمنت بموسى، حين سمعت قصة إلقاءه عصاه، فعذبها فرعون في الشمس بسبب إيمانها، وبعث إليها من يقتلها بالحجر، فلم تتراجع عن إيمانها، ونجاها الله حين أحست الشر من محاولي قتلها، حين دعت بهذا الدعاء: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي ابن لي بيتاً قريباً من رحمتك في أعلى درجات المقربين منك، وسلّمني من جبروت فرعون وسلطانها، ومن أعماله السيئة، وسلّمني من القوم الظالمين لأنفسهم بمتابعتهم له في طغيانه وظلمه. فقبض الله تعالى روحها، وهذا دليل على صدق إيمانها بالله تعالى واليوم الآخر" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من الطبري والشنقيطي قد فسر الآية تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور ولم يسلكا في هذا الموضوع طريق التفسير بالمأثور مع أنه منهجهما الذي يسيرا عليه في تفسيرهما.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- سار الإمام ابن عاشور على المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود حيث فسر الآية بالقرآن وبحديث صحيح ثم أثرى المعنى بما فتح الله عليه من التفسير بالرأي، وبذلك يكون قد سار على قواعد التفسير بالرأي المحمود التي تعتمد على التفسير بالمأثور أولاً ثم بالرأي.

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج28/ 376

(2) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج3/ 2694-2695

أما الإمام الزحيلي ففسر برأيه، ولم يسلك المنهج الصحيح في التفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

ثانياً: مريم ابنة عمران

نموذج من نماذج أهل الحق الذين ذكرهم القرآن الكريم، إنها مريم ابنة عمران، وهي من النساء الكوامل، وقد أخبرنا رسولنا ﷺ بقوله: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون،..."⁽¹⁾. وقد نشأت مريم عليها السلام في بيت من بيوت الله ﷻ وكانت على قدر كبير من الصلاح والتقوى حتى إن ملائكة الله كانت تزورها في محرابها، قال الله ﷻ ينبي عن ذلك: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ 42 يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: 42 - 43].

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91]

وصفها الله في القرآن بالصديقة، بقوله: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: 75]، كما ضرب الله المثل في مريم ابنت عمران في الإخلاص وصدق العزيمة وقوة اليقين، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: 12]، وهذه الآية ستتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة.

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام الثعلبي في تفسيره للآية: ومريم ابنت عمران التي حفظت فرجها ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي في جيبِ درعها، لذلك ذكر الكناية، فحملت بقدره الله ﷻ بعيسى ابن مريم من غير أب، وصدقت بشرائع الله، وبكتبه المنزلة على رسله، وكانت من القانتين المطيعين، مجازة: من القوم العابدين، ولذلك لم يقل قانتات، نظيره قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ...﴾ [آل عمران: 43]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى ﴿ وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ فِرْعَوْنُ ﴾ [التحريم: 11]، ج4/ 158، رقم الحديث: 3411، صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة/

باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، ج4/ 1886، رقم الحديث: 2431

النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»⁽¹⁾.

ويقول الإمام ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي حفظته وصانته، والإحصان: هو العفاف والحرية، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: بواسطة الملك، وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي، وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه في جيب درعها، فحملت بعبسى عليه السلام ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا بِقَدْرِهِ وَشَرَعَهُ﴾ ﴿وَكَاثَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط، وقال: "أندرون ما هذا؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، ومريم ابنة عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون" ⁽²⁾،⁽³⁾.

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام أبو السعود في تفسيره للآية: "ومريم ابنة عمران، عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل أي وضرب الله مثلاً للذين آمنوا حالها، وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفاراً فهي التي حفظت فرجها فنفخنا فيه من روحنا، فحملت بعبسى عليه السلام، وصدقت بكلمات ربها، أي بصحفه المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه وجميع كتبه المنزلة وعملت بشرائعه التي شرعها لعباده، ﴿وَكَاثَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ أي من عداد المواظبين على الطاعة، ولم يقل: من القانتات؛ لأن القنوت يعم الذكر والأنثى" ⁽⁴⁾.

ويقول الإمام ابن القيم في تفسيره للآية: "وضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها فنفخنا فيه من روحنا، فحملت بعبسى عليه السلام، وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم عبرة وهي أنها لم يضرها عند الله شيء فقدف أعداء الله اليهود لها، ونسبتهم

(1) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ج9/ 352

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الشيباني، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، ج5/

77، رقم الحديث: 2901، حكم الألباني على الحديث: صحيح، السلسلة الصحيحة، الألباني، ج4/ 13

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8/ 173

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج8/ 270

إياها وابنها الى ما برأهما الله منه، مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين، فلا يضر الرجل الصالح قدح الفجارِ والفساقِ فيه" (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

من خلال ما تقدم تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام الثعلبي وابن كثير قد أخذ طابع التفسير بالمأثور حيث فسر الثعلبي القرآن بالقرآن، وبالحدِيث الصحيح أما ابن كثير فقد استشهد بحدِيث صحيح، وبقول ابن عباس رضي الله عنهما ، وبذلك يكونا قد سلكا في تفسير الآية منهج التفسير بالمأثور وهو منهجهما الذي يسيران عليه .

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

تلاحظ الباحثة أن كلاً من أبي السعود وابن القيم لم يأخذ بالتفسير بالمأثور عند تفسيرهم للآية السابقة وإنما اكتفوا بتفسير الآية تفسيراً إجمالياً، وبذلك يكون هذان المفسران لم يسلكا المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود، والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

المطلب الثاني:

نماذج من أهل الحق من الرجال

أولاً: مؤمن آل فرعون:

ومع نموذج آخر من نماذج أهل الحق مؤمن آل فرعون، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 28].

والراجع من أقوال العلماء أن هذا الرجل من جماعة فرعون بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ

رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ [غافر: 28] (2).

وقد جاء ذكر الرجل المؤمن في القرآن الكريم في عدة مواضع:

(1) تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، ص: 549-550

(2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 21 / 345، مفاتيح الغيب، الرازي، ج 13/326، فتح

التقدير، الشوكاني، ج 4/696

أولها: حينما أنكر على فرعون وملئه قتل موسى ﷺ قال تعالى على لسان فرعون:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: 26] فأنكر عليهم الرجل المؤمن بقوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: 28].

الثاني: لما قال فرعون لقومه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29]، قال تعالى على لسان الرجل المؤمن: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ 30 مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَنَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ 31 وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ 32 يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: 30 - 33].

الثالث: لما طلب فرعون من هامان أن يبني له صرحاً استهزاء برب العالمين، قال تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: 38]، فقال الرجل المؤمن: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 38].

الرابع: لما وجدهم الرجل المؤمن على الكفر أراد تخويفهم وترهيبهم، فقال لهم: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَؤُصُّ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: 44]

وهذا النموذج يُمثلُ عنواناً لكلمة الحق في وجه السلطان الجائر وهي أفضل الجهاد، وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة، قوله ﷺ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ 28 يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ [غافر: 28، 29]

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام البغوي في تفسيره للآيتين: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ...﴾ "اختلفوا في هذا المؤمن:

قال مقاتل: كان قبطياً ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه فقال: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ...﴾ [القصص: 20]، وقال قوم: كان إسرائيلياً، ومجاز الآية: وقال رجل مؤمن يكتُم إيمانه من آل فرعون وكان اسمه حزئيل عند ابن

عباس، وأكثر العلماء. وقيل: كان اسمه جبران، وقيل: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيباً. فقال مستكراً أتقتلون رجلاً دون جرم غير أنه قال: ربي الله، وقد جاءكم بالحجج والبراهين الدالة على صدقه في دعواه أنه مرسل من ربه، ﴿وَإِنْ يَكْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ ألا يضركم ذلك، ﴿وَإِنْ يَكْ صَادِقًا﴾ فكذبتموه، ﴿يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ أي: إن قتلتموه وهو صادق أصابكم ما يتوعدكم به من العذاب، لأن الله لا يوفق إلى طريق النجاة من هو مجاوز للحد مبالغ في الكذب. عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: 28]

ثم واصل نصحه قائلاً: يا قوم، لكم الملك اليوم غالبين في أرض مصر، فمن يدفع عنا عذاب الله إن حل بنا" (1).

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيتين: "المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً من آل فرعون، وقال السدي: كان ابن عم فرعون، ويقال: إنه الذي نجا مع موسى، واختاره ابن جرير، ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيلياً؛ لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه، وكف عن قتل موسى ﷺ ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يعاجل بالعقوبة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون، والذي قال: ﴿يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: 20]، وقد كان هذا الرجل يكتم إيمانه عن قومه القبط، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾، فغضب الرجل المؤمن، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [أي: لأجل أن يقول ربي الله، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه، فلا تؤذوه، فإن يك كاذباً فإن الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقاً وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقاً، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه.

وهكذا أخبر الله ﷻ عن موسى ﷺ أنه طلب من فرعون وقومه المواعدة، كما في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَذُوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج 7/ 146-147

أَمِينٌ * وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنْ آتَيْكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * وَإِنِّي عُنْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ *
وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتَرِبُوا [الدخان: 17 - 21]

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ أي: لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذباً كما تزعمون، لكان أمره بيناً، يظهر في أقواله وأفعاله، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله ﷻ، وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله.

ثم قال المؤمن محذراً قومه زوال نعمة الله عنهم، وحلول نقمة الله بهم: ﴿يَأْقُومٌ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض، فراعوا هذه النعمة بشكر الله تعالى، وتصديق رسوله، واحذروا نقمة الله إن كذبتكم رسوله، ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ أي: لا تغني عنكم هذه الجنود، ولا ترد عنا شيئاً من بأس الله إن أردنا بسوء" (1).

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ...﴾ "هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة، لا بد أن يكون له كلمة مسموعة، وخصوصاً إذا كان يُظهر موافقتهم ويكتم إيمانه، فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر، كما منع الله رسوله محمداً ﷺ بعمه أبي طالب من قريش، حيث كان أبو طالب كبيراً عندهم، موافقاً لهم على دينهم، ولو كان مسلماً لم يحصل منه ذلك المنع.

فقال الرجل المؤمن: مقبلاً فعل قومه، وشناعة ما عزموا عليه: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ أي: كيف تستحلون قتله، وهذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ولم يكن أيضاً قولاً مجرداً عن البيئات، ولهذا قال: ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ لأن بيئته اشتهرت عندهم اشتهاً علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله، ثم قال لهم: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ﴾ أي: موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذباً فكذبه عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك ضرر حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقاً وقد جاءكم بالبيئات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذاباً في الدنيا وعذاباً في الآخرة، فإنه لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاب الدنيا.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج7/ 140-142

ثم قال: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾** "مُسْرِفٌ" أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل. "كَذَّابٌ" بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا لا يهديه الله إلى طريق الصواب أي: وقد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه من البراهين العقلية والخوارق السماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفاً ولا كاذباً، وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه، ثم حذر قومه ونصحهم، ونهاهم عن الاغترار بالملك الظاهر، فقال: **﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾** أي: في الدنيا **﴿ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾** على رعيتم، تنفذون فيهم ما شئتم **﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾** أي: عذابه **﴿إِنْ جَاءَنَا﴾**؟ وهذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركاً بينه وبينهم بقوله: **﴿يَنْصُرُنَا﴾** وقوله: **﴿إِنْ جَاءَنَا﴾** ليفهمهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه، ويرضى لهم ما يرضى لنفسه" (1).

وقال الإمام الزحيلي في تفسيره للآيتين: "قال رجل من أقارب فرعون ورجال دولته: كيف تقتلون رجلاً لا ذنب له إلا أن قال: الله ربي، والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الواضحات والأدلة الدالة على نبوته وصحة رسالته وصدقه؟ فهذا لا يستدعي القتل، فتوقف فرعون عن قتله، بسبب صدقه في الدفاع، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل، وامرأة فرعون، والذي قال: **﴿قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾** [القصص:20].

والحق أنه كان لهذه الكلمة: **﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾** تأثير عظيم في نفس فرعون، وقد كررها أبو بكر رضي الله عنه في محاولة عقبة بن أبي معيط خنق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أورد مؤمن آل فرعون حجج أخرى لتأييد رأيه: **﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾** أي: وإن يكن كاذباً في دعواه فعلية وحده وبال كذبه، وإن يكن صادقاً ينزل بكم بعض الذي يخوفكم به من العذاب، إن الله لا يوفق إلى طريق النجاة من هو مجاوز الحد مبالغ في الكذب.

﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يا قومي، قد أنعم الله عليكم بهذا الملك الواسع، وأنتم الغالبون العالون على بني إسرائيل في أرض مصر، فلکم الكلمة النافذة والجاه العريض، فراعوا هذه النعمة بشكر الله وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم، واحذروا نقمة الله إن كذبتكم

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص: 736-737

رسوله ﷺ، فمن الذي يمنعنا من عذاب الله إن حل بنا؟ ولا تغني عنكم هذه الجنود، ولا ترد عنا شيئاً من بأس الله إن أردنا بسوء⁽¹⁾.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيتين:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيتين:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين البغوي وابن كثير للآيتين أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث أخذ الإمام البغوي عن مقاتل وهو من التابعين، أما ابن كثير فقد فسر القرآن بالقرآن، كما نقل عن ابن عباس وهو من الصحابة.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيتين:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام الزحيلي قد فسر بالمأثور، حيث نقل عن الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا منهج صحيح سار عليه الزحيلي حين فسر بالمأثور أولاً، أما السعدي فلم يعتمد على المأثور عند تفسيره لهاتين الآيتين، وبذلك لم يسلك في هذا الموضع المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود الذي يعتمد على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد.

ثانياً: الأخ الأوسط في قصة أصحاب الجنة:

ومع نموذج آخر من نماذج أهل الحق الأخ الأوسط في قصة أصحاب الجنة، الذي قال مذكراً إخوانه: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: 28]، عندما حلفوا أنهم سيقطعون ثمار البستان في الصباح، حتى لا يعلم بهم الفقراء، فيأخذون ما كانوا يأخذونه، طمعاً في اقتناء كامل الغلة والزرع، ولا يستثنون للمساكين نصيبهم أو القدر الذي كان أبوهم يدفعه إليهم، (2) فأرسل الله عليها آفة أحرقتهم وهم نائمون، فأصبحت جنتهم سوداء خاوية، فلما أصبحوا نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إليها ويقطفوا ثمارها، وانطلقوا خلسة وهم يتهايمسون حتى لا يسمع بهم أحدٌ من المحتاجين فيلحقهم، وغدوا إليها في حماسة وهم يظنون أنهم قادرون على تنفيذ ما خططوا له، ولكنهم فوجئوا عندما رأوها سوداء محترقة خاوية من الثمار فقالوا: ﴿إِنَّا

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج 24 / 113-115

(2) المرجع السابق، ج 29 / 59

لَصَالُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ» لقد سَلَبْنَا اللهُ ما رزقنا (1)، فقال لهم الأخ الأوسط مذكراً: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القم: 28] وتناولت الباحثة هذه الآية بالتفسير والمقارنة. تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن عطية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ "أي: قال لهم أعدلهم قولاً وخلقاً وعقلاً وهو الأوسط، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143] أي عدولاً خياراً. وقوله: ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ قيل هي عبارة عن طاعة الله وتعظيمه، والعمل بطاعته. وقال مجاهد: هي كانت لفظة، الاستثناء عندهم" (2).

ويقول الإمام السيوطي في تفسيره للآية: "قال: أعدل القوم وأحسن القوم فرعاً وأحسنهم رجعة، وقال ابن عباس ومجاهد: أوسطهم يعني: أعدلهم، وقال عكرمة: أوسطهم أي أعدلهم وكل شيء في كتاب الله أوسط فهو أعدل.

وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ كان استثناءهم في ذلك الزمان التسبيح، وقيل: لولا تستثنون عند قولهم ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون عند ذلك وكان التسبيح استثناءهم كما نقول نحن إن شاء الله" (3).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الرازي في تفسيره للآية: "قال أوسطهم يعني أعدلهم وأفضلهم، ومنه قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143]. وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: هلا تسبحون وفيه وجوه الأول: قال الأكثرون معناه هلا تستثنون فقولون: إن شاء الله، لأن الله تعالى إنما عابهم بأنهم لا يستثنون، وإنما جاز تسمية قول: إن شاء الله بالتسبيح لأن التسبيح عبارة عن تنزيه الله عن كل سوء، فلو دخل شيء في الوجود على خلاف إرادة الله، لكان ذلك يوجب عودة نقص إلى قدرة الله، فقولك: إن شاء الله، يزيل هذا النقص، فكان ذلك تسبيحاً.

ولفظ القرآن يدل على أن القوم كانوا يحلفون ويتركون الاستثناء وكان أوسطهم ينهاهم عن ترك الاستثناء ويخوفهم من عذاب الله، فلماذا حكى عن ذلك الأوسط أنه قال بعد وقوع الواقعة: ألم

(1) تيسير التفسير، القطان، ج3/361

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج 5/350

(3) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج8/252-253

أقل لكم لولا تسبحون، أو لأن القوم حين عزموا على منع الزكاة واغتروا بمالهم وقوتهم قال الأوسط لهم: توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب، فلما رأوا العذاب ذكروهم بنصحه" (1).

ويقول الإمام النسفي في تفسيره للآية: "﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أعدلهم وخيرهم، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ هلا تستنثون إذ الاستثناء التسييح لالتقائهما في معنى التعظيم لله لأن الاستثناء تفويض إليه والتسييح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم أو لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم وكان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام ابن عطية للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل الإمام ابن عطية عن مجاهد وهو من التابعين، وبهذا يكون قد سلك منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجه العام وهو التفسير بالمأثور، أما الإمام السيوطي فقد فسر الآية تفسيراً إجمالياً دون التطرق للمأثور مع أنه من رواد التفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام الرازي فسر بالمأثور حين استشهد بآية تفسيراً للآيات، وبهذا يتبين للباحثة أن الإمام الرازي صاحب التفسير بالرأي قد سار على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليه من آرائه المحمودة.

- أما الإمام النسفي فقد فسر الآيات تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبذلك يكون صاحب التفسير بالرأي لم يسلك المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

ثالثاً: ذو القرنين:

ذو القرنين نموذج من نماذج أهل الحق الذين ذكروهم القرآن الكريم، الذي عرف بأنه ملك عادل وهو الذي بنى السد على يأجوج ومأجوج؛ ليدفع به الأذى الذي كان يأتي منهم، قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: 98]

(1) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الرازي، ج30/ 609

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج3/ 522

وذكر ذو القرنين في القرآن الكريم في سورة الكهف حين سئل الرسول ﷺ عنه فأُنزل الله ﷻ: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَلْتُوا عَلَيَّ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: 83]، كانت أخبار سيرته خفية مجملة مغلقة، فسألوا النبي عن تحقيقها وتفصيلها، وأذن له الله أن يبين منها ما هو موضع العبرة للناس في شؤون الصلاح والعدل، وفي عجب صنع الله تعالى في اختلاف أحوال الخلق (1).

فقال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَاذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تَتَّخِذُ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: 84-88]

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة هذه الآيات.

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآيات: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ...﴾ "أي ملكناه وأعطيناه من كل شيء يتعلق به مطلوبه طريقاً يتوصل به إلى مراده ويقال: علماً بالطريق ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾، أي أخذ طريقاً فسار إلى المغرب، فرأى الشمس كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عند مغرب الشمس مؤمنين وكافرين، فظهر عليهم، قال مقاتل: أوصى الله تعالى إليه، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ألهمه الله تعالى، إما أن تعذب، يعني: أن تقتل من كان كافراً وإما أن تتخذ فيهم حسناً، يعني: تنعم عليهم وتغفر لمن كان مؤمناً. وقال بعضهم: كانوا كلهم كفاراً، قيل له: إما أن تعذب من لم يؤمن، وإما أن تتخذ فيهم حسناً لمن آمن.

فقال ذو القرنين: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أي كفر بالله ﷻ، ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ أي: نقتله إن لم يتب، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ في الآخرة، فيعذبه في النار ﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾ أي شديداً، وأما من آمن وصدق بالله، وعمل عملاً صالحاً فله الجنة؛ جزاء من ربه على إيمانه وعمله الصالح، وسنقول له من أمرنا ما فيه رفق ولين. ثم اتبع طريقاً غير طريقه الأولى متجهاً إلى جهة شروق الشمس، وسار حتى إذا وصل إلى الموضع الذي تطلع عليه الشمس، وجد الشمس تطلع على أقوام لم نجعل لهم من دون الشمس شيء يظلمهم، لا شجر ولا جبل ولا ثوب، إلا عراه عماه عن الحق

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج16/ 17

وكانوا في مكان لا يستقر عليه البناء وقال قتادة: يقال إنهم الزنج، وكانوا في مكان لا ينبت فيه نبات، وكانوا يدخلون سرباً إذا طلعت الشمس، حتى تزول عنهم ويخرجون في معاشهم" (1).

ويقول الإمام البغوي في تفسيره للآيات: "مكن الله ﷻ لذي القرنين في الأرض والتمكين يعني تمهيد الأسباب، وأعطاه سبحانه من كل شيء يحتاج إليه الخلق، ويستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء، كما وهبه علماً يتسبب به إلى كل ما يريد، وسار في الأرض حتى إذا وصل إلى نهاية الأرض من جهة مغرب الشمس رآها كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عند مغرب الشمس قوماً كفاراً، قلنا له على سبيل التخبير: يا صاحب القرنين، إما أن تعذب هؤلاء. بالقتل أو بغيره، إن لم يدخلوا في الإسلام، وإما أن تحسن إليهم أي: تغفر وتصفح وقيل: تأسره فتعلمهم الهدى، فقال صاحب القرنين: أما من كفر بالله فسنعاقبه بالقتل في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه يوم القيامة فيعذبه بالنار، وأما من آمن منهم بالله وعمل عملاً صالحاً فله الجنة، قال تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف: 57].

وقوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا، وقال مجاهد: "يسرا" أي: معروفاً ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي: سلك طرقاً ومنازل، حتى إذا وصل إلى مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم ليس لهم بناء يستريحهم، ولا شجر يظلمهم من الشمس. قال قتادة والحسن: لم يكن بينهم وبين الشمس ستر، وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء فكانوا يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معاشهم وحروثهم" (2).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام حومد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ...﴾ "إنا أعطينا ذي القرنين ملكاً عظيماً ثابتاً ممكناً له فيه، وآتيناه من كل شيء علماً، وبسطنا له اليد، وقدرنا له الأسباب التي توصله إلى ما يريد، فسلك هذا الطريق حتى وصل إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه السائر، نحو الغرب، فرأى الشمس وكأنها تغرب، في البحر، في عين من طين أسود، ووجد في المكان الذي انتهى إليه في سيره أمة من الناس كفاراً، وقد أوحى الله إليه بطريق الإلهام: إما أن يقتلهم، إن هم لم يقروا بوحداية الله، وإما أن يأمر بتعليمهم طريق الهدى والرشاد، ويبصرهم بأحكام الشرائع والقوانين، فأعلن ذو القرنين في أفراد هذه الأمة أنه من ظلم منهم نفسه، واستمر على كفره وشركه بربه فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا، وحين يرجع إلى ربه يوم القيامة فإنه

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج2/ 359

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج5/ 198-199

سيعذبه عذاباً شديداً مؤلماً، وأما من تابعتنا على ما ندعوه إليه من عبادة الله، وحده لا شريك له، فله المثوبة الحسنی في الدار الآخرة، جزاء له على إيمانه وعمله الصالح، وسنعامله برفق في الدنيا، وسنعلمه ما يتيسر لنا تعليمه مما يقربه إلى ربه، ويلين له قلبه، ولا يشق عليه فعله" (1).

أما الإمام الزحيلي فيقول في تفسيره للآيات: "إن الله تعالى مكن لذي القرنين، وآتاه ملكاً عظيماً بلغ المشرق والمغرب، وأعطاه من كل ما يتعلق بمطلوبه طريقاً يتوصل به إلى ما يريده، ويحقق أهدافه، فاتبع طريقاً من الطرق المؤدية إلى مراده، حتى إذا وصل نهاية الأرض من جهة المغرب، فوجد الشمس تغرب في عين ذات حمأة أي طين أسود، ووجد في أقصى الغرب عند تلك العين الحمئة قوماً كفاراً وأمة عظيمة من الأمم، فقال الله له بالإلهام: أنت مخير بين أمرين: إما أن تعذب هؤلاء بالقتل إن أصروا على الكفر، وإما أن تحسن إليهم وتصبر عليهم، بدعوتهم إلى الحق وتعليمهم الشرائع والأحكام، فقال ذو القرنين لبعض حاشيته: أما من ظلم نفسه بالإصرار على الشرك، ولم يقبل دعوتي إلى الحق والخير، فسنعذبه بالقتل في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه في الآخرة، فيعذبه عذاباً منكرًا شديداً، في نار جهنم.

وأما من آمن بالله رباً واحداً لا شريك له، وعمل بالعمل الصالح، فله الجزاء الحسن، وهو الجنة، وسنطلب منه أمراً ذا يسر وسهولة، ليرغب في دين الله والتزام أوامره، ثم أتبع ذو القرنين سبباً آخر، أي سلك طريقاً آخر، متجهاً من المغرب إلى المشرق، حتى إذا وصل لمكان شروق الشمس من المعمورة، وجد الشمس تطلع على قوم حفاة عراة، لا شيء يستترهم من حر الشمس، ولم يجد عندهم بيوتاً، ولا شجر، ويعتمدون في المعيشة على السمك وما جاء به البحر، وكما دعا ذو القرنين السابقين من أهل المغرب إلى الإيمان دعا هؤلاء وسار فيهم سيرته الأولى" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين السمرقندي والبيهقي للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث أخذ الإمام السمرقندي عن ابن عباس وهو من الصحابة، وقتادة وهو من التابعين. أما الإمام البيهقي فقد فسر القرآن بالقرآن، كما أخذ عن التابعين وهم: الحسن البصري، ومجاهد وقتادة.

(1) أيسر التفاسير، حومد، ص: 2223-2228

(2) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج2/ 1449

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن الإمامين حومد والزحيلي لم يعتمد أي منهما على المأثور عند تفسيرهما لهذه الآيات وبذلك لم يسلكا في هذا الموضوع المنهج الصحيح الذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد.

المطلب الثالث:

نماذج من أهل الحق من الجماعات

أولاً: أهل الكهف:

نموذج من نماذج أهل الحق الذين ذكرهم القرآن الكريم، يُتمثلُ بفتية آمنوا بالله وتركوا عبادة الأوثان وعبدوا الله وحده، فجعل الله ﷻ قلوبهم تتعالى على زخارف الدنيا الفانية، لتفر بدينها من بين أظهر الوثنية، وأهل الشرك والمعاصي، وتتجَوَّ من الباطل الذي وقع قومهم فيه، وقصتهم قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى 13 وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا 14 هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: 13 - 15] وتناولت الباحثة هذه الآيات بالتفسير والمقارنة .

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام الطبري في تفسيره للآيات: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ نحن نقص عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أوا إلى الكهف بالصدق واليقين، إنهم شبان آمنوا بربهم، ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ أي وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيماناً، وبصيرة بدينهم، حتى صبروا على هجران دار قومهم، والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله ﷻ، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه، إلى خشونة المكث في كهف الجبل. وقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾ أي: ألهمناهم الصبر، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان حتى عرفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش، قال قتادة: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: بالإيمان. حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار، فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته، ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ربنا الحق رب السموات والأرض لن نعبد من غيره إلها، ولن نتحول عن هذه العقيدة، والله إذا قلنا غير هذا لكان قولنا بعيداً عن الصواب أو كذباً.

وقوله: **﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾** أي هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها من دونه، هلاً يأتون على عبادتهم إياها بحجة بينة، إنهم لظالمون فيما فعلوا، ولا أحد أشد ظلماً ممن افتري على الله كذباً بنسبة الشريك إليه، وقوله: **﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾** قال قتادة: أي بعذر بين، **﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾** ومن أشد اعتداءً وإشراكاً بالله، ممن اختلق، فتخرص على الله كذباً، وأشرك مع الله في سلطانه شريكاً يعبده دونه، ويتخذه إلهاً (1).

ويقول الإمام السمرقندي في تفسيره للآيات: **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ﴾**، "أي نزل عليك في القرآن خبر الفتية بالصدق، فقد صدقوا بتوحيد ربهم فزادهم يقيناً وبصيرة في أمر دينهم.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، أي حفظنا قلوبهم على الإيمان: وقيل: ألهمناهم الصبر حتى ثبتوا على دينهم: إذ قاموا من نومهم: ويقال: قاموا بإثبات الحجة، ويقال: خرجوا من عند الملك **﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾**، أي لم نقل من دون الله رياً وإن فعلنا **﴿قَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾**، أي كذباً وجوراً" (2).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام النسفي في تفسيره للآيات: "نحن نقص عليك نبأهم بالصدق، إن أصحاب الكهف شبَّان صدَّقوا ربهم، وامتلوا أمره، وزدناهم هدى وثباتاً على الحق، **﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** أي: قويناها بالصبر على هجران الأوطان والفرار بالدين، وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام، إذ قاموا بين يدي الملك الكافر من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام، **﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** أي: ربنا الذي آمانا به وعبدناه هو رب السماوات ورب الأرض، لن نعبد ما سواه من الآلهة المزعومة كذباً، لقد قلنا إن عبدنا غيره قولاً جائراً بعيداً عن الحق. ثم التفت بعضهم إلى بعض قائلين **﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾** أي معبودات يعبدونها من دون الله تعالى، وهم لا يملكون على عبادتهم برهاناً واضحاً ولا حجة ظاهرة وهو تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال، فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك إليه" (3).

(1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج 17 / 615-617

(2) بحر العلوم، السمرقندي، ج 3 / 34-40

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج 2 / 288

وقال لجنة من علماء الأزهر في تفسيرهم للآيات: "إن أصحاب الكهف شُبَّان صدَّقوا ربهم وامتلأوا أمره، وزدناهم هدى وثباتاً على الحق، وقوينا قلوبهم بالإيمان، للصبر على الشدائد حين قاموا في قومهم فقالوا متعاهدين: ربنا أنت الحق رب السموات والأرض لن نعبد من غيره إلهاً، ولن نتحول عن هذه العقيدة، والله إذا قلنا غير هذا لكان قولنا بعيداً عن الصواب .

ثم قال بعضهم لبعض: هؤلاء قومنا أشركوا بالله غيره، هلاً يأتون على ألوهية من يعبدونهم من دون الله بحجة ظاهرة؟ إنهم لظالمون فيما فعلوا، ولا أحد أشد ظلماً ممن افترى على الله كذباً بنسبة الشريك إليه" (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام الطبري للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل عن التابعي قتادة رضي الله عنه ، أما السمرقندي فلم يعتمد على التفسير بالمأثور، فهو لم يسلك منهج التفسير بالمأثور في هذا الموضوع.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات:

– تلاحظ الباحثة أن كلاً من النسفي، وأصحاب تفسير المنتخب، لم يعتمدوا على المأثور عند تفسيرهم للآيات فقد فسروا الآيات تفسيراً إجمالياً، مع إمكانية التزامه حيث إن المفسر بالرأي يجب عليه أن يفسر بالمأثور أولاً إن أمكن ذلك وهذا من شروط المفسر بالرأي المحمود.

ثانياً: أصحاب الأخدود:

وهذا النموذج لأهل الحق يحدثنا عنه القرآن الكريم وتفصله لنا السنة النبوية لفئة من المؤمنين السابقين إلى الإسلام، قيل إنهم من النصارى الموحدين، ابتلوا بأعداء لهم طغاة، أجبروهم على ترك عقيدتهم، فأبوا وتمنعوا بعقيدتهم، فحفر لهم الطغاة الأخاديد في الأرض، وأوقدوا فيها النار، وأنزلوهم فيها فماتوا حرقاً، على مرأى ومسمع من الجموع التي حشدوها لمشاهدة الجريمة⁽²⁾ قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: 8]

(1) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، ج 1/ 488

(2) في ظلال القرآن، قطب، ج 7/ 500

فهذه الفئة المؤمنة التي ذاقت طعم الإيمان وحلاوته، لم تفرط في دينها، حتى وإن تعرضت لأبشع طريقة في القتل. قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ 4 النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ 5 إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ 6 وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ 7 وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: 4 - 8] وهذه الآيات هي التي سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة.

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: لعن أصحاب الأخدود، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله ﷺ، فقهرهم وأرادهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدوداً وأججوا فيه ناراً، وأعدوا لها وقوداً يسعون بها، ثم أرادهم فلم يقبلوا منهم، فقتلهم فيها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ 5 إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أي: مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه، الحميد في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به، فهو العزيز الحميد، وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس.

وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة، فقال علي رضي الله عنه، إنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم، فامتنع عليه علماءهم، فعمد إلى حفر أخدود فقتل فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم.

وقيل: هم قوم باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم، فغلب مؤمنوهم على كفارهم، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين، فخذوا لهم الأخاديد، وأحرقوهم فيها. وقيل إنهم كانوا من أهل الحبشة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هم ناس من بني إسرائيل، خدوا أخدوداً في الأرض، ثم أوقدوا فيه ناراً، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساءً، فَعُرِضُوا عَلَيْهَا، وزعموا أنه دانيال وأصحابه.

وعن صهيب الرومي، أن رسول الله ﷺ قال: " كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر، قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه، إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى

على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله ﷻ، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله ﷻ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغت ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله، رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتى الملك فقيل له: رأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرک، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخذت وأضرم النيران، وقال: من لم

يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمّه اصبري فإنك على الحق" (1) (2).

ويقول الإمام الثعالبي في تفسيره للآيات: "قال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه لعن وهذا تفسير بالمعنى، وكل شيء في القرآن قُتل فهو: لعن، وجواب القسم محذوف أي: والسماء ذات البروج لتبعثن، وقيل الجواب: إن بطش ربك لشديد، أما صاحب الأخدود: فمذكور في السير وغيرها وحديثه في مسلم مطول وهو ملك دعا المؤمنين بالله إلى الرجوع عن دينهم إلى دينه، وَخَدَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَخَادِيدَ طَوِيلَةً وَأَضْرَمَ لَهُمْ نَارًا وَجَعَلَ يَطْرَحُ فِيهَا مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنِ دِينِهِ حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ مَعَهَا صَبِيٌّ فَتَقَاعَسَتْ فَقَالَ لَهَا الطِّفْلُ: يَا أُمَّهُ اصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ، فَاقْتَحَمَتِ النَّارَ.

وقيل: بعث الله على أولئك المؤمنين ريحاً فقبضت أرواحهم أو نحو هذا، وخرجت النار فأحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الأخدود وعلى هذا يجيء قُتل خبيراً لا دعاء" (3).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الزحيلي في تفسيره للآيات: "كان من قصة هؤلاء: أن الكفار قعدوا على جانب الأخدود، وجمعوا المؤمنين، فعرض عليهم الدخول في الكفر، فمن أبى رمي في أخدود النار فاحترق، روي أنه احترق في النار عشرون ألفاً.

لقد لعن هؤلاء الكفار الذين عدّبو المؤمنين في النيران، حين أحرقوا بالنار، قاعدين على الكراسي عند الأخدود، وهم الملك وأصحابه، يشاهدون ما يفعل بالمؤمنين الذين هم قعود على النار، يحاولون إرجاعهم إلى دين الوثنية ويشهدون بما فعلوا يوم القيامة، حيث تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم، وهذا يدل على أن قلوب الكفرة الذين أقدموا على إحراق أهل الإيمان قاسية، بل أشد من الحجارة قسوة، تجردوا من الإنسانية والرحمة، وتمكن الكفر والباطل والضلال منهم.

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، ج4/

2299، رقم الحديث: 3005

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8/ 366

(3) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، 5/ 571

وسبب هذا التعذيب والإحراق بالنار: أن جابرة أهل الكفر من أهل نجران في اليمن، لم ينكروا ولم يعيبيوا شيئاً على المؤمنين إلا إيمانهم، وتصديقهم بالله تعالى الذي لا يغلب، المحمود على كل حال، مالك السماوات والأرض، وإليه الأمر كله، فهو الحقيق بالإيمان به وبتوحيده، والله شاهد عالم بما فعلوا بالمؤمنين، لا تخفى عليه خافية، وسيجازيهم على أفعالهم، وهذا وعيد شديد لأصحاب الأعدود وأمثالهم، ووعد طيب بالخير لمن عُذّب من المؤمنين على دينه، فصبر ولم يتراجع في موقف الشدة. والجزاء يجمع الفريقين، فإن الذين أحرقوا بالنار المؤمنين والمؤمنات بالله ورسله، ولم يتركوهم أحراراً في دينهم، وأجبروهم إما على الإحراق، وإما على الرجوع عن دينهم، ثم لم يتوبوا من قبيح صنيعهم وفحش كفرهم، فلهم في الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم، ولهم عذاب الاحتراق بالنار، لأن الجزاء من جنس العمل، وعذاب الحريق تأكيد لعذاب جهنم، أو أن جهنم والحريق: طبقتان من النار" (1).

ويقول نخبة من أساتذة التفسير في تفسيرهم للآيات: «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ...»

أي: لعن الذين شقوا في الأرض شقاً عظيماً؛ لتعذيب المؤمنين، وأوقدوا النار الشديدة ذات الوقود، إذ هم قعود على الأعدود ملازمون له، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من تتكيل وتعذيب حضوراً، وما نعموا على المؤمنين شيئاً إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في كل شيء. في أقواله وأفعاله وأوصافه، الذي له ملك السماوات والأرض، وهو على كل شيء شهيد، لا يخفى عليه شيء" (2).

وترجح الباحثة أن المقصود بأصحاب الأعدود هم الذين ورد ذكرهم في صحيح مسلم، وأن القتل كان قتلاً حقيقياً وليس المراد من قوله "قتل" بمعنى لعن.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام ابن كثير والثعالبي للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسر كل منهما الآيات بحديث صحيح، كما نقلنا عن الصحابة أمثال ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وبهذا يكون قد سلكا منهج التفسير بالمأثور وذلك انسجاماً مع منهجهما العام وهو التفسير بالمأثور.

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج3/ 2852-2854

(2) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج1/ 590

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير كلاً من الزحيلي، ونخبة من أساتذة التفسير - أصحاب التفسير الميسر - قد فسروا الآيات تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبذلك لم يسلكوا المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور .

المبحث الثاني:

نماذج من أهل الباطل كما يصورها القرآن الكريم مع الدراسة المقارنة.

تحدث القرآن عن أهل الباطل وحذر منهم فقد ذكرهم الله ﷻ، للاتعاظ بما آل إليه مصيرهم جزاء كفرهم وطغيانهم، والقرآن الكريم مليء بنماذج أهل الباطل، لاحتوائها على كثير من العبر والدلالات وستتحدث الباحثة عن بعض من نماذج أهل الباطل الذين ذكرهم القرآن الكريم وبين مصيرهم، وستقوم الباحثة بتقسيم نماذج أهل الباطل إلى قسمين، كل قسم يمثل مطلباً، وذلك كما يلي:

المطلب الأول:

نماذج من أهل الباطل قبل البعثة النبوية

أولاً: زوجتا نوح ولوط عليهما السلام:

من نماذج أهل الباطل التي ذكرها القرآن الكريم، زوجتا نوح ولوط عليهما السلام. اللتان لم تنتفعا من البيئة الإيمانية التي كانتا فيها بل انحرفتا عن الصراط القويم، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: 10]

وتناولت الباحثة هذه الآية بالتفسير والمقارنة

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآية: "ضرب الله مثلاً لحال الكفرة في مخالطتهم المسلمين وقربهم منهم ومعاشرتهم لهم، وأن ذلك لا ينفعهم لكفرهم بالله بحال زوجة نبي الله نوح ﷺ، وزوجة نبي الله لوط ﷺ، وهذا وصف شبه الله به كفار مكة حينما استهزءوا وقالوا: إن محمداً ﷺ سيشفع لنا، فبين الله تعالى أن شفاعته ﷺ لا تنفع لكفار مكة، كما لا تنفع شفاعته نبي الله نوح ولوط عليهما السلام لامرأتيهما مع أنهما كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين فخانتاهما يعني: خالفتاهما في الدين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما زنت امرأة نبي قط، وما كانت خيانتها إلا في الدين، فأما امرأة نوح ﷺ كانت تخبر الناس أنه مجنون، وأما امرأة لوط ﷺ كانت تدل على الأضياف، ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يعني: لم ينفعهما صلاح زوجيهما مع كفرهما من الله شيئاً، وقيل لهما في الآخرة: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾، ادخلا النار مع الداخلين فيها من الكفار والفساق" (1).

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج3/ 471

ويقول الإمام الشنقيطي في تفسيره للآية: "ذكر الله حالة عجيبة تعرف بها أحوال مماثلة للذين كفروا؛ هي امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عصمة عبيد من خالص عبادنا صالحين، فخانتاهما، أجمع المفسرون هنا على أن الخيانة ليست زوجية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: نساء الأنبياء معصومات من الوقوع في الزنا، ولكنها خيانة دينية بعدم إسلامهن وإخبار أقوامهن بمن يؤمن مع أزواجهن. وقوله: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ فيه بيان أن العلاقة الزوجية لا تتفح شيئاً مع الكفر، وقد بين تعالى ما هو أهم من ذلك في عموم القرابات كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء: 88] وقوله: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: 34]" (1).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الماوردي في تفسيره للآية: "ضرب الله ﷻ مثلاً امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا متزوجتين نبيين كريمين، ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال السدي في معنى الخيانة: أنهما كانتا كافرتين، فصارتا خائنتين بالكفر، وقيل: كانتا منافقتين تظهران الإيمان وتستران الكفر، وهذه خيانتها قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتها في الدين، وقيل: أن خيانة امرأة نوح أنها كانت تخبر الناس أنه مجنون، وإذا آمن أحد به أخبرت الجبابرة به، أما خيانة امرأة لوط أنه كان إذا نزل به ضيف أعلمت قومها بذلك، لما كانوا عليه من إتيان الرجال قال مقاتل: وكان اسم امرأة نوح والهة، واسم امرأة لوط والعة. وقوله: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي لم يدفع نوح ولوط عليهما السلام، عن زوجتيهما لما عصتا شيئاً من عذاب الله ﷻ، تنبيهاً بذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة دون الوسيلة" (2).

وقال الإمام القرطبي في تفسيره للآية: "ضرب الله تعالى هذا المثل تنبيهاً على أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب إذا فرق بينهما الدين، وكان اسم امرأة نوح والهة، واسم امرأة لوط والعة، قاله مقاتل، وقال السدي في معنى الخيانة: أنهما كانتا كافرتين، فصارتا خائنتين بالكفر، وقيل: كانتا منافقتين تظهران الإيمان وتستران الكفر، وهذه خيانتها قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتها في الدين، وقيل: خيانتها النميمة إذا أوحى الله إليهما شيئاً أفشتاه إلى المشركين، قاله الضحاك، وقيل: أن خيانة امرأة نوح

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج8/ 224

(2) النكت والعيون، الماوردي، ج4/ 296

أنها كانت تخبر الناس أنه مجنون، وإذا آمن أحد به أخبرت الجبابة به، أما خيانة امرأة لوط أنه كان إذا نزل به ضيف أعلمت قومها بذلك، لما كانوا عليه من إتيان الرجال.

وقوله: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي لم يدفع نوح و لوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما شيئاً من عذاب الله تعالى " (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:
منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين السمرقندي والشنقيطي للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث أخذ السمرقندي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو من الصحابة، كما فسر الشنقيطي القرآن بالقرآن.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن الإمامين الماوردي والقرطبي، قد فسرا بالمأثور، حيث نقل الماوردي عن الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما، كما نقل الإمامان عن مقاتل وهو من التابعين، وبهذا يتبين للباحثة أنهما قد سارا على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليهما من آرائهما المحمودة.

ثانياً: فرعون:

وهو أكبرُ نموج من نماذج أهل الباطل في القرآن متمثلاً بفرعون، الذي ادعى الألوهية والربوبية على حد سواء، ولم يحدد القرآن الكريم اسم ذلك الفرعون لكي يجعله رمزاً لكل طاغية يصل به استبداده إلى التآله ثم إلى الهزيمة، "فرعون: هو لقب كان يُطلق على من ملك مصر في العصور القديمة، وبالمثل كان يُطلق لقب كسرى على ملك الفرس، ولكن فرعون المشهور وقصته المعروفة هو الذي كان في زمن موسى عليه السلام" (2).

وقد وصف القرآن الكريم فرعون بالعديد من الأوصاف أذكر منها:

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج18/ 201

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ج1/89، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج5/402

1. الاستكبار: كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: ٧٥].
يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 39]، وقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِيهِ
بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [يونس: ٧٥].

2. العلو في الأرض: كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس: 83]، ثم ذكر سبحانه مدى العلو والتكبر والتجبر والطغيان الذي كان يمارسه فرعون ببني إسرائيل فقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِيحُ
أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4]

3. الفساد: حيث كان فرعون رمزاً للفساد، وأي فساد أعظم من ادعاء الألوهية من دون الله،
قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى
الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: 38]

ومن صور إفساد فرعون، استعانته بالسحرة لقلب الحقائق لدى الناس، قال الله سبحانه
وتعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيِينَ 41 قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: 41، 42]، فكان هذا من عمل المفسدين كما قال
تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْفَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ
الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: 81]

ومن إفساده كفره وتكذيبه بآيات الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا
إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِيهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 103]

4. سوم الناس سوء العذاب: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ نَحْنُ نَحْيَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ
رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 49]

5. الفسق: كما جاء في قوله تعالى: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾
[النمل: 12].

وغيرها من الصفات التي اتصف بها فرعون، وهذا ينطبق على كل فراغة عصرنا
الذين أثبتوا أنهم على درب فرعون، في اضطهادهم للشعوب وسومهم شتى أصناف العذاب،
وكانهم تناسوا قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ
فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: 42].

فرعون لما ظن أنه استغنى عن الناس بملكه للثروة، والمال، والجاه والسلطان، وظن أنه ليس في حاجة إلى غيره؛ ادعى الربوبية والألوهية: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24]، وحكى القرآن عنه أنه قال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]، كما توعد كل من اتخذ إليها غيره بالعذاب الشديد، فقال: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتُ آلِهَةً غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: 29]، كما وصل الغرور بفرعون، الذي غرته الحياة وبها رجها؛ بأن ينادي في قومه ليقتنعهم بأن النعيم الذي هو فيه حقيقة لا خيال ودليل راسخ على ألوهيته، قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: 51]، فهو ينادي على قوم تعلقوا بالحياة الدنيا وزينتها، وسارعوا إلى طاعته فيصفهم الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: 54].

وقد أعطى الله سبحانه وتعالى فرعون مالا وثروة وجاهاً، فقال ﷻ على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: 88]

ونسي فرعون أن هذا الجاه والقوة والسلطان إنما هو استدراج من الله تعالى للظالمين للمضي في طغيانهم وغوايتهم، كما قال تعالى: ﴿... سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ 44 وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: 44، 45].

ومهما تعالى أهل الباطل، وتجبروا، فالظلم له نهاية، فكانت نهاية فرعون وجنوده الغرق، وسيعذبهم الله تعالى في الآخرة بنار جهنم قال ﷻ: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى 25 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات: 25-26] وقوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ 55 فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: 55 - 56]

وكان فرعون رمزاً للفساد، فقد ادعى الألوهية من دون الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]

وتناولت الباحثة هذه الآية بالتفسير والمقارنة .

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره نلاية: قال فرعون لأهل مصر ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ فلا تطيعوا موسى وهذه إحدى كلمتيه التي أخذها الله بهما، والأخرى

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات : 24] (1).

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره للآية: "يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه واقترائه في دعوى الإلهية لنفسه القبيحة -لعنه الله - كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: 54]، وذلك لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية، فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم؛ ولهذا قال فرعون لأشرف قومه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ وقال تعالى إخباراً عنه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النازعات: 23-26] يعني: أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مصرحاً لهم بذلك، فأجابوه سامعين مطيعين، ولهذا انتقم الله تعالى منه، فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة، وحتى إنه واجه موسى الكليم بذلك فقال: ﴿لَئِن أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾" [الشعراء: 29] (2).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الجزائري في تفسيره للآية: "إن فرعون لما سمع كلام موسى عليه السلام المصدق بكلام هارون عليه السلام، وكان الكلام في غاية اللين، مؤثراً خاف فرعون من الهزيمة، ناور وراوغ فقال في الحاضرين ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ما علمت لكم من إله غيري يستحق العبادة" (3).

ويقول الإمام الزحيلي في تفسيره للآية: "نادى فرعون في قومه: يا أيها الملأ الأشرف والكبراء، لم أعلم بوجود إله غيري، فإنه موسى غير موجود" (4).

(1) بحر العلوم، السمرقندي، (ج3/318)

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج6/238)

(3) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، (ج4/75)

(4) التفسير الوسيط، الزحيلي، (ج3/1919)

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهما الآية:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين السمرقندي وابن كثير للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسرا القرآن بالقرآن، وبذلك يكونا قد سلكا في تفسير الآية منهج التفسير بالمأثور وهو منهجها الذي يسيران عليه .

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهما للآية:

- تلاحظ الباحثة أن الإمامين الجزائري والزهيلي لم يعتمد أي منهم على المأثور عند تفسيرهما لهذه الآية وبذلك يكون صاحب التفسير بالرأي المحمود لم يسلكا في هذا الموضوع المنهج الصحيح الذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد.

ثالثاً: قارون:

نموج من نماذج أهل الباطل في القرآن الكريم متمثلاً بقارون⁽¹⁾، إحدى صور الطغيان، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ 76 وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 76، 77]، فقد كان قارون من بني إسرائيل وهو ابن عم سيدنا موسى ﷺ وقد رزقه الله تعالى سعة في الرزق، وكثرة في الأموال حتى فاضت بها خزائنه، واكتظت صناديقه بما حوته منها، فلم يعد يستطيع حمل مفاتيحها مجموعة من الرجال الأقوياء، وكان يعيش بين قومه عيشة الترف، فكان يلبس الملابس الفاخرة ولا يخرج إلا في زينته، ويسكن القصور، ويختار لنفسه الخدم والعبيد، ويستمتع بملذات الدنيا الفانية⁽²⁾

وقد نصحه قومه على جهة الوعظ والتنبيه والتحذير من المآل السيئ المحتوم إن استمر في بغيه وغيه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ 76 وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ

(1) قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام، من قوم موسى كان ابن عمه لأن موسى هو

ابن عمران بن يصهر بن قاهث، وكان أيضا ابن خالته، وممن آمن به، التفسير المنير في العقيدة

والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج 20 / 158

(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج 5 / 131

اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي
الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ ﴿[القصص: 76-77]

وكانت نصيحة قومه له واضحة جلية مبنية على خمسة أصول راسخة، من تمسك بها وعمل بمقتضاها نجا، أولها: لا تغتر بمالك. ثانيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾ أي: لا يحب الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، ثالثها: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: اجعل نصيباً مما أعطى لك الله من الغنى والخير في سبيل الله والعمل للدار الآخرة، ولا تمنع نفسك نصيبها من التمتع بالحلال في الدنيا، رابعها: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وأحسن إلى عباد الله مثلما أحسن الله ﷻ إليك بنعمته، خامسها: ﴿وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾ "ولا تُفسد في الأرض متجاوزاً حدود الله تعالى، إن الله سبحانه لا يرضى عن المفسدين لسوء أعمالهم" (1).

"ولكن قارون أبى أن يقبل هذا النصح والإرشاد، فقارون ينكر أن يكون لله شيء فيما بين يديه من هذا المال، ويدعي أن كسبه للمال كان بمعرفة منه ومهارة في اكتساب المال" (2).

وهذا النموذج ليس الوحيد في البشرية، فكم من الناس من يظن أن علمه وجهده وحدهما سبب غناه، فينسب الفضل لنفسه وبالتالي فهو حر التصرف بماله على الوجه الذي يريده هو، إما بإنفاق أو بإمساك. فالإسلام لم يمنع الملكية الخاصة، ولم يلغها، بل أباح الكسب الحلال كما رسم منهاجاً معيناً للتصرف في تلك الملكية، مع إيجاب الزكاة في حال بلغ المال النصاب.

بعضاً من مظاهر بغي قارون وكبريائه، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: 79]

وحينما كان قارون يتحاور مع قومه في شأن هذه الأموال أخبرهم أنه إنما أوتي هذه الأموال الطائلة بفضل علمه وحنكته وذكائه، ولم ينسب فضل جمع هذه الأموال إلى كرم الله تعالى وفضله، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المُجْرِمُونَ﴾ [القصص: 78]

وهذه الآية تناولتها الباحثة بالتفسير والمقارنة.

(1) تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، ج2/ 188

(2) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج20/ 159

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام الطبري في تفسيره للآية: قال قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل وعلم عندي، علمه الله مني، فرضي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم، لعلمه بفضلي، قال قتادة: "على علم عندي" أي: على خبر عندي.

وقوله: ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا﴾ يقول جل ثناؤه: أو لم يعلم قارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه، فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتي من الكنوز، وتجاهل أن الله قد أهلك قبله كثيرين كانوا أكثر منه قدرة على كسب المال وخبرة بوجوه استثماره، والمجرمون لا يسألون عن ذنوبهم لعلمه تعالى بها، فيدخلون النار بغير حساب، وإنما يسألون سؤال توبيخ، وقال مجاهد: قوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ كقوله: ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الرحمن: 41] زرقاً سود الوجوه، والملائكة لا تسأل عنهم لأنها قد عرفتهم. وقيل معنى ذلك: ولا يسأل عن ذنوب هؤلاء الذين أهلكهم الله من الأمم الماضية المجرمون فيم أهلكوا (1).

ويقول الإمام الثعالبي في تفسيره للآيات: قول قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾

قال الجمهور: ادعى أن عنده علماً استوجب به أن يكون صاحب ذلك المال، ثم اختلفوا في ذلك العلم، أهو علم الكيمياء، أو العلم بالتجارة ووجوه تثمير المال، وقيل غير هذا.

وقوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لعلم الله تعالى بها، إنما يسألون سؤال توبيخ

وتقرير، ويعاقبهم الله على ما علمه منهم، وقيل: أهلكوا ولم يسئل غيرهم بعدهم عن ذنوبهم، أي: كل واحد إنما يكلم ويعاتب بحسب ما يخصه (2).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الزحيلي في تفسيره للآيات: "رفض قارون سماع المواعظ المتضمنة اتقاء

الله في مال الله ﷻ، وأخذته العزة بالإثم، فأعجب بنفسه، وقال لناصحيه: أنا لا أحتاج لما تقولون، فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال، لعلمه بأني أستحقه، ولمعرفتي وخبرتي ومهارتي بكيفية جمعه، فأنا له أهل، فأجابه الله تعالى بأنه: أو لم يدر في جملة ما عنده من الدراية والعلم أن الله تعالى قد دمّر من قبله من هو أكثر منه مالاً، وأشد قوة، وأعظم مكانة، وأشهر سلطاناً

(1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (ج19/ 626)

(2) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، (ج4/ 283)

ونفوذاً، ولا يسأل المجرمون عن كثرة خطاياهم وسيئاتهم حينما يعاقبهم، لأنه تعالى عليم بكل المعلومات، مطّلع على جميع الأقوال والأفعال، فلا حاجة إلى السؤال، كقوله الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 283]"(1).

ويقول الإمام الحجازي في تفسيره للآيات: قال قارون: إنما أُعْطيت هذه الأموال لعلم عندي وقدرة، وكمال استحقاقه له، أو المعنى أنه أُوتيه على علم عنده بوجوه الكسب وطرق الزيادة، وإنماء المال، كأنه قال إنما أُوتيت هذا المال لفضل علمي وتمام مجهودي وتجاري، فليس لأحد حق له في هذا المال، وكأنه ينكر إنعام الله عليه بتلك الأموال لاستحقاقه لها عن جدارة فهو حر التصرف، فرد الله عليه أبلغ رد وبين له حقيقة الأمر، أعنده مثل هذا العلم الذي افتخر به وتعاضم، ورأى نفسه مستوجبة لكل نعمة، ولم يعمل به حتى بقي به نفسه مصارع السوء التي أهلك الله بها الطغاة المتجبرين الذين هم أشد منه قوة، وأكثر مالاً وعدداً، ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون، فكانت نهايته كما أخبر ﷺ: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: 81] وهكذا يجب على الإنسان ألا يغتر بماله، وأولاده وجموعه مهما كانت، فإن الله إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وليعلم المسلم أن الأيام دول، وليعتبر بما حصل في الماضي، وليحصن ماله بالإنفاق"(2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

– تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام الطبري للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسر القرآن بالقرآن، كما نقل عن مجاهد وقتادة وهما من التابعين، بخلاف الإمام الثعالبي فإنه لم يعتمد على المأثور عند تفسيره للآية، فيكون في هذا الموضوع لم يسلك المنهج الصحيح الذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآية:

– تلاحظ الباحثة أن الإمامين الحجازي والزحيلي قد فسرا بالمأثور حين استشهادا بآية تفسيراً للآية، وبهذا يكونا صاحبا التفسير بالرأي قد سارا على المنهج الصحيح بالرجوع إلى التفسير بالمأثور أولاً ثم إثراء المعنى بما فتح الله عليهما من آرائهم المحمودة.

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، (ج3/ 1939)

(2) التفسير الواضح، الحجازي، (ج2/ 849-850)

رابعاً: هامان:

نموذج من نماذج أهل الباطل في القرآن الكريم، هامان وزير السوء لفرعون، وقد ورد ذكره ست مرات في القرآن الكريم، كما ورد اسمه متصلاً باسم فرعون كشخص من المقربين إليه ويسند فرعون إليه أعمال البناء، حيث أمره ببناء صرح عال يصعد عليه؛ ليرى إله موسى ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ 36 أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: 36] وقوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِّنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: 38].

فقد كذب هامان، وفرعون وقارون دعوة موسى ﷺ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ 23 إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 23-24] وكان رد فعلهم أنهم استكبروا في الأرض، كما قال الله عنهم: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت: 39].

كما توعمهم الله سبحانه بقوله: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: 6]، فجاء هلاك هامان مع فرعون وجنوده عقوبة من الله ﷻ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ﴾ [القصص: 8].

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِّنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: 38]

وتناولت الباحثة بالتفسير والمقارنة هذه الآية.

تفسير الآية عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآية: قال فرعون لأهل مصر ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ فلا تطيعوا موسى فيما يأمركم، وأمر وزيره هامان أن يصنع له الآجر بقوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ أي: أوقد النار على اللين حتى يصير آجرًا⁽¹⁾، قال مقاتل: وكان فرعون أول من طبخ الآجر وبنى به، ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَى﴾ "صَرْحًا" أي: قطراً طويلاً منه، وهو المنارة، ليصعد عليه، وينظر إلى الإله الذي يدعو إليه موسى،

(1) الآجر، والآجر: طيبخ الطين، وهو الذي يبني به. لسان العرب، ابن منظور، (ج/4 /11)

فبنى الصرح، وكان بلاطه خبث القوارير، وكان الرجل لا يستطيع القيام عليه من طوله مخافة أن تنسفه الرياح، وكان طوله في السماء خمسة آلاف ذراع، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع، فلما فزع من بنائه جاء جبريل عليه السلام فضرب جناحه على الصرح، فهدمه ثم قال فرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي أحسب موسى بما يقول أن في السماء إلهاً من الكاذبين" (1).

وقال الإمام ابن كثير في تفسيره للآية: "يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه واقترائه في دعوى الألوهية لنفسه القبيحة، حين جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مصرحاً لهم بذلك، كما أمر وزيره هامان ومدير رعيته ومشير دولته أن يوحد له على الطين، ليتخذ له أجراً لبناء الصرح، وهو القصر المنيف الرفيع - كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: 36-37]، وذلك لأن فرعون بنى هذا الصرح الذي لم ير في الدنيا بناء أعلى منه، إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى إله غير فرعون؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: في قوله إن ثم ربا غيري، لا أنه كذبه في أن الله أرسله؛ لأنه لم يكن يعترف بوجود الصانع، فإنه قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: 23] وقال: ﴿لَئِنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: 29] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾" (2).

تفسير الآية عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الجزائري في تفسيره للآية: "إن فرعون لما سمع كلام موسى عليه السلام المصدق بكلام هارون عليه السلام، خاف فرعون من الهزيمة، ناور وراوغ فقال في الحاضرين ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ أي كما ادعى موسى ولكن سأبحث وأتعرف على الحقيقة إن كان هناك إله آخر غيري، فنادى وزيره هامان وأمره أن يعد اللبن المشوي لأنه قوي ويقوم ببناء صرح عال يصل إلى عنان السماء ليبحث بنفسه عن إله موسى إن كان حسب دعواه وإني لأظن موسى كاذباً في ادعائه أن هناك إلهاً آخر غيري" (3).

ويقول الإمام الزحيلي في تفسيره للآية: "نادى فرعون في قومه: يا أيها الملأ الأشراف والكبراء، لم أعلم بوجود إله غيري، فإنه موسى غير موجود، فاصنع لي أيها الوزير هامان أجراً

(1) بحر العلوم، السمرقندي، (ج3/ 318)

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج6/ 238)

(3) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، (ج4/ 75)

طيناً مشوباً بالنار وابن لي به قصراً عالياً في الفضاء، حتى أصدد به إلى السماء، فأشاهد إله موسى الذي يعبد، توهماً منه بأن الإله جسم مادي كالبشر، وإنني لأعتقد بأن موسى كاذب في ادّعائه وجود إله غيري" (1).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآية:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآية:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين السمرقندي وابن كثير للآية أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسرا القرآن بالقرآن، كما أخذ السمرقندي عن مقاتل وهو من التابعين، وبذلك يكون قد سلكا في تفسير الآية منهج التفسير بالمأثور وهو منهجهما الذي يسيران عليه.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآية:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من الجزائري والزهيلي لم يعتمد أي منهم على المأثور عند تفسيرهم لهذه الآية وبذلك يكون صاحب التفسير بالرأي المحمود لم يسلكا في هذا الموضع المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود الذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد.

خامساً: المنسلخ من آيات الله تعالى من بني إسرائيل:

نموج من نماذج أهل الباطل في القرآن الكريم، أعطاه الله آياته وهدايته، وعلمه، فانسلخ منها، كما تنسلخ الحية من جلدها، قال تعالى عنه: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 175، 176] وهاتان الآيتان سنتناولهما الباحثة بالتفسير والمقارنة.

أولاً: تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآيتين: "ضرب الله تعالى مثلاً للمكذبين بآياته المنزلة على رسوله، فقال: وقرأ أيها النبي على قومك خبر رجل من بني إسرائيل آتيناها علماء بآياتنا يعني: أكرمناه باسم الله الأعظم، ويقال واتل عليهم يعني: الكتاب وهي علم التوراة وغيره. ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها، ويقال: تهاون بها ولم يعرف حقها، ولا

(1) التفسير الوسيط، الزهيلي، (ج3/ 1919)

حرمتها، وخرج منها فغره الشيطان فصار من الظالمين وفي الضالين، قال بعضهم: (هو بلعم بن باعوراء كان عابداً من عباد بني إسرائيل، وكان مستجاب الدعوة، فنزع الله تعالى الإيمان عنه بدعاء موسى ﷺ. ثم قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي بالآيات ويقال: رفعناه في الآخرة بما علمناه من آياتنا. ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي: أمية بن أبي الصلت أو بلعم بن باعوراء مال إلى الدنيا ورضي بها واتبع هوى نفسه ويقال: عمل بهوى المرأة وترك رضى الله ﷻ، فصار حال بلعام في قلقه الدائم، وانشغاله بالدنيا، كحال الكلب في أسوأ أحواله عندما يلهث دائماً، إن زجرته أو تركته، وقيل: كل شيء يلهث من إعياء أو عطش ما خلا الكلب؛ فإنه يلهث في حال الراحة والصحة والمرض. قال مجاهد: كحال الكفار إن قرىء عليهم الكتاب لم يقبلوا، وإن لم يقرأ عليهم لم يعملوا. ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: ذلك صفة الذين جحدوا نبوة النبي ﷺ والقرآن فاقصص عليهم قصصه ليتفكروا فيؤمنوا" (1).

ويقول الإمام الثعالبي في تفسيره للآيتين: "قال ابن عباس: هو رجل من الكنعانيين الجبارين، اسمه بلعم بن باعوراء، وقيل: بلعام بن باعر، وقيل: غير هذا، وكان في جملة الجبارين الذي غزاهم موسى ﷺ، فلما قرب منهم موسى، لجؤوا إلى بلعام، وكان صالحاً مستجاب الدعوة، وقيل: كان عنده علم من صحف إبراهيم ونحوها، وقيل: كان يعلم اسم الله الأعظم، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا الخلاف هو في المراد بقوله: ﴿آيَاتِنَا آيَاتِنَا﴾، فقال له قومه: ادع الله على موسى وعسكره، فقال لهم: وكيف أدعو على نبي مرسل، فما زالوا به حتى فتوته، فخرج حتى أشرف على جبل يرى منه عسكر موسى ﷺ، وكان قد قال لقومه: لا أفعل حتى أستأمر ربي، ففعل، فنهي عن ذلك، فقال لهم: قد نهيت، فما زالوا به حتى قال: سأستأمر ثانية، ففعل، فسكت عنه، فأخبرهم، فقالوا له: إن الله لم يدع نهيك إلا وقد أراد ذلك، فخرج، فلما أشرف على العسكر، جعل يدعو على موسى، فتحول لسانه بالدعاء لموسى، والدعاء على قومه، فقالوا له: ما تقول؟ فقال: إني لا أملك هذا، وعلم أنه قد أخطأ، فقال لقومه: إني قد هلكت. "فانسلخ": عبارة عن البراءة منها، والانفصال والبعد، كالمنسلخ من الثياب والجلد، فأتبعه الشيطان، أي: صيره تابِعاً إما لضلالة رسمها له، وإما لنفسه، فكان من الضالين، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ قال ابن عباس وجماعة: لشرفنا ذكره، ورفعنا منزلته لدينا بهذه الآيات التي آتيناها، ولكنه تقاعس إلى الحضيض الأسفل الأخس من شهوات الدنيا ولذاتها وذلك أن الأرض وما ارتكن فيها هي الدنيا وكل ما عليها فان، ومن أخلد إلى الفاني، فقد حرم حظ الآخرة الباقية.

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج2/163-164

وقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾، شبه به في أنه كان ضالاً قبل أن يؤتى الآيات، ثم أوتيتها، فكان أيضاً ضالاً لم تنفعه، فهو كالكلب في أنه لا يفارق اللهث في كل حال وهذا قول الجمهور.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: هذا المثل يا محمد، مثل هؤلاء الذين كانوا ضالين قبل أن تأتيهم بالهدى والرسالة، ثم جنتهم بها، فبقوا على ضلالتهم، ولم ينتفعوا بذلك، فمثلهم كمثل الكلب، فاسرد عليهم ما يعلمون أنه من الغيوب التي لا يعلمها إلا أهل الكتب الماضية ولست منهم لعلهم يفكرون في ذلك فيؤمنوا" (1).

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام السعدي في تفسيره للآيتين: "يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا...﴾ أي: علمناه كتاب الله تعالى، فصار عالماً، لكنه لم يعمل بها، بل تركها وانخلع منها، وانسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، فإن العلم بذلك، يصير صاحبه متصفاً بكمار الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس.

فتسلط عليه الشيطان حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزا، ويقول ﷻ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ لو شئنا نفعه بهذه الآيات بأن نوقفه للعمل بها فيرتفع في الدنيا والآخرة، ولكنه فعل ما يقتضي الخذلان، فأخذ إلى الشهوات السفلية، والمقاصد الدنيوية، وترك طاعة مولاه، فمثلته في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها، كمثل الكلب لا يزال لاهثاً في كل حال، وهذا لا يزال حريصاً، لا يسد فاقته شيء من الدنيا، ذلك المثل المذكور مثل القوم الضالين بتكذيبهم بآياتنا، بعد أن ساقها الله إليهم، فلم ينقادوا لها، بل كذبوا بها وردوها، لهوانهم على الله، واتباعهم لأهوائهم، بغير هدى من الله، فاقصص أيها الرسول القصص عليهم، ففي إخبارك بذلك أعظم معجزة، لعل قومك يتدبرون فيما جنتهم به فيؤمنون لك" (2).

ويقول الإمام الزحيلي في تفسيره للآيتين: "اقرأ أيها الرسول على اليهود خبر الذي علمناه آياتنا، ولكنه لم يعمل بها، وتركها وراءه، وتجرد منها إلى الأبد، فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له، وتمكن من الوسوسة له، فأصغى إليه، فصار من الظالمين الكافرين، لميله إلى

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج3/ 94-95

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 308

الدنيا واتباع الهوى والشيطان، وهو عالم من علماء بني إسرائيل، وقيل: من الكنعانيين، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه رجل من اليمن، اسمه بلعم بن باعوراء، أوتي علم بعض كتب الله ﷺ، فانسخ منها، وكفر بآيات الله، ونبذها وراء ظهره، ولو شئنا لرفعناه بالآيات، وجعلنا له منزلة عظيمة من منازل العلماء الأبرار، بأن نوقفه للهداية والعمل بالآيات، ولكنه ركن إلى الدنيا ومال إليها ورغب فيها واهتم بلذائذها، واتبع هواه، فلم يوجه همه إلى نعيم الآخرة، ولم يهتد بآياتنا، ولم تَزَقْ نفسه إلى سلم الكمال الروحي، ولم يقدرّ نعمة الله عليه باستعمالها في مرضاته، وأصبح مثله أو صفته في الذلة والحقارة، والخسة والدناءة كمثل الكلب، وهي حال دوام اللهث به، سواء حمل عليه أي شد عليه وطرده، أو ترك دون طرده، وهذه الصفة هي أقبح حالات الكلب وأخسها، وقد شبه بها حال عجيبة غريبة، هي حال ذلك الذي تجرد من معرفة آيات الله تعالى.

ذلك المثل هو مثل هؤلاء القوم الذين كذبوا بآيات الله تعالى، واستكبروا عنها، ولم تتفعهم الموعظة، وهم اليهود بعد ما قرأوا نعت رسول الله ﷺ في التوراة، وبشروا الناس باقتراب مبعثه، وكانوا يستتصرون أو يستفتحون به، وجاء القرآن المعجز كاشفاً هذه الحقيقة التي أنكرها اليهود بعد بعثة النبي ﷺ، فاقصص أيها الرسول قصص ذلك الرجل الذي تشبه حاله حال المكذبين بآياتنا، لعل بني إسرائيل العالمين بحال بلعم وما جرى له في إضلال الله إياه وإبعاده من رحمته، بسبب استعماله نعمة الله تعالى في غير طاعة ربه، بل دعا به على حزب الرحمن، لعلهم يتفكرون فيحذروا أن يكونوا مثله، فإن الله أعلمهم بصفة محمد ﷺ، فهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومناصرته ومؤازرته" (1).

المقارنة بين التفاسير بالمأثور والرأي المحمود من حيث تناولها لمعاني الآيتين الكريمتين:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم للآيتين:

تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام الثعالبي للآيتين أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث أخذ الإمام الثعالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو من الصحابة، أما الإمام السمرقندي فقد فسر الآيتين دون الرجوع للمأثور، وبذلك لم يسلك في هذا الموضع المنهج الصحيح الذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد.

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، ج9/ 162-164

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات:

تلاحظ الباحثة أن الإمام الزحيلي صاحب التفسير بالرأي فقد فسر الآيتين بالمأثور أولاً حيث نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم فسر الآيتين بما فتح الله عليه من آرائه المحمود، في حين أن الإمام السعدي لم يفسر بالمأثور في هذا الموضوع وبذلك لم يسلك المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود، الذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد.

المطلب الثاني:

نماذج من أهل الباطل زمن البعثة النبوية

أولاً: أبو جهل "عمرو بن هشام":

يُعدُّ عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، أنموذجاً من أهل الباطل في زمن البعثة النبوية، لم يذكر اسمه صراحة في القرآن وإنما نزلت بشأنه آيات تندد بأفعاله وتتوعده بالعذاب، فقد كان من سادات قريش، ويعرف بأبي الحكم، وكناه المسلمون من معاصريه بأبي جهل، وولد في عام الفيل، وكان من أشد أعداء الإسلام، وقد تعرض بالإيذاء للنبي ﷺ وأصحابه ﷺ وهو صاحب فكرة اختيار شاب من كل قبيلة؛ لقتل النبي ﷺ حتى يتفرق دمه بين القبائل، وهو الذي طعن سمية أم عمار بن ياسر بحريته فقتلها؛ لأنها أغلظت له القول، فكانت أول شهيدة في الإسلام، قُتل في معركة بدر⁽¹⁾.

وفيه نزل قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا * بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: 8-19]، ذكر المفسرون أن هذه الآيات نزلت في فرعون هذه الأمة أبي جهل، حيث سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة.

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام السمرقندي في تفسيره للآيات: "كان ﷺ إذا صلى في المسجد، رفع صوته بالقراءة، فلغطوا ورموه بالحجارة، فخفض صوته في الصلاتين الظهر والعصر، إذا حضروا، وأما صلاة المغرب، اشتغلوا بالعشاء وصلاة العشاء ناموا، وصلاة الفجر لم يقوموا، فرجع في هذا،

(1) انظر: الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، المصري، ج10/ 775

فصار سنة إلى اليوم فنزل قوله ﷺ: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى...﴾، ويقال: إن أبا جهل قال: لئن رأيت محمداً يصلي، لأطأن عنقه فنزلت الآيات، والمعنى: ألم تر أن هذا الكافر، ينهى عبد الله عن الصلاة، وهو محمد ﷺ، ثم قال: أرأيت إن كان هذا المنهى على هدى وبصيرة من ربه؟! أو كان يأمر الناس بتقوى الله بامتثال أوامره واجتتاب نواهيه، أيُنهى من كان هذا شأنه؟! أرعيت إن كذب بالتوحيد، وتولى عن الإسلام، ألم يعلم بأن الله مطلع على أفعاله فيجازيه، ثم قال حقاً لئن لم يمتنع أبو جهل عن إيذاء النبي ﷺ، ولم ينتب، ولم يسلم قبل الموت، لنأخذ به بالناصية أخذاً شديداً، يعني: يؤخذ بنواصيه يوم القيامة، ويطوى مع قدميه، ويطرح في النار.

وقوله: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ صاحب تلك الناصية كاذب في القول خاطئ في الفعل، ثم قال ﷺ: فليدع أهل مجلسه، وأصحابه الكفرة حتى ينقذوه من العذاب، فإن فعل فإنه سيتعرض لسخط الله، وسيدعو الله تعالى جنوده الذين أوكل إليهم تعذيب العصاة الطغاة في النار، وروي في الخبر، أن النبي ﷺ لما قرأ بهذه السورة، وبلغ إلى قوله: ﴿لَنْسُقَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ قال أبو جهل: أنا أدعو قومي، حتى يمنعوا عني ربك، فقال تعالى رداً على قوله: ﴿فَلْيُدْغُ نَادِيَهُ سَنْدُغُ الزَّبَانِيَةِ﴾ فلما سمع ذكر الزبانية، رجع فرعاً، فقيل له: خشيت منه، قال: ولكن رأيت عنده فارساً فهددني بالزبانية، فلا أدري ما الزبانية، ومال إلى الفارس، فخشيت أن يأكلني، ثم قال: حقاً لا تطعه في ترك الصلاة يا محمد، وصل واقترب إلى ربك، بالأعمال الصالحة" (1).

قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: "نزلت الآيات في أبي جهل، لعنه الله، توعده النبي ﷺ على الصلاة عند البيت، فوعظه الله تعالى بالتي هي أحسن أولاً فقال: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ أي: فما ظنك إن كان هذا الذي تنهاه على الطريق المستقيم في فعله، أو أمر بالتقوى بقوله، وأنت تزجره وتتوعده على صلاته؛ ولهذا قال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ أي: أما علم هذا الناهي لهذا المهتدي أن الله يراه ويسمع كلامه، وسيجازيه على فعله أتم الجزاء.

ثم قال تعالى متوعداً ومتهدداً: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾ أي: لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد ﴿لَنْسُقَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لئن لم ينزجر عما هو عليه لنأخذن بناصيته إلى النار بشدة، ثم قال: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أي: ناصية أبي جهل كاذبة في مقالها خاطئة في فعالها، ﴿فَلْيُدْغُ نَادِيَهُ﴾ أي: قومه وعشيرته، أي: ليدعهم يستنصر بهم، ﴿سَنْدُغُ الزَّبَانِيَةِ﴾ وهم ملائكة العذاب.

(1) بحر العلوم، تفسير السمرقندي، ج3/ 599-600

وقوله: ﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ﴾ يعني: يا محمد، لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها، وصل حيث شئت ولا تباله؛ فإن الله حافظك وناصرك، وهو يعصمك من الناس، ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ فلا تطعه في أمر ولا نهى، واسجد لله، واقترب منه بالطاعات" (1).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام السعدي في تفسيره للآيات: "أرأيت أعجب من أمر أبي جهل الذي ينهى عبدنا محمداً ﷺ إذا صَلَّى عند الكعبة، أرأيت إن كان هذا المنهى على العلم بالحق والعمل به، أو أمر غيره بالتقوى، فهل يحسن أن يُنهى، من هذا وصفه؟ أليس نهيه، من أعظم المحادة لله، والمحاربة للحق؟ أرأيت إن كذَّب هذا الناهي بالحق، وتولى عن الأمر، أما يخاف الله ويخشى عقابه؟ ألم يعلم ناهي هذا العبد عن الصلاة أن الله يرى ما يعمل ويفعل؟".

ثم توعده إن استمر على حاله، فقال: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهَ﴾ عما يقول ويفعل، ﴿لَنْسَفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ﴾ أي: لناخذن بناصيته، أخذاً عنيفاً، وهي حقيقة بذلك، فإنها ﴿نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾ أي: كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها، فليدع هذا الذي حق عليه العقاب أصحابه ومن حوله، ليعينوه على ما نزل به، سندعو نحن خزنة جهنم من الملائكة، لأخذه وعقوبته، فلينظر أي: الفريقين أقوى وأقدر؟ فهذه حالة الناهي وما تُوعَد به من العقوبة، وأما حالة المنهى، فأمره الله أن لا يصغى إلى هذا الناهي ولا ينفاد لنهيه فقال: ﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ﴾ أي: فإنه لا يأمر إلا بما فيه خسارة الدارين، واسجد لربك، واقترب منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات، فإنها كلها تدني من رضاه وتقرب منه.

وهذا عام لكل ناه عن الخير ومنهى عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة" (2).

ويقول الإمام الحجازي في تفسيره للآيات: "يقول الله ﷻ لنبيه أخبرني يا محمد عن هذا الذي ينهى عبداً خاضعاً لله يصلي له، ما شأنه؟ إن شأنه لعجيب شخص يكفر ويعصى ربه، ينهى عن الخير وخاصة الصلاة أخبرني عن حاله لو كان من أصحاب اليمين، وكان من السابقين المهتدين ثم يأمر بالتقوى والخير ما شأن هذا؟ إن حاله يكون عجيباً لأنه يستحق المثوبة الكبرى في جنة المأوى. أرأيت إن كذَّب هذا الناهي بما جاء به الرسول، وأعرض عنه، ألا يخشى الله؟! أجهل أن الله يطلع على أحواله فيجازيه بها، ثم توعده الله ﷻ إن استمر على

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8/ 438-439

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: 930-931

حاله، فقال: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهَ﴾ كلاً: كلمة ردع وزجر لمن يعصى الله مطلقاً، فأقسم لئن لم ينته هؤلاء الكفار أو العصاة عن أفعالهم لنعذبهم عذاباً شديداً، ولنذلهم إذلالاً يتناسب مع تكبرهم في الدنيا وما ذلك على الله بعزيز. لنجذب تلك الناصية بشدة، تلك الناصية التي طالما كذبت لغورها بقوتها واعتقادها أنها تمتنع عن الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا كذب بلا شك، وقد أخطأت لأنها تجاوزت حدها وأساعت إلى غيرها وخاصة الأبرار الصادقين، سنفعل مع صاحبها كل إهانة فليدع أهل نادية ليدفعوا عنه شيئاً!! بل سندعو الزبانية، أي: سيدعو الله زبانية جهنم يدفعونه دفعا لها، كما في قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاءً﴾ [الطور: 13]

فلا تطعه أيها الرسول واسجد لله دائما وتقرّب إليه بالعبادة فإنها الحصن والوقاية، وطريق النجاح⁽¹⁾.

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير كلاً من السمرقندي وابن كثير لم يأخذ بالتفسير بالمأثور عند تفسيرهم للآيات السابقة وإنما اكتفوا بتفسير الآيات تفسيراً إجمالياً، وبذلك لم يسلكا منهجها وهو التفسير بالمأثور في هذا الموضوع.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام الحجازي قد فسر القرآن بالقرآن، في حين أن الإمام السعدي لم يعتمد على المأثور عند تفسيره للآيات فقد فسر الآيات تفسيراً إجمالياً دون التطرق للمأثور، وبهذا لم يسلك المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

ثانياً: الوليد بن المغيرة:

نموذج من نماذج أهل الباطل في القرآن الكريم، في زمن البعثة النبوية، إنه الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم، وكان مناوئاً لمحمد ﷺ، لم يذكر اسمه صراحة في القرآن وإنما نزلت بشأنه آيات تندد بأفعاله وتتوعده بالعذاب، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ 30 وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف:

(1) التفسير الواضح، الحجازي، ج3/ 885

[30,31] وقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا 11 وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا 12 وَبَنِينَ شُهُودًا 13 وَمَهْدُتٌ لَهُ تَمْهِيدًا 14 ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ 15 كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا 16 سَأْرِهْفُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: 11 - 17] سمع الوليد بن المغيرة القرآن من النبي ﷺ، فوقع القرآن في قلبه، واستحوذ على وجدانه، فسارع إلى قريش، يعلن رأيه بصراحة بأن القرآن له حلاوة، وعليه طلاوة، وأن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق، وأنه ليعلو وما يُعلى عليه، وما هو من قول البشر، فقال أبو جهل للوليد بن المغيرة: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: دعني حتى أفكر فيه، وبعد جهد جهيد، وصراع نفسي عنيف قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، ألم تروا أنه يفرق بين الرجل وأهله، والولد ووالده ⁽¹⁾. فأنزل الله ﷻ به قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ 18 فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ 19 ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ 20 ثُمَّ نَظَرَ 21 ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ 22 ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ 23 فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ 24 إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ 25 سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ 26 وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرٌ 27 لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ 28 لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 11 - 29]

كما ندد الله ﷻ بصفات الوليد وحذر منها فقال سبحانه: ﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَاْفٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرَطُومِ﴾ [القلم: 10 - 16] وتناولت الباحثة هذه الآيات بالتفسير والمقارنة .

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام البغوي في تفسيره للآيات: "ينهى الله نبيه ﷺ عن طاعة كل إنسانٍ كثير الحلف بالباطل ضعيف حقير، قال مقاتل: هو الوليد بن المغيرة. وقيل: الأسود بن عبد يغوث. وقال عطاء: الأخنس بن شريق.

وقوله: ﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ كثير الاغتياب للناس، كثير المشي بالنميمة بينهم؛ ليفرق بينهم مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والغيبة. ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ بخيل بالمال، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يمنع ولده وعشيرته عن الإسلام يقول: لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبداً، "مُعْتَدٍ" ظلوم يتعدى الحق "أَثِيمٍ" فاجر، عتل والعتل هو: الغليظ الجافي، وقيل هو الفاحش الخلق السيئ الخلق، وشديد الخصومة في الباطل، وقيل: هو الشديد في كفره.

(1) انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، أبو شُهبة، ج1/ 309

وقوله: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ أي مع ذلك، يريد مع ما وصفناه به زنيم وهو الدعي الملتصق بالقوم وليس منهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم. وقيل: "الزنيم" الذي له زنمة كزنمة الشاة، ولا نعلم أن الله وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي يكفر بالله تعالى ورسوله ﷺ لأن الله أنعم عليه بالأموال والبنين، حيث جعل جزاء النعم الكفر والجحود؟ فذلك لا ينفعه عند ربّه. وهذا تقرّيع وتوبيخ على مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين بالكفر بآيات الله تعالى والإعراض عنها، فقد كان حاله إذا تليت عليه آيات القرآن، زعم أنها كذب مأخوذ من قصص وأباطيل القدماء، وليس هو من عند الله تعالى، ثم توعدّه الله ﷻ فقال: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ و"الخرطوم": الأنف. قال أبو العالية ومجاهد: أي نسود وجهه، فنجعل له علماً في الآخرة يعرف به، وهو سواد الوجه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سنخطمه بالسيف، وقد فعل ذلك به يوم بدر، وقال قتادة: سنلحق به شيئاً لا يفارقه" (1).

ويقول الإمام الثعالبي في تفسيره للآيات: "يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: فلا تطع الحلاف المررد لحلفه الذي قد كثر منه، والمهين ضعيف الرأي، والعقل قاله مجاهد، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المهين الكذاب، والههاز الذي يقع في الناس بلسانه، والنميم مصدر كالنميمة، وهو نقل ما يسمع مما يسوء ويحشر النفوس، قال ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات» (2)، وهو النمام، وذهب كثير من المفسرين إلى أن هذه الأوصاف هي أجناس لم يرد بها رجل بعينه، وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل غيره.

وقوله ﴿مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ قال كثير من المفسرين: الخير هنا المال فوصفه بالشح، وقال آخرون: بل هو على عمومته في الأموال والأعمال الصالحات، والمعتدي المتجاوز لحدود الأشياء، والأثيم فعيل من الإثم، والعتل: القوي البنية، الغليظ الأعضاء، القاسي القلب، بعيد الفهم، الأكل الشروب، الذي هو بالليل جيفة وبالنهار حمار، وكل ما عبر به المفسرون عنه من صفات النقص، والزنيم في كلام العرب: الملتصق في القوم وليس منهم، وقيل: الزنيم:

(1) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج8/ 192

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة، ج8/ 17 رقم الحديث: 6056 ،

وصحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلط تحريم النميمة ج1/ 101، رقم الحديث: 169

المريب القبيح الأفعال. وقوله: **(سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ)** معناه: على الأنف. قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الضرب بالسيف في وجهه وعلى أنفه، وقد حل ذلك به يوم بدر، وقيل: ذلك الوسم هو في الآخرة، وقال قتادة وغيره: معناه سنفعل به في الدنيا من الذم له والمقت والاشتهار بالشر، ما يبقى فيه ولا يخفى به، فيكون ذلك كالوسم على الأنف" (1).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الزحيلي في تفسيره للآيات: "إياك أيها النبي إطاعة كل شخص كثير الحلف بالباطل، حقير الرأي والفكر، وهو أيضا عيَاب طعان، يذكر الناس بالشر في وجوههم، ويمشي بالنميمة والسعاية بالفساد بين الناس. قال ﷺ: "لا يدخل الجنة قتات" أي نام، وهو مناع للخير، أي بخيل، يمنع الخير عن الناس من الإيمان والعمل الصالح، كثير الآثام والذنوب، وكان للوليد بن المغيرة عشرة بنين، وكان يقول لهم ولأمثالهم: لئن تبع دين محمد منكم أحد، لا أنفعه بشيء أبداً، فمنعهم الإسلام وهو الخير الذي منعهم إياه، وهو عدا ما ذكر غليظ جاف الطبع، شديد الخلق، دعي في قريش، ملصق بالقوم، وليس هو منهم، وقيل: إنما ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة.

وقد جعل جزاء النعم الكفر والجود، فكان إذا تليت عليه آيات القرآن، زعم أنها كذب من أكاذيب وقصص الماضين، وليس من عند الله تعالى. لكن عقابه في الدنيا أو الآخرة أننا سنجعل له على أنفه وسما بالسواد، وبالفعل فإنه قاتل يوم بدر، فخطم بالسيف في القتال" (2).

ويقول نخبة من أساتذة التفسير في تفسيرهم للآيات: "ولا تطع أيها الرسول كل إنسان كثير الحلف كذاب حقير، مغتاب للناس، يمشي بينهم بالنميمة، بخيل بالمال، شديد المنع للخير، متجاوز حدّه في العدوان على الناس وتناول المحرمات، كثير الآثام، شديد في كفره، فاحش لئيم، منسوب إلى غير أبيه، ومن أجل أنه كان صاحب مال وبنين طغى وتكبر عن الحق، فإذا قرأ عليه أحد آيات القرآن كذّب بها، وقال: هذه أباطيل الأولين وخرافاتهم. وهذه الآيات وإن نزلت في بعض المشركين كالوليد بن المغيرة، إلا أن فيها تحذيراً للمسلم من موافقة من اتصف بهذه الصفات الذميمة، سنجعل على أنفه علامة لازمة لا تفارقه عقوبة له؛ ليكون مفتضحاً بها أمام الناس" (3).

(1) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج 5/ 466-468

(2) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ج 3/ 2710

(3) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج 1/ 564

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام البغوي والثعالبي للآيات أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث نقل الإمامان البغوي والثعالبي عن الصحابة، أمثال ابن عباس رضي الله عنهما، وعن التابعين من أمثال: أبي العالية ومجاهد وقتادة، كما استدل الثعالبي بالحديث الصحيح عند تفسيره للآيات، وبهذا يكون قد سلكا المنهج الصحيح للتفسير بالمأثور.

منهج أصحاب التفسير بالرأي المحمود في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن الإمام الزحيلي فقد سار على المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود، حيث فسر القرآن بحديث صحيح.

- أما أصحاب التفسير الميسر فقد فسروا الآيات تفسيراً إجمالياً دون الرجوع للمأثور وبذلك لم يسلكوا المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور .

ثالثاً: أبو لهب عم الرسول ﷺ:

وهذا نموج آخر من نماذج أهل الباطل في القرآن الكريم، في زمن البعثة النبوية، ألا وهو أبو لهب وهو لقب، واسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم وكنيته أبو عتبة (1). أستاذ للجهالة وللإعراض ولللعناد، رجل تكبر بجاهه وأسرته، ورفض الإسلام، وفيه نزل قوله: ﴿تَبَّثْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ 1 مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ 2 سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ...﴾ [المسد: 1-3] وهذه الآيات سنتناولها الباحثة بالتفسير والمقارنة.

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيات: روى البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: "يا صباحاه" فاجتمعت إليه قریش، فقال: "أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟" قالوا: نعم، قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تباً لك، فأنزل الله: ﴿تَبَّثْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إلى آخرها (2). الأول دعاء عليه، والثاني خبر عنه، فأبو لهب هذا هو أحد

(1) انظر: تاريخ دمشق، ابن عساکر، ج67/ 161

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التفسير/ باب قوله: ﴿ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾، ج16/

440، رقم الحديث: 4972

أعمام رسول الله ﷺ، وكان كثير الأذى لرسول الله ﷺ والبغض له، والتقصص له ولدينه، وروى الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد (1) قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز، وهو يقول: "يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا". والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله ﷺ، وقالوا لي: هذا عمه أبو لهب" (2).

فقوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ أي: خسرت وخابت، وضل عمله وسعيه، **﴿وَتَبَّتْ أَي: وقد تب تحقق خسارته وهلاكه. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾** قال ابن عباس وغيره: "وما كسب" يعني: ولده. وروى عن عائشة، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وابن سيرين، مثله.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما دعا قومه إلى الإيمان، قال أبو لهب: إذا كان ما يقول ابن أخي حقاً، فإني أفندي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي، فأنزل الله: **﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾**. ثم يتوعده الله سبحانه بقوله: **﴿سَيَصَلَّىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾** أي: ذات شرر ولهيب وإحراق شديد" (3).

وقال الإمام الثعالبي في تفسيره لآيات: "عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت: **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾** [الشعراء: 214] ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: «يا صباحاه» فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: «أرايتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» قال أبو لهب: تباً لك، ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت: **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾** [المسد: 1] (4).

وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب، وهو عم النبي ﷺ ولكن سبقت له الشقاوة، كناه الله ﷻ بأبي لهب لما خلقه سبحانه للهب وإليه مصيره ألا تراه تعالى قال: **﴿سَيَصَلَّىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾**

(1) ربيعة بن عباد الديلي صحابي مدني معمر روى عنه بن المنكدر وأبو الزناد وزيد بن أسلم، كان من أهل الحجاز له صحبة، توفي بالمدينة أيام الوليد بن عبد الملك، انظر: معرفة الصحابة، لابن منده، ص:

(2) مسند أحمد، حديث ربيعة بن عباد الديلي، ج31/342 رقم الحديث: 19004، حكم الألباني: صحيح، في صحيح السيرة النبوية، الألباني، ص: 143

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8/514-515

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التفسير/ باب سورة تبت، ج6/179، رقم الحديث: 4971

ما دفع عنه عذاب الله ماله الذي كان له، ولا جاهه الذي كسبه، وقيل: كسبه بنوه. ويتوعده الله ﷻ بقوله: «سَيَصَلَّى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ» حتم عليه بالنار وإعلام بأنه يتوفى على كفره، نعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء" (1).

تفسير الآيات عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الواحدي في تفسيره للآيات: "لما نزل قوله: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» [الشعراء: 214] صعد رسول الله ﷺ الصفا ونادى بأعلى صوته يدعو قومه فاجتمعوا إليه فأندرهم النار وقال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب: تباً لك ما دعوتنا إلا لهذا فأنزل الله: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ...» أي: خابت وخسرت. «وَتَبَّتْ» وخسر هو ولما خوفه النبي ﷺ بالعذاب قال: إنه إن كان ما يقوله ابن أخي حقاً فإني أفندي منه بمالي وولدي فقال الله تعالى: «مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ» أي شيء أغنى عنه ماله وولده؟ لم يدفعه عنه عذاباً، ولم يجلبها له رحمة. «سَيَصَلَّى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ» سيدخل يوم القيامة ناراً ذات لهب، يقاسي حرّها" (2).

ويقول الإمام حومد في تفسيره للآيات: "خرج رسول الله ﷺ إلى البطحاء يوماً فصعد الجبل، ونادى واصباحاه. فاجتمعت قريش، فقال لهم أرايتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا نعم: قال: فإني نذير إليكم بين يدي عذاب شديد. فقال له أبو لهب ألهذا جمعتمنا؟ تباً لك، فأنزل الله تعالى هذه السورة .

والمعنى: الخسران والهلاك لأبي لهب، وقد نسب تعالى الخسران والتباب ليدي أبي لهب لأنهما أداة العمل والبطش، وقد تب وهلك. فالجملة الأولى دعاء، والجملة الثانية إخبار بأن هذا الدعاء قد تحقق، وفي الآخرة لا يغني عنه ماله ولا عمله الذي كان يقوم به في الدنيا من معاداة الرسول وإيذائه، وسيذوق في الآخرة حر النار، وسيعذب في لظاها" (3).

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج5/ 636-637

(2) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص: 1239

(3) أيسر التفاسير، حومد، ص6094

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيات:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيات:

- من خلال ما تقدم تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمام ابن كثير والثعالبي قد أخذ طابع التفسير بالمأثور حيث استشهد كل منهما بأحاديث صحيحة، وبذلك يكونا قد سلكا في تفسير الآيات منهج التفسير بالمأثور وهو منهجها الذي يسيران عليه .

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيات:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من الواحدي وحومد لم يأخذ بالتفسير بالمأثور عند تفسيرهم للآيات السابقة وإنما اكتفوا بتفسير الآيات تفسيراً إجمالياً، وبذلك يكون هذان المفسران لم يسلكا المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود، والذي يقوم أولاً على التفسير بالمأثور.

رابعاً: أم جميل زوجة أبي لهب:

نموج من نماذج أهل الباطل في القرآن الكريم، زمن البعثة النبوية وهي: أروى بنت حرب بن أمية، أخت الصحابي الجليل أبو سفيان بن حرب، وهي زوجة أبي لهب، كانت من سادات نساء قريش، وكانت دائماً عوناً وسنداً لزوجها أبي لهب على محاربة وإيذاء النبي ﷺ، فقد كانت تضع الأشواك في طريقه ﷺ، ويقال إنها تبرعت بعقد ذهب في جديدها من أجل إيذاء النبي ﷺ فأبدلها الله حبلاً من مسد في النار توعداها الله ﷻ بقوله: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِذِّهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ [المسد: 4-5] وتناولت الباحثة الآيتين بالتفسير والمقارنة.

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالمأثور:

قال الإمام ابن كثير في تفسيره للآيتين: "كانت زوجة أبي لهب من سادات نساء قريش، وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ 4 فِي جِذِّهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه، مهياً لذلك مستعدة له، قال مجاهد وعكرمة: كانت تمشي بالنميمة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ، وقال سعيد بن المسيب: كانت لها قلادة فاخرة، فقالت: لأنفقتُها في عداوة محمد، فأعقباها الله منها حبلاً في جديدها من مسد النار، والمسد الليف، وقيل: هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعاً، وقال مجاهد: هو طوق من حديد، وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أقبلت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي

يدها حجر صلب وهي تقول: مذمماً أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها قال: يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك، فقال رسول الله ﷺ: «إنها لن تراني»، وقرأ قرآناً اعتصم به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45]، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ﷺ، ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني، قال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيدها، قال: فعثرت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت، فقالت: تعس مذمم وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها، ثم ترمى إلى أسفلها، ثم لا تزال كذلك دائماً.

قال العلماء: وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿سَيَصِلُ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ 3 وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ 4 فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقبض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطناً ولا ظاهراً، لا سراً ولا علناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة، على النبوة الظاهرة" (1)

وقال الإمام الثعالبي في تفسيره للآيتين: "هي أم جميل كانت مؤذية للنبي ﷺ وللمؤمنين بلسانها وغاية قدرتها، وكانت تطرح الشوك في طريق النبي ﷺ وطريق أصحابه ليعقرهم فلذلك سميت حمالة الحطب قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل هو استعارة لذنوبها. وقوله: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة: الإشارة إلى الحبل حقيقة، الذي ربطت به الشوك، والمسد: الليف، وفي صحيح البخاري، قال مجاهد: حمالة الحطب: تمشي بالنميمة، ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: 5]: يقال: من مسد: ليف المقل (2)، وهي السلسلة التي في النار (3)، وفي عنقها حبل محكم الفتل تساق به إلى النار" (4).

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج8/ 515

(2) ليف المقل: تضعها في عنقها في الدنيا لتحمل الحطب وفي الآخرة يكون سلسلة من النار والمقل: حمل

شجر يسمى الدوم يشبه النخل. انظر: الفجر الساطع على الصحيح الجامع، الشيبهبي، ج6/ 161

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ﴾، ج6/ 180

(4) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، ج 5/ 637

تفسير الآيتين عند علماء التفسير بالرأي المحمود:

قال الإمام الواحدي في تفسيره للآيتين: "كانت أم جميل شديدة الأذية لرسول الله ﷺ، وتتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، فقد كانت نقالة الحديث، الماشية بالنميمة التي كانت تحمل الشوك، فتطرحه في طريق النبي ﷺ؛ لأذيتته.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ في عنقها سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً تدخل في فيها وتخرج من دبرها ويلوى سائرها في عنقها. والمسد: هو كل ما أحكم به الحبل" (1).

ويقول الإمام السعدي في تفسيره للآيتين: "﴿وَأَمْرَأَةٌ حَمَّالَةٌ حَطَبٍ...﴾ كانت تسعى أم جميل في أذية الرسول ﷺ، وتجمع على ظهرها من الأوزار بمنزلة من يجمع حطباً، وقد أعد الله لها في عنقها حبلاً ﴿مِنْ مَسَدٍ﴾ أي: من ليف. أو أنها تحمل في النار الحطب على زوجها، متقلده في عنقها حبلاً من مسد، وفي هذه السورة، آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة" (2).

مقارنة بين منهج أصحاب التفسير بالمأثور والرأي المحمود في تناولهم لتفسير الآيتين:

منهج أصحاب التفسير بالمأثور في تفسيرهم الآيتين:

- تلاحظ الباحثة أن تفسير الإمامين ابن كثير والثعالبي للآيتين أخذ طابع التفسير بالمأثور، حيث فسر الإمام ابن كثير القرآن بالقرآن، كما أخذ عن ابن عباس وأسماء بنت الصديق ﷺ وهما من الصحابة، ومجاهد وعكرمة وسعيد بن المسيب، وهم من التابعين. أما الإمام الثعالبي فقد فسر القرآن بالسنة، كما أخذ عن ابن عباس، ومجاهد، رضي الله عنهم.

منهج أصحاب التفسير بالرأي في تفسيرهم للآيتين:

- تلاحظ الباحثة أن كلاً من الواحدي والسعدي لم يعتمد أي منهم على المأثور عند تفسيرهم للآيتين وبذلك لم يسلكا في هذا الموضوع المنهج الصحيح للتفسير بالرأي المحمود الذي ينص على تفسير القرآن بالمأثور أولاً إن وجد.

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي (ص: 1240)

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص 937

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد ﷺ خاتم النبوات وعلى آله وصحبه وسلم... أما بعد:

فإني أحمد الله تعالى أن جعلني من خدمة كتابه، وأعانني على الكتابة في موضوع من موضوعاته، حتى وصلت إلى خاتمته، فله الحمد في الأولى و في الآخرة، وله الشكر من قبل ومن بعد، ولقد توصلت خلال هذا البحث إلى نتائج وتوصيات، أذكر أهمها:

أولاً: أهم النتائج:

1. الحق هو ما جاءت به الشرائع الإلهية ورضيه الله سبحانه وتعالى ديناً لعباده، وهو شامل للعقائد والأحكام على السواء.
2. الباطل هو ما ذمه الله ﷻ وأنزل ذمه في كتبه ولم يرضه ديناً لخلقه.
3. القصة القرآنية تعتمد على الواقعية، والتعبير الصادق والمتوافق مع الإنسان في حقيقته وواقعه.
4. من أعظم أهداف القصص القرآني أخذ العبر والعظات، والتذكير بسنن الله مع أهل الحق وأهل الباطل.
5. أن الصراع بين الحق والباطل صراعٌ دائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
6. غاية الصراع في الإسلام بين أهل الحق والباطل، هي هداية البشرية وإسعادها، بسعادة الدارين، وذلك بمحاولة ثني أهل الحق عن باطلهم.
7. أن الباطل مهما طال أمده فهو زاهق، والحق ثابت، منتصر، ولو بعد حين، ولا يضر الحق قلة أهله، ولا ينفع الباطل كثرة أعوانه.
8. التحذير من سوء الأخلاق، ومخالفة الشرع، والتي كانت من أسباب هلاك الأمم الماضية .
9. في اتهام الأقبام لأنبيائهم درس عظيم للدعاة بأن يتحملوا ويصبروا في سبيل إيصال دعوتهم أذى المدعويين وردود أفعالهم.
10. من سنن الله تعالى إهلاك الأمم المكذبة لرسالتها، ونجاة المؤمنين والمصدقين، وهي رسالة وإشارة إلى جميع الأمم الظالمة في هذا الزمان.

11. ارسال الله ﷺ رسوله بالحق والرشاد، ليعطي دينه على جميع الأديان، ولو كره المشركون.
12. وجوب الثبات على الحق، ونيل رضى الله ﷻ، ولو كفرت كل الأمم من حولنا، فالمستقبل للإسلام، في قيادة العالم وسيادة البشرية.
13. الحق حق أبداً، ولكن في إظهاره تحقيق له لأنه إذا لم يظهر أشبهه الباطل.
14. لا بد من إبطال الباطل ودحضه، لأن الباطل لا ثبات له مع الحق، وهذا سنة من سنن الله تعالى.
15. وجود العداوة الدائمة بين الإنسان والشيطان واستمرارها إلى قيام الساعة.
16. كراهة دخول مواطن عذاب الأمم السابقة، فإن دخل الإنسان إلى تلك المواضع أو المقابر فعلى الصفة التي أرشدنا إليها ﷺ من التذكر والاعتبار والخوف والإسراع.
17. بيان سوء عاقبة الحسد، وما يترتب عليه من الآثار السيئة، والذي قد يؤدي إلى القتل بين أقرب الناس.
18. قبول الأعمال الصالحة يتوقف على الإخلاص لله تعالى، وبدون الإخلاص تكون الأعمال محبطة، والجهد المبذول كالسراب.
19. بيان الحكمة من مشروعية الجهاد، وهي لدفع الباطل والظلم، ولتنظيم الحياة ولعمارة الكون، وتحقيق الاستخلاف في الأرض.
20. التحلي بالصبر والثبات، عند لقاء العدو، وذكر الله ﷻ، والتضرع إليه، وطاعة الله ورسوله، وذلك من أسس النصر والتمكين.
21. التحذير من فتنة المال والولد ووجوب التيقظ حتى لا يهلك المرء بولده وماله.
22. التحذير من اتباع الهوى والاستجابة للشيطان فإن ذلك يؤدي بالعبد إلى الحرمان من هداية الله والإدمان على المعاصي والذنوب.
23. بيان أهمية القدوة الصالحة، في نشر الفضيلة والأخلاق الحسنة في المجتمعات الإسلامية.
24. إعلام من الله تعالى أن من وجبت له النار كأبي لهب، وأبي جهل، لا تمكن هدايته مهما بذل الداعي في هدايته وإصلاحه ما بذل، وهذا من الإعجاز الغيبي.
25. بيان شدة عداوة المشركين للتوحيد والداعين إليه في كل زمان ومكان، فلكفر ملة واحدة.

26. بيان أهمية الاستعانة بالصلاة والذكر والدعاء فإنها نعم العون، في الصبر والثبات، وسبيل إلى النصر والتمكين.

27. يأمر الله بالعدل والاستقامة، والحق وهو منزه عن الأمر بالفحشاء والباطل والمنكر والمعاصي، فهو لا يختار لعباده إلا ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم.

ثانياً: التوصيات:

1. أوصي بمواصلة البحث في هذا الموضوع لمن أراد أن يضيف جديداً؛ لأخذ المزيد من العبر والعظات.

2. العمل على إثراء المكتبة الإسلامية، بالدراسات القرآنية، لاسيما موضوعات التفسير المقارن.

3. كما أوصي الباحثين بالاهتمام بجانب القصص في الوقت الذي تمر فيه الأمة بمحطات خطيرة وصولات وجولات مع أهل الباطل، للتسلح بالعبر والعظات.

4. أوصي الدعاة والوعاظ، بتدبر آيات القصص القرآني للاستفادة من منهج الأنبياء في دعوة أقوامهم، وأساليب التعامل مع المعاندين والكافرين، في هذا الزمان، وكل زمان.

وأخيراً: فهذا جهد المقل، قد بذلت فيه كل ما في وسعي، وحاولت بكل طاقتي تجنب الزلل والقصور والخطأ، ولكن يبقى هذا الجهد جهداً بشرياً، يعتريه الزلل من غير قصد، ولا عمد، فما كان من صواب فهو بتوفيق الله ﷻ وما توفيقي إلا به عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي من غير قصد ولا عمد ومن الشيطان.

أسأل الله العظيم أن يتقبل مني ما قدمت، وألا يؤاخذني على ما أخطأت، وأسأله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، وأن يكتب لي ثوابه في دنياي، وأن يكون مما ينفعني به بعد الممات، إنه ولي ذلك، والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

- 1- آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، ط1، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- 2- أحكام القرآن، أحمد علي أبو بكر الرازي الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1405هـ.
- 3- أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م.
- 4- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، ط2، 1412هـ - 1992م.
- 5- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف عبد الله محمد عبد البر أبو عمر، تحقيق: محمد البجاوي، دار الجيل، (د.م)، ط1، 1992م.
- 6- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م.
- 7- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م.
- 8- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1415هـ.
- 9- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، ط4، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق، 1415هـ.
- 10- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ط15، (د.م)، دار العلم للملايين، 2002م.

- 11- *أكام المرجان في أحكام الجان*، محمد بن عبد الله الشبلي الحنفي أبو عبد الله بدر الدين بن تقي الدين، (ت769هـ)، تحقيق، إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، مصر، ط1، 2000م.
- 12- *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
- 13- *أوضح التفاسير*، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، القاهرة، ط6، 1383هـ - 1964م.
- 14- *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ - 2003م.
- 15- *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ - 2003م.
- 16- *أيسر التفاسير*، أسعد حومد، بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، (د.ت).
- 17- *بحر العلوم=تفسير السمرقندي*، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993م.
- 18- *البحر المحيط في التفسير*، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ط1، 1420 هـ.
- 19- *بحوث ودراسات في اللهجات العربية*، نخبة من العلماء، ط1، مجمع اللغة العربية، القاهرة، (د.ت).
- 20- *البداية والنهاية*، إسماعيل بن عمر الدمشقي ابن كثير، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1414هـ.
- 21- *بصائر نوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي مجد الدين، تحقيق: محمد علي النجار، وعبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، السعودية، ط3، 1996م.

- 22- بيان المعاني، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني، مطبعة الترقى، دمشق، ط1، 1382 هـ - 1965م.
- 23- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد المرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط1، 1970م.
- 24- تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1415 هـ - 1995م.
- 25- تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1426 هـ - 2005 م.
- 26- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (د.ط)، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984م.
- 27- التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ.
- 28- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية، 1983.
- 29- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد محمد مصطفى، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- 30- التفسير البسيط، علي أحمد محمد علي الواحدي النيسابوري، أصل تحقيقه في: (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، ط1، السعودية، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430 هـ.
- 31- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد أحمد المحلي وجمال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، ط1، القاهرة، دار الحديث، 2000م.

32- تفسير الشعراوي = الخواطر، محمد متولي الشعراوي، ط1، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997م.

33- تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمِين المالكى (المتوفى: 399هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2002م.

34- تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن عمر ابن كثير، ط5، الرياض، دار عالم الكتب، 1416هـ.

35- تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، المشهور ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد الطيب، ط3، السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419هـ.

36- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط1 - 1410 هـ.

37- تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، السعودية، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م.

38- تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية، 2005 م.

39- تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (د.ط)، لبنان، دار الكتب العلمية، (د.ت).

40- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ط1، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1365 هـ - 1946م.

41- تفسير المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، ج2/ 188

42- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.

- 43- *التفسير الميسر*، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، ط2، 1430هـ-2009م.
- 44- *تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)*، عبد الله أحمد محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، ط1، بيروت، دار الكلم الطيب، 1419 هـ - 1998م.
- 45- *التفسير الواضح*، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد - بيروت، ط10، 1413هـ.
- 46- *التفسير الوسيط في تفسير القرآن المجيد*، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية، 1994م.
- 47- *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط1، 1998م.
- 48- *التفسير الوسيط*، دوهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط1 - 1422 هـ.
- 49- *تقريب التهذيب*، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، سوريا، دار الرشيد، ط1، 1406 هـ - 1986م.
- 50- *تكملة المعاجم العربية*، رينهارت بيتر آن دُوزي، ط1، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، 2000م.
- 51- *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، لعبد الله بن عباس، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ط)، 1994م.
- 52- *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*، يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ-1980م.
- 53- *تهذيب اللغة*، محمد أحمد الأزهرى الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001م.
- 54- *التوقيف على مهمات التعاريف*، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، ط1، القاهرة، عالم الكتب عبد الخالق ثروت، 1990م.
- 55- *تيسير التفسير*، إبراهيم القطان، ط1، (د.م)، (د.ن) (د.ت).

- 56- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م
- 57- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مصر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ.
- 58- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، (د.م)، دار طوق النجاة، 1422هـ.
- 59- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، محمد أحمد أبي بكر فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964م.
- 60- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1987م.
- 61- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
- 62- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر، ط1، (د.ت).
- 63- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ.
- 64- الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، ط1. مكتبة لبنان، بيروت: 1974م.
- 65- زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 2004م.
- 66- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ط1، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،

- 67- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ط1، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- 68- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين، ط3، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م.
- 69- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث- القاهرة، 2006م.
- 70- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة ط8، دار القلم، دمشق، 1427هـ.
- 71- صحيح السيرة النبوية، محمد بن ناصر الألباني، ط1، المكتبة الإسلامية، عمان، 2001م.
- 72- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- 73- صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، (د.ط)، الإسكندرية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، (د.ت).
- 74- الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف، أ. فهد السويدان، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1404هـ.
- 75- الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، عادل أبو العلا، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة أم القرى، السعودية، 1995م.
- 76- الصراع بين الحق والباطل من خلال سورة القصص، محمد بابكر إيدام، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الرباط، 2016م.
- 77- صفة التفاسير، محمد على الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1417هـ- 1997م.
- 78- صورة الأرض، محمد بن حوقل البغدادي الموصلية، أبو القاسم، ط1، بيروت، دار صادر، 1938م.

- 79- *ضعيف سنن الترمذي*، محمد ناصر الدين الألباني، (د.ط)، الإسكندرية-مصر، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، (د.ت).
- 80- *الطبقات الكبرى*، أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط4، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ-1990م.
- 81- *طبقات المفسرين*، محمد بن علي بن أحمد الداودي شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1983م.
- 82- *طبقات النسابين*، بكر بن عبد الله أبوزيد، ط1، (د.ن)، (د.م)، 1987م.
- 83- *العامي الفصيح*، مجمع اللغة العربية، ط1، بالقاهرة، مجمع اللغة العربية، (د.ت).
- 84- *عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير*، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، أحمد محمد شاکر، تحقيق: أحمد محمد شاکر أبو الأشبال، دار الوفاء، (د.ت)، ط2، 2005م.
- 85- *غرائب القرآن و رغائب الفرقان*، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميہ، بيروت، ط1، 1416هـ.
- 86- *فتح الرحمن في تفسير القرآن*، مجير الدين بن محمد العلمي المقدسي الحنبلي، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية)، ط1، 1430هـ-2009م.
- 87- *فتح القدير*، محمد علي محمد عبد الله الشوكاني، ط1، دمشق-بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، 1414 هـ.
- 88- *الفجر الساطع على الصحيح الجامع*، محمد الفضيل بن الفاطمي الشيبهني الزرهوني، تحقيق: عبد الفتاح الزينفي، مكتبة الرشد، بيروت، (د.ت).
- 89- *في ظلال القرآن*، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط32، 2003م.
- 90- *القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً*، سعدي أبو حبيب، ط2، دمشق، دار الفكر، 1988م

- 91- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ - 2005م.
- 92- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود عمرو أحمد الزمخشري، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407 هـ.
- 93- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد محمد إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق، تحقيق: أبو محمد عاشور، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1422، هـ - 2002 م.
- 94- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، (د.ط)، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1998م.
- 95- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف الكرمانى، تحقيق: محمد عبد اللطيف، ط1، القاهرة، المطبعة البهية، 1937م.
- 96- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ.
- 97- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، ط3، بيروت، دار صادر، 1414 هـ.
- 98- مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، جهاد الترياني، ط1، دار التقوى، (د.م)، 2010م.
- 99- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مصر، مطبعة السنة المحمدية، د.ط، 1955م.
- 100- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين محمد طاهر علي الصديقي الهندي الفنتي، ط3، (د.م)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1387 هـ - 1967م.
- 101- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418هـ.
- 102- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، ط1، مكتبة الهلال، بيروت، (د.ت).

- 103- *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
- 104- *المحكم والمحيط الأعظم*، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م.
- 105- *المحيط في اللغة*، إسماعيل بن عباد الصاحب أبو القاسم، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1994م.
- 106- *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط1، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2001م.
- 107- *مشاهير النساء المسلمات*، أبو الحسن النيسابوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- 108- *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت 770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).
- 109- *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت 770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).
- 110- *مصنف ابن أبي شيبة=الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1405هـ.
- 111- *المطلع على أبواب الفقه*، محمد بن أبي الفتح البعلبي أبو عبد الله شمس الدين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988م.
- 112- *معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي*، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.
- 113- *معاني القرآن وإعرابه*، إبراهيم السري سهل أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت، 1408 هـ- 1988 م.
- 114- *معجم الأفعال المتعدية بحرف*، موسى بن محمد بن الملياني الأحمدني نويوات، ط1، دار العلم للملايين، القاهرة، 1979م.

- 115- مُعْجَمُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ لِرِجَالِ السُّنَنِ الكُبْرَى، مَعَ دَرَسَةِ إِضَافِيَةِ لِمَنْهَجِ البَيْهَقِيِّ فِي نَقْدِ الرِّوَاةِ فِي ضَوْءِ السُّنَنِ الكُبْرَى، نَجْمُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ خَلْفٍ، دَارُ الرَّايَةِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، (د.م)، ط1، 1989م.
- 116- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة، السعودية، 1431هـ.
- 117- معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي، بيروت، الناشر، مكتبة المثنى دار إحياء التراث العربي، (د.ط).
- 118- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (د.ط)، (د.م)، دار الدعوة، (2004م).
- 119- معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، مصر، 2002م.
- 120- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، ط1، بيروت، دار الفكر، 1979م.
- 121- معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط1، الرياض: دار الوطن، 1419هـ-1998م.
- 122- معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط1، الرياض: دار الوطن، 1419هـ-1998م.
- 123- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ.
- 124- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق- بيروت، دار القلم، الدار الشامية، 1412هـ.
- 125- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ط1، بيروت، دار المعرفة، 1416هـ.
- 126- المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط18، مصر، طبع مؤسسة الأهرام، 1416 هـ - 1995م.

127-المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي. تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1412هـ.

128- الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، المصري، ج10/ 775

129-الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، وليد الزبيدي وآخرون، ط1، (د.م)، (د.ن)، ط1، 2003م.

130-موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك، دار إحياء العلوم العربية، بيروت، (د.ط)، 1414هـ - 1994م

131-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

132-النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي،(د.ط)، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ.

133-الوحيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، (د.ت).

134-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس. (د.ط)، بيروت، دار صادر،(د.ت).

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	طرف الآية
البقرة		
174	15	﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾
251	30	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
251	34	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾
251	35	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾
252	36	﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾
42	42	﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
308	49	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾
17	71	﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾
222	75	﴿أَفَتَضْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
225	83	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...﴾
90	85	﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾
59	119	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
18	121	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾
79	143	﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾
18	144	﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾
42	188	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
191	222	﴿فَاتُوهنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾
270	246	﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾
270	247-246	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ...﴾
20	247	﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾
270	251-249	﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ...﴾
210	253	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾
258	258	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ...﴾
43	264	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
20	282	﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾
314	283	﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾
ال عمران		
64	3	﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾
61	19	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾
284	43 - 42	﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ 42 يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾
284	43	﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ... ﴾
230	45	﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾
236	57 - 49	﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْخُرْ فِي هَذِهِ حَتَّى إِذْ أَنْزَلْنَاهُ نُورًا نَدَى إِلَى سِتْرِكَ قَالَ يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ هَادُوا قَدْ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلُ فَكُونُوا لِلذِّكْرِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ ... ﴾
231	51 - 49	﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا ... ﴾
232	54 - 52	﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا ... ﴾
175	54	﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾
238	55	﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْخُرْ فِي هَذِهِ حَتَّى إِذْ أَنْزَلْنَاهُ نُورًا نَدَى إِلَى سِتْرِكَ قَالَ يَا مَعْشَرَ الَّذِينَ هَادُوا قَدْ خَلَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلُ فَكُونُوا لِلذِّكْرِ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ ... ﴾
76	62	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
102	71	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
82	86	﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
83	89	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
73	108	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾
226	112	﴿ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَيَّنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ ...﴾
187	173	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ ...﴾
النساء		
217	18	﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾
89	29	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾
64	105	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾
208	153	﴿أَرَأَى اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾
239	157	﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾
236	158-157	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ ...﴾
89	161	﴿وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّ وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
65	166	﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ۗ أَنْزَلَهُ يَعْلَمُهُ ۗ وَالْمَلَائِكَةُ شَاهِدُونَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾
59	170	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾
المائدة		
60	3	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾
234	17	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾
228	18	﴿نَحْنُ أَوْلَادُ اللَّهِ وَآحِبَّاءُهُ﴾
227	24 - 21	﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ 21 قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا ...﴾
227	26 - 25	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ 25 قَالَ فَإِنَّهَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ...﴾
254	31-27	﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ ...﴾
64	47	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا ...﴾
232	72	﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾
235	73	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾
284	75	﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
226	80 - 78	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ 78 كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ ...﴾
78	84-83	﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا ...﴾
234	113 - 111	﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ 111 إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ ...﴾
الأنعام		
244 ، 19	5	﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
149	52	﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ ...﴾
57	28 ، 27	﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ ...﴾
239	60	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّكُمْ بِاللَّيْلِ﴾
12	62	﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾
52	73	﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾
178	79-74	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَأَيْتَ إِذْ أَخَذْتُ اصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ 74 وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ﴾
183	80	﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾
177	86-84	﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ... ﴿
135	93	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذْ ...﴾
132	110	﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدْرَهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾
الأعراف		
242	3	﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾
242	11 - 10	﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ 10 وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ...﴾
251	12	﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾
252	13	﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾
252	16	﴿قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
252	21	﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾
252	22	﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾
252	23	﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
242	27	﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّن ...﴾
242	29-28	﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا ...﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
242	29	﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾
56	43	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ ... ﴾
113	44	﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ ... ﴾
56	53	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ ... ﴾
242	54	﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ ... ﴾
242	57	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ ... ﴾
142	59	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾
146	60	﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ 60 ﴾
148	61-63	﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ 61 أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ 62 ... ﴾
153	64	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾
155	65	﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ... ﴾
160	66	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
160	69-68	﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ 67 أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ 68 أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ ... ﴾
156	69	﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَادْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾
163	70	﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾
163	72-71	﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ أُنْجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ... ﴾
167	74-73	﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ... ﴾
166	73	﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾
167	74	﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾
170	76 - 75	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّي قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ ... ﴾
171	77-75	﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّي قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ ... ﴾
173	79-78	﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ 78 فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا ... ﴾
191	80	﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾
189	81-80	﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ 80 إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
192	82	﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾
194	84-83	﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ 83 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾
196	84	﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾
198	85	﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ...﴾
199	87-85	﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا ...﴾
204	88	﴿لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا﴾
204	90-88	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ 88 قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى ...﴾
202	90	﴿لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾
206	93-91	﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ 91 الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا لَمْ يَظُنُّوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ 92 فَتَوَلَّى ...﴾
308	103	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾
213	108-107	﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ نُجْعَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾
266	112-111	﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ 111 يَا تُوَكُّ بِكُلِّ ...﴾
110	118-117	﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
214	135 ، 134	﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ ...﴾
222 ، 221	139 - 138	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ...﴾
219	140	﴿قَالَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
221	141	﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾
131	146	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ...﴾
221	148	﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾
225	149 ، 148	﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ ...﴾
225	152	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وِذْلَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾
221	160	﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ آثَنِيَّ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ ...﴾
226	161	﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾
221	162 ، 161	﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ...﴾
226	162	﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا ...﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
222	163	﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ...﴾
222	166	﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾
226	167	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
222	171	﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾
317	175 ، 176	﴿وَإِنل عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ ...﴾
الأنفال		
86	6	﴿يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾
109	7	﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾
43	8	﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾
175	30	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾
204	32	﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بَعْدَابٍ أَلِيمٍ﴾
التوبة		
234	30	﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾
61	32	﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
59	33	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾
89	34	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾
21	111	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ ...﴾
يونس		
114	4	﴿لَيْتَهُ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ ...﴾
75	44	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
114	55	﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
308	75	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾
308	81	﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا ...﴾
109	82	﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾
308	83	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾
309	88	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ ...﴾
216	89-88	﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
217	92-90	﴿أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ ...﴾
218	92	﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾
132	97-96	﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾
70	108	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾
هود		
146	27	﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَن يُكْفَرُوا وَمَا نَرَى لَكُمْ ...﴾
149	31-28	﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَاهُ مَكْمُومًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ 28 وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ ...﴾
146	32	﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
148	34-33	﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ ...﴾
150	36	﴿وَأَوْحِي إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾
152	37-36	﴿وَأَوْحِي إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ 36 وَاصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحِينَا وَلَا تَخَاطِبْنِي ...﴾
114	45	﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ ...﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
156	57-50	﴿وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ 50 يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ ...﴾
161	53	﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾
160	56-53	﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ 53 إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إني﴾
160	54-53	﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ 53 إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ...﴾
184	54	﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾
163	60-58	﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ 58 وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ ...﴾
167	61	﴿وَالِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا ...﴾
173	68-66	﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ 66 وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا ...﴾
20	79	﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾
194	83-81	﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ 82 مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ 83﴾
204	87	﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾
199	90 - 89	﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ...﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
204	91	﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ 91 ﴾
206	95-94	﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ 94 كَأَن لَّمْ ... ﴾
218	102	﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾
يوسف		
261	4	﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾
261	5	﴿ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَفْضُضْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾
262	15 - 9	﴿ افْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ 9 قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْفُوهُ فِي ... ﴾
295	57	﴿ وَلَا جُرْأَخِرَةَ خَيْرٌ ﴾
242	108	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ ... ﴾
إبراهيم		
219	5	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾
52	19	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾
114	22	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ ... ﴾
308	42	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
الحجر		
244	6	﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾
252	42	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾
167	80	﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾
52	85	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
244	94	﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾
النحل		
52	3	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
114	38	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
94	72	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ...﴾
211	125	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي ...﴾
الإسراء		
332	45	﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾
1	81	﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾
205	90	﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ...﴾
204	92	﴿أَوْ تُسْفِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِلِئَالٍ مِنَ اللَّهِ ...﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
245	94	﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾
الكهف		
297	15 - 13	﴿ لَخُنَّ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى 13 وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ... ﴾
114	21	﴿ وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا ... ﴾
274	33-32	﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْتَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا 32 كَلْتَا ... ﴾
275	42-34	﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا 34 وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ ... ﴾
275	39	﴿ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾
68	49	﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾
135	53	﴿ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهَا مَصْرَفًا ﴾
104	56	﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمِجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوعًا ﴾
294	88-84	﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا 84 فَاتَّبَعَ سَبَبًا 85 حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي ... ﴾
مريم		
178	45-41	﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا 41 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا 42 ... ﴿
79	1	﴿كهيعص﴾
231	30	﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾
182	46	﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْبَةِ يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَتَكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ ﴿
طه		
80	9	﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾
210	24	﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾
210	47-42	﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنبِيَا فِي ذِكْرِي 42 أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ 43 فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ ... ﴿
210	43	﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾
210	48 ، 47	﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَدِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِالْبَيِّنَاتِ مِنَ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَع ... ﴿
266	61	﴿وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾
266	70-65	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى 65 قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصْبُهُمْ يُجْحِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ ... ﴿
283	72	﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
216	79-77	﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ لَا تَخَافْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى * فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ... ﴿

الصفحة	رقمها	طرف الآية
251	117	﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوُّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾
251	120-121	﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَى 120 فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِيفًا ...﴾
252	123	﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾
212	134	﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِّلَ وَنُخْرِزِي﴾
الأنبياء		
1	18	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ ...﴾
182	59-65	﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ 59 قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ 60 قَالُوا فَأَنُؤَا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ...﴾
178	66-70	﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا ...﴾
182	68	﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾
182	69-70	﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ 69 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾
284	91	﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
الحج		
20	6	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
246	39	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
99	62	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾
المؤمنون		
146	25-24	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَبَرِّضُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ 25﴾
152	28-27	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ ...﴾
67	62	﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾
210	71	﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾
12	116	﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾
النور		
18	25	﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾
الفرقان		
245	5 ، 4	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا 4 وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ...﴾
152	27	﴿وَقَوْمٌ نُوِّجَ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
الشعراء		
210	17 ، 16	﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾
214	22 - 18	﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا ... ﴿
214	27 - 23	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمِعُونَ * ... ﴾
214	28	﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾
214	29	﴿ قَالَ لئنِ اتَّخَذَتِ إِلهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾
214	33 - 30	﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ ﴾
266	42-38	﴿ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ 38 وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ 38 لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ 39 فَلَمَّا جَاء ... ﴾
308	42 ، 41	﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمَّا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ 41 قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾
267	44	﴿ قَالِقُوا جِبَالَهُمْ وَعِصِيَهُمْ وَقَالُوا بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾
306	88	﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾
147	111	﴿ قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾
160	129-126	﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ 136 إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ 137 وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ 138 فَكَذَّبُوهُ ... ﴾
156	135-123	﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ 123 إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ 124 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ 125 فَاتَّقُوا اللَّهَ ... ﴾
167	145-141	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ 141 إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ 142 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ 143 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا 144 وَمَا ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
170	157-154	﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ 154 قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ 155 وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ... ﴾
173	158	﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
190	166-160	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ 160 إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ 161 إِيَّايَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ 162 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ 163 وَمَا أَسْأَلُكُمْ ... ﴾
190	166-165	﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ 165 وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ 166 ﴾
199	184 - 183	﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِيَّايَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ ... ﴾
204	187 - 185	﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطُتْكَ لَمِنَ الْكَافِرِينَ * فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ ... ﴾
207	189	﴿ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾
206	190	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
244	214	﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾
النمل		
213	12	﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾
214	14-13	﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾
133	14	﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
170	49-47	﴿قَالُوا أَظَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ 47 وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ... ﴿
173	53-50	﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ 50 فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ 51 فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ ... ﴿
167	46-45	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ 45 قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ ... ﴿
192	56	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْتَطِرُونَ﴾
القصص		
308	4	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾
315	6	﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾
315	8.	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ﴾
287	20	﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾
287	20	﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ...﴾
200	23	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾
259	38	﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾
308	39	﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾
217	41 - 40	﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ 40

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ 41﴾
19	75	﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾
311	77-76	﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ 76 وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ...﴾
312	78	﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ...﴾
312	79	﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾
314	81	﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾
العنكبوت		
178	17-16	﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ 16 إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا ...﴾
186	24	﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾
192	29	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾
315	39	﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾
52	44	﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾
94	52	﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بِنِيَّ وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
94	67	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَّخِطُّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾
83	69	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾
الروم		
52	8	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾
لقمان		
99	30	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ ...﴾
السجدة		
19	13	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾
الأحزاب		
120	4	﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاجَكُمْ ...﴾
117	53	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى ...﴾
سبأ		
129	48	﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَمْحُذِفُ بِالْحَقِّ عَنَّا الْعُيُوبَ﴾
فاطر		
59	24	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾
175	43	﴿وَلَا يَجِئُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
يس		
12	7	﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
150	22-21	﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنِ لَا يُسَأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
الصفات		
245	17-16	﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ 16 أَوَّابًا أُنَاسًا لَّا يُؤْمِنُونَ﴾
179	98-83	﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ 83 إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ 84 إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ 85 أَتُنْفِكَ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ ...﴾
182	97	﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾
185	98	﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾
185	99-98	﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ 97 فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ 98 وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ﴾
240	99	﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾
196	138	﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
ص		
244	4	﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾
52	27	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾
الزمر		
64	2	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
52	5	﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي ... ﴾
64	41	﴿ عَلَيْهِمْ بُكُورٌ ﴾
239	42	﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾
111	69	﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالتَّابِئِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾
111	75	﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
غافر		
104	5	﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾
111	20	﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
315	24-23	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ 23 إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾
287	26	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾
286	28	﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾
286	28	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾
287	29, 28	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
287	29	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾
287	30 - 33	﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ 30 مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ ...﴾
315	36	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ 36 أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾
316	36 - 37	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ ...﴾
287	38	﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾
287	44	﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَؤُصُ أَمْرِي إِلَىٰ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾
فصلت		
53	11	﴿إِنِّيَأَ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾
143	26	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾
44	42	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾
276	50	﴿وَلئن رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾
الشورى		
64	17	﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾
109	24	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأُ اللَّهُ يُخَيِّمُ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
249	25	﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
الزخرف		
146	23	﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾
179	27 - 26	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ 26 إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ 27﴾
324	31 ، 30	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ 30 وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾
309	51	﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾
309	54	﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾
309	56 - 55	﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ 55 فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾
232	64-63	﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ...﴾
234	65	﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ﴾
الدخان		
289	21 - 17	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ 17 أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ 18 وَأَنْ لَا تَعْلُوا ...﴾
الجاتية		
73	6	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
67	29	﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
الأحقاف		
163	25-24	﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ ... ﴾
52	3	﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾
135	20	﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ ... ﴾
160	22	﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ الْهَيْتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾
70	30	﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
135	34	﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾
محمد		
ج، 60، 97	3	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ ... ﴾
217	13	﴿ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾
الفتح		
248	27	﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ ... ﴾
59	28	﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى ... ﴾
الذاريات		
253	9	﴿ يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
20	19	﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾
195	33	﴿حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ﴾
الطور		
324	13	﴿يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾
النجم		
112	31	﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾
القمر		
146	9	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ﴾
148	10	﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾
153	16-11	﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ 11 وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ 12 وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ ...﴾
الرحمن		
313	41	﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾
الصف		
132	5	﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾
232	6	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ ...﴾
59	9	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
التغابن		
52	3	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾
التحریم		
305	10	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا ...﴾
281	11	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
284	12	﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانٌ وَالْحَنَافَءُ﴾
القلم		
325	16 - 10	﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ 10 هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ 11 مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ 12 عَتَلٌ بَعْدَ ...﴾
291	28	﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾
309	45 ، 44	﴿... سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ 44 وَأُمِّي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾
الحاقة		
163	8	﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ 6 سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ ...﴾
164	11	﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾
94	47-44	﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
نوح		
142	10 - 1	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ 1 قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ 2 أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ... ﴾
142	23	﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَبَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿
149	27-26	﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا 26 إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجِرًا كَفَّارًا ﴾
153	25	﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾
150	26	﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾
223	28	﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾
المدثر		
325	17 - 11	﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا 11 وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا 12 وَبَنِينَ شُهُودًا 13 وَمَهْدُتٌ لَهُ تَمْهِيدًا 14 ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ 15 كَلَّا إِنَّهُ ... ﴾
325	29 - 11	﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ 18 فَفَعَّلَ كَيْفَ قَدَّرَ 19 ثُمَّ قَبَّلَ كَيْفَ قَدَّرَ 20 ثُمَّ نَظَرَ 21 ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ 22 ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ 23 فَقَالَ إِنَّ هَذَا لِلَّهِ ... ﴾
النازعات		
210	18	﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَيَّيَ ﴾
213	19-18	﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَيَّيَ * وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾
310	26- 23	﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ ... ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
268	24	﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾
309	26 - 25	﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى 25 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾
عبس		
306	34	﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾
المطففين		
200	1	﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾
54	6-5	﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
البروج		
300	8 - 4	﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ 4 النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ 5 إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ 7 وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ...﴾
299	8	﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾
العلق		
321	19-8	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى 9 عَبْدًا إِذَا صَلَّى 10 أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى 11 أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى 12 أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى 13 أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ...﴾
النصر		
248	3-1	﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ 1 وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا 2 فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾
المسد		
329	1	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
328	3-1	﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ 1 مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ 2 سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ...﴾
331	5-4	﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ 4 فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ 5﴾
332	5	﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	درجته	مصدره	الصفحة
1.	أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي...	صحيح	صحيح البخاري	329
2.	أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني	صحيح	صحيح البخاري	328
3.	أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ...	صحيح	مسند أحمد بن حنبل	285
4.	ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله	صحيح	البخاري، مسلم	276
5.	ألا إنما أنا بشر، وإنما يأتيني الخصم فلعن بعضكم	صحيح	البخاري، مسلم	91
6.	إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما ...	صحيح	مسلم	61
7.	إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ	صحيح	البخاري، مسلم	90
8.	دخل النبي ﷺ مكة، وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب، فجعل ...	صحيح	البخاري، مسلم	43
9.	كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار: حسبي الله ونعم الوكيل	صحيح	البخاري	187
10.	كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما...	صحيح	مسلم	300
11.	كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران	صحيح	البخاري، مسلم	282
12.	لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين	صحيح	البخاري، مسلم	174

م	طرف الحديث	درجته	مصدره	الصفحة
13.	لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن	صحيح	البخاري	271
14.	لا يَبْقَى دِينَانٍ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ	صحيح	موطأ مالك	63
15.	لا يدخل الجنة قتات	صحيح	البخاري، مسلم	326
16.	الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى <small>عليه السلام</small> "اجعل لنا إلهًا كما	صحيح	سنن الترمذي	220
17.	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر ...	صحيح	مسند أحمد بن حنبل	61
18.	ليس من نفس تُقتل ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ منها	صحيح	البخاري	256
19.	ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر	صحيح	البخاري، مسلم	161
20.	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	صحيح	سنن الترمذي	خ
21.	نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور	صحيح	البخاري، مسلم	165
22.	يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا	صحيح	مسند أحمد بن حنبل	329

ثالثاً: فهرس الأعلام المغمورين المترجم لهم

م	اسم العلم	الصفحة
1.	ابن الأثير	11
2.	ابن فارس	15
3.	أبو معمر جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة القرش	120
4.	الأصفهاني = الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني	12
5.	امرؤ القيس بن عابس بن المنذر	90
6.	الحارث بن سويد	83
7.	الحارث بن عوف	220
8.	حارثة بن شرحبيل	121
9.	الحسين بن الفضل ابن عمير	60
10.	الزبيع بن أنس	183
11.	ربيعة بن عباد الديلي	329
12.	الزجاج	44
13.	زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي	259
14.	زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب ابن عبد العزى	121
15.	عيدان بن أشوع	90
16.	الفيروز آبادي	13
17.	قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام	311
18.	قتادة	42
19.	الماتريدي = محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور	16